أبيات مشهورة وقصائد مغمورة



م. فهد الحيص

مكتبة آفاق

م. فهد الحيص

أبيات مشهورة وقصائد مغمورة

مكتبة آفـاق

مكتبة آفــاق 2011م

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811 الحيص، فهد حمود حامد.

أبيات مشهورة وقصائد مغمورة / فهد حمود حامد الحيص. ـ ط1. ـ الكويت : آفاق للنشر والتوزيع، 2010

264 ص؛ 14 X 21 سم

ردمك : 9 - 91 - 40 - 99906 - 978

1. الشعر العربي ـ الكويت ـ دواوين وقصائد أ. العنوان

رقم الإيداع : 423 / 2010

ردمك : 9 - 91 - 40 - 99906 - 978

الطبعة الأولى

1432 هـ / 2011 م

مكتبة آفــاق

Tel.: +965 24610891 - Fax : +965 24610892

P.O.Box: 20585 Safat - Postal Code: 13066 Kuwait

info@aafaq.com.kw

www.aafaq.com.kw

إهداء

لَولا الحَياءُ لَعادَني اِستِعبارُ

وَلَزُرتُ قَبرَكِ وَالحَبيبُ يُزارُ

إلى جدتي ...... رحمها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

سحر البيان يري الظلماء كالنور

يروى أن أحد الصحابة قد أصيب في إحدى الغزوات، وأراد الصحابة تضميد جراحه، فبقي الدم ينزف، حتى جاء حسان بن ثابت رضي الله عنه، وقال ائتوني بكافور، فوضع عليه الكافور فجف الدم.

فسأله النبي صلى الله عليه وسلم من أين اقتبست هذا يا حسان؟

فقال : من قول الشاعر :

فكرت ليلة وصلها في هجرها   فجرت مدامع مقلتي كالعندم

فطفقت أمسح مقلتي بخدها   إذ عادة الكافور إمساك الدم

قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن من الشعر لحكمة)

كثير من الأبيات تناقلتها الألسن وحفظتها الأفئدة واستشهد بها في كثير من المواضع من قبل الصغير قبل الكبير والعامي قبل المتعلم لما احتوت عليه هذه الأبيات من أمثال وحكم وروائع تصويرية ..

إن بعض هذه الأبيات اشتهرت دون معرفة لناظمها ولا ببقية أبيات القصيدة بل قد يوجد في القصيدة أبيات أخرى لا تقل روعة وجمالاً و وصفاً وخيالا ..

لذا جمعت ما يزيد عن مائة بيت تكاد تكون مشهورة مع ذكر ترجمة موجزة لما يزيد عن خمسين شاعراً ومناسبة القصيدة والأبيات التي ذكرت بها ... مستعينا ببعض الكتب كـ الشعر والشعراء لابن قتيبة وطبقات الشعراء لابن المعتز وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي والمحاسن والأضداد للجاحظ والوافي بالوفيات للصفدي والأغاني للأصفهاني ومجمع الأمثال للميداني ووفيات الأعيان وأبناء هذا الزمان لابن خلكان.

م. فهد الحيص
fhh__@hotmail.com

- 1 -

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ
وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وقائله **لَبيد بن ربيعة العامِري**

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري. وكان يقال لأبيه ربيع المقترين لسخائه، وقتلته بنو أسدٍ في حرب بينهم وبين قومه، ويقال قتله منقذ بن طريف الأسدي.

ويقال قتله صامت بن الأفقم، من بني الصيداء، يقال ضربه خالد بن نضلة وتمم عليه هذا، وأدرك بثأره عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أخوه، وذلك أنه قتل قاتله.

ويكنى لبيدٌ أبا عقيلٍ، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم. وكان الحرث بن أبي شمرٍ الغساني، وهو الأعرج، وجه إلى المنذر ابن ماء السماء مائة فارسٍ وأمره عليهم، فصاروا إلى عسكر المنذر، وأظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته، فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم، فقتل أكثرهم، ونجا لبيدٌ، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم، وهو يوم حليمة، وكانت حليمة بن مالك غسان، وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا، وألبستهم الأكفان، والدروع وبرانس الإضريج.

وأدرك لبيدٌ الإسلام، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم لبيدٌ الكوفة وبنوه، فرجع بنوه إلى البادية بعد ذلك، فأقام لبيد إلى أن مات بها، فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب، ويقال إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية، وأنه مات وهو ابن مائةٍ وسبع وخمسين سنةً. ولم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، واختلف في البيت، قال أبو اليقظان، هو:

الحَـمْـدُ لِلهِ إذْ لم يـأْتِـنـي أَجَـلِـي
حـتّـى كَـسَـاني مِـنَ الإسْـلامِ سِـرْبـالاَ

وقال غيره: بل هو قوله:

مـا عـاتَـبَ المَـرْءَ الـكَـريمَ كنَـفْسِـهِ
والمَـرْءُ يُـصْـلِـحُـهُ الجَـلِيـسُ الـصـالِـحُ

وقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنشدني من شعرك، فقرأ سورة البقرة، وقال: ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران، فزاده عمر في عطائه خمس مائة درهم، وكان ألفين، فلما كان في زمن معاوية قال له معاوية: هذان الفودان فما بال العلاوة؟ يعني بالفودين الألفين، وبالعلاوة الخمس مائة، وأراد أن يحطه إياها، فقال: أموت الآن وتبقى لك العلاوة والفودان! فرق له معاوية وترك عطاءه على حاله، فمات بعد ذلك بيسير.

وكان لبيدٌ آلى في الجاهلية ألا تهب الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن، وألزمه نفسه في إسلامه، فخطب الوليد بن عقبة الناس بالكوفة يوم صباً، وقال: إن أخاكم لبيد آلى ألا تهب له الصبا إلا أطعم الناس حتى تسكن، وهذا اليوم من أيامه، فأعينوه وأنا أول من أعانه، ونزل فبعث إليه بمائة

بكرةٍ، وكتب إليه :

أرَى الجَـزّارَ يَشْحَذُ شَفْرَتَيْه ... إذَا هَـبّتْ رِيـاحُ أَبـى عَقِيل
أَشَـمُّ الأنْـفِ أَصْيَـدُ عـامِرِيء ... طَوِيلُ الباعِ كالسّيْفِ الصّقِيلِ
وَفَـى ابْـنُ الجَعْفَرِيّ بِحَلْفَتَيْه ... علـى الـعـلّاتِ والمـالِ القَليل
بنَحْرِ الكُومِ إذْ سَحَبَتْ عليه ... ذُيُـولَ صَـباً تَجَـاوَبُ بالأصيلِ

فلما أتاه الشعر قال لابنته : أجيبيه فقد رأيتني وما أعيا بجواب شاعر، فقلت :

إذَا هَـبّـتْ رِيـاحُ أبـى عَقِيل ... دَعَـونـا عند هَـبّـتِـها الـوَلِيـدَا
أَشَـمّ الأنْـفِ أَصْيَدَ عَبْشَمِياً ... أعـانَ علـى مُـرُوءَتِـه لبيدَا
بأمْثالِ الهضَابِ كـأنّ رَكْباً ... عليها من بنى حَام قُعُودا
أبـا وَهْـبٍ جَـزَاكَ اللهُ خَيْراً ... نَحَرْناها وأَطْعَمْنا الثريدَا
فَعُدْ إنّ الكَريم له مَعَادٌ ... وظَنّـى يا ابنَ أرْوَى أنْ تَعُودا

فقال له لبيدٌ أحسنت لولا أنك استطعمتيه قالت : إنه ملكٌ وليس بسوقة، ولا بأس باستطعام الملوك.

قال الذين قدموا لبيد بن ربيعة : هو أفضلهم في الجاهلية والإسلام، وأقلهم لغواً في شعره. وقد قيل عن عائشة، رضي الله عنها، إنها قالت : رحم الله لبيداً ما أشعره في قوله :

ذهبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافِهِمْ، ... وبقيتُ في خَلَفٍ كجلدِ الأجرَبِ
لا يَنفَعون، ولا يُرَجّى خيرُهم، ... ويُعابُ قائلُهُمْ، وإنْ لم يَشْغَبِ

وكان لبيد بن ربيعة، فارساً شاعراً شجاعاً، وكان عذب المنطق، رقيق حواشي الكلام، وكان مسلماً رجل صدق.

أَلَا كُلُّ شيءٍ ما خَلاَ اللّهُ باطِلُ وكُــلُّ نـعـيـم لاَ مَحـالَـةَ زائـلُ

القصيدة في رثاء النعمان بن منذر

أَلَا كُلُّ شيءٍ ما خَلاَ اللّهُ باطِلُ وكُــلُّ نـعـيـم لاَ مَحـالَـةَ زائـلُ
إذَا المَـرْءُ أَسْـرَى لَيْلَةً ظَـنّ أَنّـه قَضَى عَمَلاً والمَرْءُ ما عاشَ آملُ
حَـبـائِـلُـهُ مَـبْـثُـوثَـةٌ بسَبِيله ويَفْنَى إذَا ما أَخْطَأَتْهُ الحَبائلُ
فَـقُـولاَ لـه إنْ كـان يَقْـسِـمُ أَمْـرَهُ أَلَمّـا يَعظْكَ الـدّهْـرُ أُمُّـكَ هابلُ
فإنْ أَنْتَ لم تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فانتَسِبْ لَعلّكَ تَهْديكَ القُـرُونُ الأَوَائِـلُ
فإن لم تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنانَ والداً ودُونَ مَـعَـدٍّ فلْتَـزَعْـكَ الـعَـوَاذلُ
وكُلُّ امْـرِىءٍ يَوْماً سَيَعْلَمُ سعْيَهُ إذَا كُشِفَتْ عندَ الإلـهِ المَحاصِلُ

- 2 -

إنّ الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلّب في أنيابها العطب

وقائله **عنترة بن شداد.**

هو عنترة بن عمرو بن شداد بن عمرو بن قراد بن مخزوم ابن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض.

وقال ابن الكلبي : شدادٌ جده أبو أبيه، غلب على اسم أبيه فنسب إليه، وإنما هو عنترة بن عمرو بن شداد، وقال غيره : شداد عمه، وكان عنترة نشأ في حجره، فنسب إليه دون أبيه.

وإنما ادعاه أبوه بعد الكبر، وذلك أنه كان لأمة سوداء يقال لها زبيبةٌ، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أمة استعبده، وكان لعنترة إخوةٌ من أمه عبيدٌ، وكان سبب ادعاء أبي عنترة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس، فأصابوا منهم، فتبعهم العبسيون، فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم: وعنترة فيهم، فقال له أبوه : كر يا عنترة! فقال عنترة : العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والصر فقال: كر وأنت حرٌّ، فكر وهو يقول :

كُلُّ امْرِىءٍ يَحْمِي حِرَهْ
أَسْوَدَهُ وأَحْمَرَهْ
والوارِدَاتِ مِشْفَرَهْ

وقاتل يومئذ فأبلى، واستنقذ ما كان بأيدي عدوهم من الغنيمة فادعاه أبوه بعد ذلك، وألحق به نسبه.

وهو أحد أغربة العرب، وهم ثلاثة : عنترة، وأمه زبيبة، سوداء، وخفاف بن عمير الشريدي، من بني سليم، وأمه ندبة، وإليها ينسب، وكانت سوداء والسليك بن عميرٍ السعدي، وأمه سلكة، وإليها ينسب، وكانت سوداء.

وكان عنترة من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة، حتى سابه رجلٌ من بني عبس، فذكر سواده وسواد أمه وإخوته، وعيره بذلك، وبأنه لا يقول الشعر، فقال له عنترة: والله إن الناس ليترافدون بالطعمة، فما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط، وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم، فما رأيناك في خيلٍ مغيرة في أوائل الناس قط، وإن اللبس ليكون بيننا، فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة فيصل، وإنما أنت فقعٌ نبت بقرقرٍ، وإني لأحتضر البأس، وأوفى المغنم، وأعف عن المسألة، وأجود بما ملكت يدي، وأفصل الخطة الصمعاء، وأما الشعر فستعلم، فكان أول ما قال قصيدةٌ :

هَـلْ غـادَرَ الـشُّـعَـراءُ مِـن مُـتَرَدَّمِ

وهي أجود شعره، وكانوا يسمونها المذهبة. وكان عنترة قد شهد حرب داحس والغبراء، فحسن فيها بلاؤه، وحمدت مشاهده.

قال أبو عبيدة : إن عنترة بعد ما تأوت عبسٌ إلى غطفان بعد يوم جبلة، وحملت الدماء، احتاج، وكان صاحب غاراتٍ، فكبر فعجز عنها، وكان له بكرٌ على رجلٍ من غطفان، فخرج قبله يتجازاه فهاجت رائحةٌ من صيفٍ، وهبت نافحةٌ، وهو بين شرجٍ وناظرة، فأصابت الشيخ فهرأته، فوجدوه ميتاً بينهما.

وهو قتل ضمضماً المري، أبا حصين بن ضمضمٍ وهرم بن ضمضمٍ، في حرب داحسٍ والغبراء، وفي ذلك يقول :

ولَقَدْ خَشِيتُ بأَنْ أمُوتَ ولم تَدُرْ للحَرْبِ دائرَةٌ على ابْنَى ضَمْضَم
الشاتِمَىْ عِرْضى ولم أشْتُمْهُما والنـاذِرَيْن إذا لَمَ الْقَهُما دَمى
إنْ يَفْعَلاَ فلقدْ تَركْتُ أباهما جَزَرَ السباع وكُلِّ نَسْر قَشْعَم

ومما سبق إليه ولم ينازع فيه قوله :

وخَلاَ الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ غَرِداً كفِعْلِ الشارِبِ المُتَرَنِم
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَم

وهذا من أحسن التشبيه. وقوله :

وإذَا شَرِبْتُ فإنَّنى مُسْتَهْلِكٌ مالي وعِرْضِي وافِرٌ لم يُكْلَم
وإذَا صَحَوْتُ فما أُقَصِّرُ عن نَدًى وكما عَلِمْتِ شَمَائلى وتَكَرُّمى

ومن ذلك قوله :

إني امْرُؤٌ منْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِى وأَحْمِى سائِري بالمُنْصُل
وإذَا الكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وتلاحَظَتْ أُلْفِيتُ خَيْراً من مُعَمٍّ مُخْوِلِ

يقول : النصف من نسبي في خير عبس، وأحمي النصف الآخر، وهو نسبه في السودان، بالسيف، فأشرفه أيضاً.

ومن حسن شعره قوله :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنى الحُتُوفَ كأنّنى أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الحُتُوفِ
بِمَعْزِلِ فأَجَبْتُها إنّ المَنِيّةَ مَنْهَلٌ لا بُدّ أنْ أُسْقَى بذاكِ المَنْهَلِ
فاقْنَىْ حَياءَكِ لا أَبالَكِ واعْلَمى أنى امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إن لَم أُقْتَلِ
إنّ المَنِيّةَ لَوْ تُمَثّلُ مُثِّلَتْ مِثْلى إذا نَزَلُوا بضَنْكِ المَنْزِلِ

ومن إفراطه قوله :

وأَنَـا المَنِيّـةُ فِي المَواطِـن كُلّها والـطّـعْـنُ مِنـى سـابِقُ الآجـال

وفي هذه يفخر بأخواله من السودان يقول :

إنـى لَتَعرفَ فِي الحُـرُوبِ وَاطِنى فِي آلِ عَبْسٍ مَشْـهَدِي وفَعَالي
منهم أَبـى حَقّـاً فهُـمْ لي والِـدٌ والأُمُّ مـن حـامٍ فـهُمْ أَخْـوالى
إنّ الأَفـاعي وَإن لانَت مَلامِسُها عِندَ التَقَلُّبِ فِي أَنيابِها العَطَبُ

القصيدة :

لا يَحمِلُ الحِقدَ مَن تَعلو بِهِ الرُتَبُ وَلا يَنالُ العُلا مَن طَبعُهُ الغَضَبُ
وَمَـن يكُن عَبدَ قَـوم لا يُخالِفُهُم إذا جَفوهُ وَيَستَرضي إِذا عَتَبوا
قَد كُنتُ فيما مَضى أَرعى جِمالَهُمُ وَاليَومَ أَحمي حِماهُم كُلَّما نُكِبوا
لِلَّهِ دَرُّ بَنـي عَبسٍ لَقَـد نَسَلوا مِنَ الأَكـارِمِ ما قَد تَنسُلُ العَرَبُ
لَئِن يَعيبوا سَوادي فَهوَ لي نَسَبٌ يَومَ النِزالِ إِذا ما فاتَني النَسَبُ
إِن كُنتَ تَعلَمُ يا نُعمانُ أَنَّ يَدي قَـصـيرَةٌ عَـنـكَ فَـالأَيّـامُ تَنقَلِبُ
الـيَـومَ تَـعلَـمُ يـا نُـعـمـانُ أَيَّ فَتىً يَلقى أَخاكَ الَّذي قَد غَرَّهُ العُصَبُ
إِنَّ الأَفـاعي وَإِن لانَت مَلامِسُها عِندَ التَقَلُّبِ فِي أَنيابِها العَطَبُ
فَتىً يَخوضُ غِمارَ الحَربِ مُبتَسِماً وَيَنثَني وَسِنانُ الرُمحِ مُختَضِبُ
إِن سَلَّ صارِمَهُ سالَت مَضارِبُهُ وَأَشرَقَ الجَوُّ وَانشَقَّت لَهُ الحُجُبُ

إلى أن يقول

أُسـودُ غـابٍ وَلَـكِـن لا نُـيـوبَ لَهُم — إلّا الأَسِـنَّـةُ وَالـهِـنـدِيَّـةُ القُضُبُ

تَحـدو بِـهِـم أَعـوَجِـيّـاتٌ مُضَمَّرَةٌ — مِثلُ السَراحينِ في أَعناقِها القَبَبُ

ما زِلتُ أَلقى صُدورَ الخَيلِ مُندَفِقاً — بِالطَعنِ حَتّى يَضِجّ السَرجُ وَاللَبَبُ

فَالعُميُ لَو كانَ في أَجفانِهِم نَظَروا — وَالخُرسُ لَو كانَ في أَفواهِهِم خَطَبوا

وَالنَقعُ يَومَ طِرادَ الخَيلِ يَشهَدُ لي — وَالضَربُ وَالطَعنُ وَالأَقلامُ وَالكُتُبُ

- 3 -

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

القصيدة **لشرف الدين البوصيري**

محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين أبو عبد الله.

شاعر حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر، أمّه منها. وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون. ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية

تُعد قصيدته الشهيرة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، والمعروفة باسم «البردة» من عيون الشعر العربي، ومن أروع قصائد المدائح النبوية، ودرة ديوان شعر المديح في الإسلام، الذي جادت به قرائح الشعراء على مرّ العصور، ومطلعها من أبرع مطالع القصائد العربية، وهي قصيدة طويلة تقع في 160 بيتا. يقول فيها :

أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بِذي سَلَمِ ... مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أَمْ هَبَّتِ الريحُ مِنْ تلْقاءِ كاظِمَةٍ ... وأَوْمَضَ البَرْقُ في الظلْماءِ مِنْ إِضَمِ
فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفاهَمَتا ... وَما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنّ الحُبَّ مُنْكتِمٌ ... ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ
لولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعَاً عَلَى طَلَلٍ ... ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ
فكيفَ تُنْكِرُ حُبّاً بعدَ ما شَهِدَتْ ... بهِ عليكَ عدولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ
وَأَثْبَتَ الوجدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنىً ... مِثْلَ البَهارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ
نَعَمْ سَرَى طَيفُ مَنْ أهوَى فَأَرَّقَني ... والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالألَمِ

يا لائمي في الهَوَى العُذْرِيّ مَعْذِرَةً مِنّي إليكَ ولو أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُم
عَدَتْكَ حالي لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ عَنِ الوُشاةِ وَلا دائي بِمُنْحَسِمِ

إلى أن يقول:

لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنْكِرُها تَجاهُلاً وهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِم
قد تُنْكِرُ العيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ من رَمَدٍ ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ كم سَقَم
يا خيرَ مَنْ يَمَّمَ العافُونَ ساحَتَهُ سَعْياً وفَوْقَ الأَيْنُقِ الرُّسُم
وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إلَى حَرَمِ كما سَرَى البَدْرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبِتَّ تَرْقَى إلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ
وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأنبياءِ بها والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ في مَوْكِبٍ كُنْتَ فيه صاحِبَ العَلَمِ
حتى إذا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ مِنَ الدُّنُوِّ وَلا مَرْقَىً لِمُسْتَنِمِ
خَفَضْتَ كلَّ مَقامٍ بالإضافَةِ إذْ نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ
كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتِمِ
فَحُزْتَ كلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ وَجُزْتَ كلَّ مَقامٍ غيرَ مُزْدَحَمِ
وَجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ وعَزَّ إدْرَاكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ
بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإسلامِ إنَّ لنا مِنَ العِنَايَةِ رُكْناً غيرَ مُنْهَدِمِ
لَمّا دَعا اللهُ داعِينا لِطَاعَتِه بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنّا أَكْرَمَ الأُمَمِ
راعَتْ قلوبَ العِدا أَنباءُ بِعْثَتِه كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ
ما زالَ يَلْقاهُمَ في كلِّ مُعْتَرَكٍ حتى حَكَوْا بالقَنا لَحْماً على وَضَمِ
وَدُّوا الفِرارَ فكادُوا يَغْبِطُونَ به أَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبَانِ والرَّخَمِ

تَمْضي اللّيالي وَلا يَـدْرُونَ عِدّتها ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالي الأَشْهُرِ الحُرُمِ
كأنّما الدّينُ ضَيْفٌ حَلّ سَاحَتَهُمْ بِكلِّ قَـرْمٍ إلَى لَحْـمِ الـعِدا قَـرِمِ

إلى أن يقول :

يا نَفْسُ لا تَقْنُطِي مِنْ زَلّةٍ عَظُمَتْ إنّ الكَبَائِرَ في الغُفْرانِ كاللّمَمِ
لَـعَلّ رَحْـمَـةَ رَبّـي حـينَ يَقْسِمُه تأْتي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ في القِسَمِ
يارَبِّ وَاجْعَلْ رَجائي غيرَ مُنْعَكِسٍ لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ
وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ في الدّارَيْنِ إنّ لَهُ صَبْراً مَتى تَدْعُهُ الأهـوالُ يَنْهَزِمِ
وَائْذَنْ لِسُحْبِ صلاةٍ مِنكَ دائمةً عَلَـى النّبـيّ بِمُنْـهَـلٍّ ومُنْسَجِمِ
ما رَنّحَتْ عَذَباتِ البانِ ريحُ صَباً وأَطْرَبَ العِيسَ حادي العِيسِ بِالنّغَمِ

- 4 -

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللؤمِ عرضه
فكلُّ رداء يرتديه جميل

البيت **السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي.**

شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر في شمالي المدينة، كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق من أهل تيماء.

أشهر شعره لاميته وهي من أجود الشعر يضرب به المثل في الوفاء وذلك أن امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج إلى قيصر استودع السموءل دروعاً له، فلما مات امرأ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموأل فأخذ الملك ابناً له خارج الحصن وصاح، يا سموأل هذا ابنك في يدي وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمي وأنا أحق بميراثه، فإن دفعت إلي الدروع وإلا ذبحت ابنك. فقال: أجلني فأجله، فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم أشاروا بدفع الدروع وأن يستنفذ ابنه، فلما أصبح أشرف عليه وقال: ليس لي إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر إليه وكان يهودياً، وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرأ القيس فقال في ذلك:

وفيت بأدرع الكندي إني ... إذا ما خان أقوام وفيت
وقالوا عنده كنز رهيب ... فلا وأبيك أغدر ما مشيت
بنى لي عادياً حصناً حصيناً ... وبئراً كلما شئت استقيت

وفي ذلك يقول الأعشى:

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار

بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدار
خبره خطتي خسف فقال له ... مهما تقولن فإني سامع حار
فقال ثكل وغدر أنت بينهما ... فاختر فما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل أسيرك إني مانع جاري

أشهر أشعاره عندما أجار الأميرة ابنة الملك المنذر عندما فرت من بطش «كسرى فارس»، يقول فيها

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللؤمِ عرضه ... فكلُّ رداء يرتديه جميل
وإنْ هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعيرنا إنا قليلٌ عديدنا ... فقلتُ لها إن الكرامَ قليل
وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا ... شبابٌ تسامى للعلى وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيزٌ، وجار الأكرمين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسحابه ... إلى النجم فرعٌ لا ينال طويل
وأنا لقومٌ ما نرى القتل سبةً ... إذا ما رأته عامرٌ وسلول
يقربُ حبُ الموت آجالنا لنا ... وتكرههُ آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طلّ منا حيث كان قتيل
تسيل على حد السيوف نفوسنا ... وليست على غير السيوف تسيل
صفونا فلم نكدر، وأخلص سرنا ... إناثٌ أطابت حملنا وفحولُ
علونا إلى خير الظهور، وحطنا ... لوقتٍ إلى خير البطون نزول
فنحن كما المزن ما في نصابنا ... كهامٌ، ولا فينا يعدُّ بخيل
وننكر إنْ شينا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقولُ

إذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ قــؤولٌ بما قال الكرامُ فعولُ
وما أخمدتْ نارٌ لنا دونَ طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورةٌ في عدونا بها من قراع الدارعين فلولُ
معودة ألا تسلّ نصالها فتغمد حتى يستباح قبيلُ
سلي إنْ جهلت الناس عنا وعنهم وليس سواءً عالمٌ وجهول
فإن بني الديان قطبٌ لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

- 5 -

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يعتاده من توهم

قائله **المُتَنَبِّي أبو الطيب المتنبي**

أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الكوفي المتنبي الشاعر، ولد سنة ثلاث وثلاث مائة وأكثر المقام بالبادية لاكتساب اللغة ونظر في فنون الأخبار وأيام الناس والأدب وقال الشعر من صغره حتى بلغ الغاية وفاق أهل عصره ولم يأت بعده مثله ومدح الملوك وسار شعره في الدنيا. قال ضياء الدين ابن الأثير : سافرت إلى مصر ورأيت الناس يشغلون بشعر المتنبي فسألت القاضي الفاضل فقال : إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس. وكان قد خرج إلى كلب فادعى فهم أنه علوي ثم ادعى النبوة إلى أن اشهد عليه بالكذب بالدعوتين وحبس دهراً وأشرف على القتل ثم استتابوه وأطلقوه ثم إنه تنبأ في بادية السماوة فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيد فأسره بعد أن شرد من معه ثم حبسه دهراً فاعتل وكاد يتلف ثم استتيب بمكتوب، وقيل إنه قال: أنا أول من تنبأ بالشعر، ثم التحق بالأمير سيف الدولة ابن حمدان وحظي عنده ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاث مائة ومدح كافوراً الإخشيدي وكان يقف بين يديه وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ثم يركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاث مائة ووجه كافور الإخشيدي خلفه رواحل إلى جهات شتى فلمخ يلحق. وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله فلما رأى تعاطيه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد النبي

صلى الله عليه وسلم أما يدعي المملكة مع كافور فحسبكم. وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء في ليلة النحر فيتكلمون بحضرته فوقع بين المتنبي وبين ابن خالويه كلام فوثب ابن خالويه على المتنبي فضربه في وجهه بمفتاح فشجه وخرج ودمه يسيل وغضب وخرج إلى مصر. ولما فارق مصر قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة ابن بويه فأجزل جائزته.

ورجع من عنده قاصداً بغداذ ثم إلى الكوفة في شعبان لثمان خلون منه فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في عدة من أصحابه وكان مع المتنبي جماعة أيضاً فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية بمكان يقال له الصافية وقيل عند دير العاقول. ذكر ابن رشيق في العمدة: لما فر أبو الطيب حين رأى الغلبة قال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فكر راجعاً وقتل

قال يمدح كافوراً :

رحلت فكم باكٍ بأجفان شادن ... علي وكم باك بأجفان ضيغم
وما ربة القرط المليح مكانه ... بأجزع من رب الحسام المصمم
فلو كان ما بي من حبيب مقنع ... عذرت ولكن من حبيب معمم
رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى ... هوىً كاسرٌ كفي وقوسي وأسهمي
إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظُنونهُ ... وصدّقَ ما يعتادُهُ من توهُمِ
وعادى مُحبّيه بقولِ عُداتِهِ ... وأصبح في ليلٍ من الشّكِّ مُظلمِ
أُصادقُ نفسَ المرءِ من قبلِ جسمِهِ ... وأعرفُها في فعلِهِ والتّكلُّمِ

وأحلُم عن خلّي وأعلمُ أنّه　　مَتَى أجْزه حلماً على الجهلِ يندمِ
وإن بذلَ الإنسانُ لي جودَ عابسٍ　　جزيتُ بجودِ الباذِلِ المُتبسِّمِ
وأهوى من الفتيان كلَّ سَميْدعٍ　　نجيبٍ كصدرِ السَّمْهريِّ المُقوَّمِ
خطتْ تحتَهُ العيسُ الفَلاةَ وخالطَتْ　　به الخيلُ كبّاتِ الخميسِ العرمرمِ

إلى أن يقول :

أبا المسكِ أرجو منك نصراً على العدا　　وآمُلُ عزّاً يخضبُ البيضَ بالدّمِ
فلو لم تكنْ في مصرَ ما سرْتُ نحوها　　بقلبِ المشوقِ المُستهامِ المتيَّمِ
ولا نبحتْ خيلي كلابُ قبائلٍ　　كأنّ بها في اللّيل حمْلاتُ ديلمِ
ولا اتّبعتْ آثارَنا عينُ قائفٍ　　فلم ترَ إلاّ حافراً فوقَ منسمِ
لمن تطلبُ الدُّنيا إذا لم تَردْ بها　　سرورَ محبٍّ أو إساءةَ مجْرمِ
رضيتُ بما ترضى به لي محبّةً　　وقُدتُ إليكَ النّفسَ قودَ المُسلِّمِ
ومثلُكَ من كانَ الوسيطَ فؤادُهُ　　فكلّمهُ عنّي ولم أتكلّمِ

- 6 -

وَكَـم مِـن عـائِـبٍ قَـولاً صَـحيحاً
وَآفَـتُـهُ مِـنَ الـفَـهـمِ الـسَـقـيـمِ

البيت **للمتنبي** (سبق ترجمته)

من قصيدة

إذا غـامَـرتَ فِي شَـرَفٍ مَـرومِ ... فَـلا تَـقـنَـع بِمـا دونَ الـنُـجـومِ
فَـطَـعـمُ المَـوتِ فِي أَمـرٍ صَغيرٍ ... كَـطَـعـمِ المَـوتِ فِي أَمـرٍ عَظيمِ
سَتَبكي شَجوَها فَرَسي وَمُهري ... صَـفـائِحُ دَمعُها مـاءُ الجُسومِ
قَـرَبـنَ الـنـارَ ثُـمَّ نَـشَـأنَ فيها ... كَـمـا نَـشَـأَ الـعَـذارى فِي النَعيمِ
وَفـارَقـنَ الـصَـياقِلَ مُخلَصاتٍ ... وَأَيـديـهـا كَـثـيراتُ الـكُـلـومِ
يَـرى الجُـبَـنـاءُ أَنَّ الـعَـجـزَ عَقلٌ ... وَتِـلـكَ خَـديـعَـةُ الـطَـبـعِ اللَئيمِ
وَكُـلُّ شَـجـاعَـةٍ فِي المَـرءِ تُغني ... وَلا مِـثـلَ الـشَـجـاعَـةِ فِي الحَكيمِ
وَكَـم مِـن عـائِـبٍ قَـولاً صَحيحاً ... وَآفَـتُـهُ مِـنَ الـفَـهـمِ السَقيمِ
وَلَـكِـن تَـأخُـذُ الآذانُ مِـنـهُ ... عَـلـى قَـدرِ الـقَـرائِـحِ وَالـعُـلـومِ

- 7 -

ولا خيرَ في حُسنِ الجسُومِ وطُولِها

إذا لم تزِنْ حُسنَ الجسُومِ عقولُ

قائله **مُبَشِّر بن الهُذَيْل الفَزارِيّ** (شاعر جاهلي)

من قصيدة يعتذر فيها عن قصر قامته

وعاذلة هَبت بليل تلومني — ولم يفتني في قبل ذاك عذول

تقول اتئد لا يَرْعُكَ الناس مُملقاً — ويزري بمن يا بن الكرام تقول

فقلت : أبت نفسٌ عليّ كريمةٌ — وطارق ليل غير ذاك يقول

سرى في سواد الليل يضرب ثوبه — ذراعيّة تزجي السقيط بليل

وقيل فان أو فلان وأعصفت — شمال بضراد الجهام بليل

فإني لا أخزى إذا قيل مملقٌ — سخيٌ وأحرى أن يقال بخيل

فان لا يكن باعي طويلا فإنني — له بالخلال الصالحات وصول

إذا كنتُ في القوم الطوالِ فَضَلتُهُمْ — بعارفة حتى يقال طويل

وكم قد رأينا من فروع كثيرة — تموت إذا لم يحيهن أصول

وإن آل قصدا في الرجال فإنني — إذا حلّ أمر ساحتي لجليل

ولا تنظري ما يعجب العين وانظري — إلى عنصر الأحساب أين يؤول

ولا خير في حسن الجسوم وطولها — إذا لم يزن حُسنَ الجسوم عقول

ولم أرَ كالمعروف أمّا مَذاقُه — فحُلوٌ، وأمّا وجهُهُ فجميلُ

- 8 -

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ
وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدا

قائله **المتنبي** (سبق ترجمته)

قصيدة يمدح فيها سيف الدولة

لكلّ امرئٍ من دهرِهِ ما تعوّدا — وعادةُ سيفِ الدّولةِ الطّعنُ في العدا
وأن يكذبَ الإرجافَ عنهُ بضدِّه — ويُمسي بما تنوي أعاديه أسعَدَا
وربّ مُريدٍ ضرّهُ ضرّ نفسِهِ — وهادٍ إليهِ الجيشَ أهدى وما هَدَى
ومُستكبرٍ لم يعرفِ اللهَ ساعةً — رأى سيفَهُ في كفِّهِ فتشهّدا
هوَ البحرُ غُصْ فيه إذا كانَ ساكناً — على الدُّرِّ واحذرهُ إذا كانَ مُزبدا
فإنّي رأيتُ الدّهرَ يعثُرُ بالفتَى — وهذا الّذي يأتي الفتَى متعمّدا
تظلُّ ملوكُ الأرضِ خاشعةً لهُ — تُفارقُهُ هلْكى وتلقاهُ سُجّدا
ذكيٌّ تظنّيهِ طليعةُ عينِهِ — يرى قلبهُ في يومِهِ ما ترَى غدَا
وَصولٌ إلى المُستصعباتِ بخيلِهِ — فلو كانَ قرنُ الشّمسِ ماءً لأوْرَدَا
فواعجباً من دائلٍ أنتَ سيفُهُ — أما يتوقّى شفرَتَيْ ما تقلّدا
ومَن يَجعلِ الضّرغامَ في الصّيدِ بازَه — تصيّدهُ الضّرغامُ فيما تصيّدا
رأيتكَ محضَ الحِلمِ في محضِ قدرةٍ — ولو شئتَ كانَ الحلمُ منكَ المهنّدا
وما قتلَ الأحرارَ كالعفوِ عنهمُ — ومَن لكَ بالحُرِّ الّذي يحفظُ اليَدَا
إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ — وإنْ أنتَ أكرمتَ اللّئيمَ تمرّدا
ووضعُ النّدى في موضعِ السّيْفِ بالعُلا — مضرٌّ كوضعِ السّيْفِ في موضعِ النّدَى

ولكنْ تفوقُ النّاسَ رأياً وحكمةً كما فُقتهمْ حالاً ونفْساً ومحتِدا
وما الدّهْرُ إلاّ من رُواةِ قلائِدي إذا قلتُ شِعراً أصبَحَ الدّهْرُ مُنشِدا
فسارَ بهِ مَن لا يسيرُ مشمِّراً وغنّى بهِ مَن لا يغنّي مغرِّدا
أجْزِني إذا أُنشدت مَدْحاً فإنّما بشِعري أتاكَ المادحونَ مردّدا
ودعْ كلّ صوتٍ بعدَ صوتي فإنّني أنا الصّائحُ المحكيُّ والآخرُ الصّدى
تركتُ السُّرى خلفي لمنْ قلّ مالُهُ وأنعلتُ أفراسي بنُعماكَ عسجَدَا
وقيّدتُ نفسي في ذراكَ محبّةً ومن وجَدَ الإحسانَ قيداً تقيّدا
إذا سألَ الإنسانُ أيّامَهُ الغِنَى وكنتَ على بعدٍ جعلنَكَ موعِدا

- 9 -

مـا كُـلّ مـا يـتـمـنـى المـرء يُـدرِكـهُ
تَجـري الـرِّيـاحُ بِمـا لا تشتهي السفنُ

قائله **المتنبي**، من قصيدة يمدح بها كافوراً الأخشيدي صاحب مصر ولم ينشدها له، وكان اتصل به أقواماً نعوه في مجلس سيف الدولة، وأولها :

بِمَ التعَلّلُ لا أهلٌ ولا وطنُ ... ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ
أريدُ من زَمني ذا أن يبلغَني ... ما ليسَ يبلغُهُ في نفسه الزمنُ
لا تلقَ دهرَكَ إلا غيرَ مكترثٍ ... ما دام يَصْحَبُ فيه رُوحَكَ البدنُ
فما يدومُ سرورٌ ما سُرِرْتَ به ... ولا يَرُدُّ عليكَ الفائتَ الحزَنُ
مما أضرّ بأهل العشقِ أنهمُ ... هَوَوْا وما عرَفوا الدنيا وما فطِنوا
تفني عيونُهُم دمعاً وأنفُسُهم ... في إثرِ كلِّ قبيحٍ وجهُه حسَنُ
تحمّلوا حملتكم كل ناجيةٍ ... فكلّ بَينٍ عليّ اليومَ مؤتمنُ
ما في هَوادجكم من مُهجتي عِوَض ... إن مُتُ شوقاً ولا فيها لها ثمنُ
يا من نُعِيتُ على بعدٍ بمجلسه ... كلٌّ بِما زعم الناعوْنَ مرتَهَنُ
كم قد قُتِلت وكم قدمُتُ عندكم ... ثم انتفضت فزال القبر والكفنُ
قد كان شاهَدَ دفني قبل قولهم ... جماعةٌ ثم ماتوا قبل مَنْ دَفنوا
ما كُلّ ما يتمنىّ المرء يُدرِكهُ ... تَجري الرِّياحُ بِما لا تشتهي السفنُ

إلى أن يقول :

أَبلى الأَجِلّةَ مُهري عِندَ غَيرِكُمُ   وَبُدِّلَ العُذرُ بِالفُسطاطِ وَالرَسَنُ
عِندَ الهُمامِ أَبي المِسكِ الَّذي غَرِقَت   في جودِهِ مُضَرُ الحَمراءِ وَاليَمَنُ
وَإِن تَأَخَّرَ عَنّي بَعضُ مَوعِدِهِ   فَما تَأَخَّرُ آمالي وَلا تَهِنُ
هُوَ الوَفِيُّ وَلَكِنّي ذَكَرتُ لَهُ   مَوَدَّةً فَهوَ يَبلوها وَيَمتَحِنُ

- 10 -

وَلَئِن نَدِمتَ عَلى سُكوتِكَ مَرَّةً
فَلَقَد نَدِمتَ عَلى الكَلامِ مِرارا

قائله **أبو العتاهية** :

إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي، أبو إسحاق.

شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره. ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد.

كان في بدء أمره يبيع الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك الخليفة العباسي المهدي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل إن لم يقل الشعر، فعاد إلى نظمه، فأطلقه. توفي في بغداد.

القصيدة

إن كانَ يُعجِبُكَ السُكوتُ فَإِنَّهُ ... قَد كانَ يُعجِبُ قَبلَكَ الأَخيارا
وَلَئِن نَدِمتَ عَلى سُكوتِكَ مَرَّةً ... فَلَقَد نَدِمتَ عَلى الكَلامِ مِرارا
إِنَّ السُكوتَ سَلامَةٌ وَلَرُبَّما ... زَرَعَ الكَلامُ عَداوَةً وَضِرارا
وَإِذا تَقَرَّبَ خاسِرٌ مِن خاسِرٍ ... زادا بِذاكَ خَسارَةً وَتَبارا

- 11 -

يُخاطِبُني السَّفيهُ بِكُلِّ قُبحٍ
فَأكرَهُ أن أكونَ لَهُ مُجيبا

قائله **الشافعي**

الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشي المطلبي الشافعي، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف المذكور، وباقي النسب إلى عدنان معروف، لقي جده شافع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع، وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر، فأسر وفدى نفسه ثم أسلم، فقيل له : لم لم تسلم قبل أن تفدي نفسك؟ فقال : ما كنت أحرم المؤمنين مطمعا لهم في.

وكان الشافعي كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم، واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والعربية والشعر - حتى إن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين - ما لم يجتمع في غيره، حتى قال أحمدبن حنبل رضي الله عنه : ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : ما رأيت رجلا قط أكمل من الشافعي، وقال عبد الله بن أحمد ابن حنبل : قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له، فقال : يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن، هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض؟ وقال أحمد : ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي

وأستغفر له، وقال يحيى بن معين : كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي، ثم استقبلته يوما والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه، فقلت : يا أبا عبد الله، تنهانا عنه وتمشي خلفه؟ فقال : اسكت، لو لزمت البغلة انتفعت.

وقال الشافعي : قدمت على مالك بن أنس وقد حفظت الموطأ فقال لي : أحضر من يقرأ لك، فقلت: أنا قارئ، فقرأت عليه الموطأ حفظا، فقال : إن يك أحد يفلح فهذا الغلام.

وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال : سلوا هذا الغلام. وقال الحميدي : سمعت زنجي بن خالد ـ يعني مسلما ـ يقول للشافعي : أفت يا أبا عبد الله فقد والله آن لك أن تفتي، وهو ابن خمس عشرة سنة، وقال محفوظ بن أبي توبة البغدادي : رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام، فقلت: يا أبا عبد الله، هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث، فقال : إن هذا يفوت وذاك لا يفوت. وقال أبو حسان الزيادي : ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحدا من أهل العلم تعظيمه للشافعي، ولقد جاءه يوما فلقيه وقد ركب محمد بن الحسن، فرجع محمد إلى منزله وخلا به يومه إلى الليل، ولم يأذن لأحد عليه.

والشافعي أول من تكلم في أصول الفقه وهو الذي استنبطه، وقال أبو ثور: من زعم انه رأى مثل محمد بن إدريس في علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب، كان منقطع القرين في حياته، فلما مضى لسبيله لم يعتض منه.

وقال أحمد بن حنبل : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة. وكان الزعفراني يقول : كان أصحاب الحديث رقودا حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا. ومن دعائه : اللهم يا لطيف أسألك اللطف

فيما جرت به المقادير، وهو مشهور بين العلماء بالإجابة، وأنه مجرب. وفضائله أكثر من أن تعدد.

ومولده سنة خمسين ومائة، وقد قيل إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، وكانت ولادته بمدينة غزة، وقيل بعسقلان، وقيل باليمن، والأول أصح، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم، وحديث رحلته إلى مالك بن أنس مشهور فلا حاجة إلى التطويل فيه، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين، ثم خرج إلى مكة، ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهرا، ثم خرج إلى مصر، وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة، وقيل سنة إحدى ومائتين. ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين. والقصيدة منها :

يُخاطِبُني السَفيهُ بِكُلِّ قُبحٍ ... فَأَكرَهُ أَن أَكونَ لَهُ مُجيبا
يَزيدُ سَفاهَةً فَأَزيدُ حِلماً ... كَعودٍ زادَهُ الإِحراقُ طيبا

- 12 -

رَأَيْتُ المَنايا خَبْطَ عَشْواءَ، مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ، ومَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فيَهْرَمِ

قائله **زهير بن أبي سلمى**

هو زهير بن ربيعة بن قرط، والناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما نسبه في غطفان، وليس لهم بيت شعرٍ ينتمون فيه إلى مزينة إلا بيت كعب بن زهير، وهو قوله :

هُمُ الأَصْل مِنّي حَيْثُ كُنْتُ وإنَّني   من المُزَنيينَ المُصَفَّيْنَ بالكَرَمْ

ويقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحدٍ من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، وفي الإسلام ما اتصل في ولد جرير. وكان زهير راوية أوس بن حجر.

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : أنشدوني لأشعر شعرائكم، قيل : ومن هو؟ قال : زهير، قيل : وبم صار كذلك؟ قال : كان لا يعاظل بين القول، ولا يتبع حوشي الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه، وهو القائل:

إذَا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بنُ عَيْلاَنَ غايَةً   مِنَ المَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إلَيْها يُسَوَّدِ
سَبَقْتَ إِلَيْها كُلَّ طَلْقٍ مُبرَزٍ   سَبُوقٍ إلى الغاياتِ غَيْرِ مُخَلدِ

ويروى غير مبلد والمخلد في هذا الموضع : المبطئ.

فلَوْ كان حَمْدٌ يُخْلِدُ الناسَ لم تَمُتْ   ولكِنّ حَمْدَ المَرْءِ لَيْسَ بمُخْلدِ

وكان قدامة بن موسى عالماً بالشعر، وكان يقدم زهيراً ويستجيد قوله :

قَدْ جَعَلَ المُبْتَغُونَ الخَيْرَ في هَرِمٍ   والسّائِلُونَ إلى أَبْوَابِهِ طُرُقَا
مَنْ يَلْقَ يَوْماً على عِلاّتِهِ هَرِماً   يَلْقَ السّمَاحَةَ فيه والنّدَى خُلُقَا

قال عكرمة بن جرير: قلت لأبي : من أشعر الناس؟ قال : أجاهليةً أم إسلاميةً؟ قلت : جاهليةً؟ قال : زهير، قلت : فالإسلام؟ قال : الفرزدق، قلت : فالأخطل؟ قال : الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر، قلت له : فأنت؟ قال أنا نحرت الشعر نحراً.

قال عبد الملك لقومٍ من الشعراء : أي بيت أمدح؟ فاتفقوا على بيت زهيرٍ:

تَـرَاهُ إذَا مـا جِـئْـتَـهُ مُـتَـهَـلِّـلاً　　كـأنَّـكَ تُعْطِيهِ الّـذِي أَنْـتَ سائِلُهْ

قيل لخلف الأحمر : زهيرٌ أشعر أم ابنه كعب؟ قال : لولا أبياتٌ لزهيرٍ أكبرها الناس لقلت إن كعباً أشعر منه، يريد قوله :

لِمَـنِ الـديـارُ بـقُـنَّـةِ الحَـجْـرِ　　أَقْـوَيْـنَ مـن حِـجَـجٍ ومـن دَهْـرِ
ولأَنْـتَ أَشْـجَـعُ من أُسَـامَـةَ إذْ　　دُعِـيَ الـنـزَالُ ولُـجَّ في الـذُّعْـرِ
ولأَنْـتَ تَـفْـرِي مـا خَـلَـقْـتَ وبَعْـ　　ضُ الـقَـوْمِ يَـخْـلُـقُ ثُـمَّ لا يَفْرِي
لَـوْ كُـنْـتَ مـن شَـيءٍ سِـوَى بَشَرٍ　　كُـنْـتَ الْمُـنَـوِّرَ لَـيْـلَـةَ الـبَـدْرِ

وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث وذلك قوله :

يُـؤَخَّـرْ فـيُـوضَعْ في كِـتـاب فيُدَّخَرْ　　لِـيَـوْمِ الحِساب أَو يُعَجَّلْ فيُنْقَم

وشبه زهيرٌ امرأةً في الشعر بثلاثة أوصافٍ في بيت واحد فقال :

تَـنَـازَعَـتِ المَهَـا شَـبَـهاً ودُرُّ البُـ　　حُـورِ وشَـاكَـهَـتْ فيـهـا الـظِّـبَـاءُ

ثم قال ففسر :

فـأَمَّـا مـا فُـوَيْـقَ الـعِـقْـدِ منها　　فـمِـنْ أَدْمـاءَ مَـرْتَـعُـهَـا الخَـلاَءُ
وأَمَّــا المُـقْـلَـتـانِ فـمـن مَـهَـاةٍ　　ولـلـدُّرِّ المَـلاَحَـةُ والـصَّـفـاءُ

وقال بعض الرواة : لو أن زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، ما زاد على ما قال :

فــإِنّ الحَــقّ مَـقْـطَـعُـهُ ثَـلاَثٌ   يَمِــيْنٌ أَو نِــفَــارٌ أَو جِــلاَءُ

يعني يميناً أو منافرةً إلى حاكم يقطع بالبينات أو جلاءً، وهو بيان وبرهانٌ يجلو به الحق وتتضح الدعوى.

مَسَائِلُ إنْ تُوجَدْ لديهِ تَجُدْ بها   يَـدَاهُ وإنْ يُـظْـلَـمْ بـهـا يَـتَـظَـلّـمِ

المصرم : القليل المال. هو زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مزينة مضر، وكان زهيرٌ جاهلياً لم يدرك الإسلام، وأدركه ابناه كعبٌ وبجيرٌ، وأتى بجيرٌ النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فكتب إليه كعب :

أَلاَ أَبْـلِـغَـا عَـنّـى بُـجَـيْراً رسَالَةً   فهل لَكَ فيما قُلْتَ بالخَيْفِ هَل لَكَا

سُـقِـيتَ بكأْسٍ عِـنْـدَ آلِ مُحَمّد   فـأَنْـهَـلَـكَ المَـأْمُـونُ منها وعَلّكَا

فخالَفْتَ أَسْبَابَ الهُدَى وتَبِعْتَهُ   على أَيّ شَـيْءٍ وِيْبَ غَـيْرِكَ دَلّكَا

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هذا، فتوعده ونذر دمه، فكتب بجير إلى كعب يخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا ممن كان يهجوه، وأنـه لم يبق من الشعراء الذين كانوا يؤذونه إلا ابن الزبعري السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، وقد هربا منه، فإن كانت لك في نفسك حاجةٌ فاقدم عليه، فانه لا يقتل أحداً أتاه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك. فلما ورد عليه الكتاب ضاقت عليه الأرض برحبها، وأرجف به من كان بحضرته من عدوه، فقال قصيدته التي أولها :

بـانَـتْ سُـعَـادُ فـقَـلْـبـى الـيَـوْمَ مَـتْـبُـولُ

وفيها قال :

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ أَوْعَـدَني والعَفْوُ عِنْدَ رَسُـولِ اللهِ مَأْمُولُ

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وأنشده شعره، فقبل توبته وعفا عنه، وكساه برداً، فاشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم، فهو عند الخلفاء إلى اليوم. وكان لكعب ابنٌ يقال له عقبة بن كعب، شاعر، ولقبه المضرب، وذلك أنه شبب بامرأة من بني أسد فقال :

ولا عَيْبَ فيها غَيرَ أَنَّـك واجِدٌ مَـلاقِيـهَـا قـد دُيِّـثَـتْ بِـرُكُـوبِ

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف، فلم يمت، وأخذ الدية، فسمى المضرب وولد لعقبة العوامُ، وهو شاعر. فهؤلاء خمسة شعراء في نسق: العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، وكان أبو سلمى أيضاً شاعراً. وهو القائل في خاله أسد المري، وابنه كعب بن أسعد، وكان حمل أمه وفارقهما :

لَـتُـصْـرَفَـنْ إبِـلٌ مُحَـبَّـبَـةٌ مـن عِـنْـد أَسْـعَـدَ وابْـنِـه كَعْب

الآكِـلـينَ صَـريـحَ قَـوْمِـهـمَـا أَكْـلَ الحُـبَـارَى بُـرْعُـمَ الـرُّطْـبِ

وقال عمر لابن عباس : أنشدني لشاعر الشعراء الذي لم يعاظل بين القوافي، ولم يتبع وحشي الكلام، قال : ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير. فلم يزل ينشده إلى أن برق الصبح.

وكان زهيرٌ أستاذ الحطيئة. وسئل عنه الحطيئة فقال: ما رأيت مثله في تكفيه على أكناف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء، من اختلاف معانيها، امتداحا وذما. قيل له : ثم من؟

قال: ما أدرى، إلا أن تراني مسلنطحاً، واضعاً إحدى رجلي على الأخرى رافعاً عقيرتي أعوى في أثر القوافي.

قال أبو عبيدة : يقول من فضل زهيراً على جميع الشعراء : إنه أمدح

القوم وأشدهم أسر شعرٍ. قال: وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: الفرزدق يشبه بزهير وكان الأصمعي يقول:

زهيرٌ والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين.

قال وكان زهير يسمى كبر قصائده الحوليات. وكان جيد شعره في هرم بن سنانٍ المري. وقال عمر رضي الله عنه لبعض ولد هرمٍ:

أنشدني بعض ما قال فيكم زهيرٌ، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل! فقال عمر رضي الله عنه: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم. ومما سبق إليه زهيرٌ فأخذ منه قوله يمدح هرماً:

هُوَ الجَـوَادُ الّـذي يُعطِيكَ نَائِلَهُ   عَـفْـواً ويُـظْـلَـمُ أَحْـيَـانـاً فَيَظَلِمُ

أي يسأل ما لا يقدر عليه فيتحمله، أخذه كثيرٌ، فقال:

رَأَيْتُ ابنَ لَيْلَى يَعتَرِي صُلْبَ مالِهِ   مَسَـائِلُ شَـتَّـى من غَنـيّ ومُعْدِمِ
مسائِلُ إنْ تُوجَدْ لَدَيْكَ تَجُدْ بها   يَـدَاكَ وإنْ تُـظْـلَـمْ بـهـا تَتَظَلَّمِ

القصيدة

ويذكر فيها ما قام به هرم بن سنان والحارث بن عوف من إعادة السلم إلى عبس وذبيان:

أَمِـنْ أُمّ أَوْفَـى دِمْـنَـةٌ لم تَكلّمِ   بِـحَـوْمَـانَـةِ الـدّرّاجِ فـالمُـتَـثَـلَّـمِ
دِيَـــارٌ لـهـا بـالـرّقْـمَـتَـيـنِ كَـأنّـهـا   مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ في نَوَاشِرِ مِعْصَمِ
بِهَا العِينُ والآرامُ يَمْشِينَ خِلفَةً   وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلّ مَجْثَمِ
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشرينَ حِجّةً   فَـلأْيـاً عَـرَفْـتُ الـدّارَ بَـعْـدَ تَوَهُّمِ

أَثَـافِيَّ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوضِ لم يَتَثَلَّمِ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا: أَلاَ انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ واسْلَمِ
تَبَصَّرْ خَليلي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بالعَلياءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ
جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وحَزْنَهُ وَكَمْ بالقَنانِ مِنْ مُحِلٍ وَمُحْرِمِ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ وِرَادٍ حَواشِيهَا مُشَاكِهَةِ الدَّمِ
ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبانِ ثمّ جَزَعْنَهُ عَلى كلِّ قَينيٍ قَشيبٍ ومُفْأَمِ
وَوَرَّكْنَ فِي السّوبانِ يَعلُونَ مَتْنَهُ عَلَيهِنّ دَلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعِّمِ
بَكَرْنَ بُكُوراً واستَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنّ وَوادي الرسّ كاليَدِ للفَمِ
وَفِيهِنّ مَلْهىً لِلّطيفِ وَمَنظَرٌ أَنيقٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ
كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ
فَلَمّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقاً جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصيّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ
تُذَكِّرُني الأحلامَ لَيْلَى وَمَنْ تُطِفْ عَلَيْهِ خَيَالاَتُ الأحِبّةِ يَحْلُمِ
سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرّةَ بَعْدَمَا تَبَزّلَ ما بَيْنَ العَشِيرةِ بِالدّمِ
فَأَقْسَمْتُ بِالبيْتِ الذي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ
يَميناً لَنِعْمَ السّيدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحيْلٍ وَمُبْرَمِ
تَدارَكْتُما عَبْساً وذُبْيَانَ بَعْدَما تَفَانَوْا وَدَقّوا بَيْنَهم عِطرَ مَنْشَمِ
وَقد قُلتُما إنْ نُدرِكِ السّلمَ واسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوْفٍ مِنَ الأمرِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْها على خَيرِ مَوْطِنٍ بَعيدَيْنِ فيها مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ
عَظِيْمَيْنِ فِي عُليا مَعَدٍ هُدِيْتُمَا، وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ
وَأَصْبَحَ يُحْدَى فيهِمُ مِنْ تِلادِكُمْ مَغَانِمُ شَتّى مِنْ إفالِ مُزَنَّمِ

إلى أن يقول :

وَمَنْ لا يَزَلْ يَسْتَرْحِلُ النّاسَ نَفْسَهُ، وَلاَ يُعْفِها يوماً من الـذُّلّ يَنْدَم
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوّاً صَدِيْقَهُ وَمَـنْ لا يُـكَـرّمْ نَفْسَـه لا يُـكَـرَّم
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِه بِسِلاَحِه يُهَدّمْ وَمَنْ لاَ يَظلِم النّاسَ يُظْلَم
وَمَـنْ لَم يُصانِعْ في أُمُـورٍ كَثيرَةٍ يُضَرّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُـوْطَـأْ بِمَنْسِم
وَمَــنْ يَـجْـعَـلِ المَـعْـروفَ في غَـيرِ أَهْلِه يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمّاً عَلَيْهِ وَيَنْدَم
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امرِىءٍ مِنْ خَلِيْقَةٍ وإنْ خَالَها تَخْفَى على النّاسِ تُعلَم
وكَـائِـنْ تَـرَى مِـنْ صَـامِـتٍ لكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ في التّكَلُّم
لسانُ الفَتى نِصْفٌ وَنِصفٌ فُؤادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاّ صُورَةُ اللّحم والدّم
وَإنّ سَفاهَ الشّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ، وإنّ الفَتى بَعْدَ السّفاهَةِ يَحْلُم
سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ ومَنْ يَعِشْ ثَمَـانِـينَ حَـوْلاً لا أَبَـا لـكَ يَسْأَم
وأَعْلَمُ مَا في اليَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنّني عَنْ عِلمِ ما في غَدٍ عَم
رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشواءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىءْ يُعَمّرْ فَيَهْرَم
سأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعُدْتُمُ وَمَنْ يُكْثِرِ التّسْآلَ يَوماً سَيُحْرَم

- 13 -

إذا كنتَ في كُلِّ الأُمُـــورِ مُعاتِباً
صَديقَكَ، لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

قائله : **بشار بن برد العُقيلي، أبو معاذ.**

أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان غربي نهر جيحون ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل أنها أعتقته من الرق. كان ضريراً. نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، جمع بعضه في ديوان.

كان شاعراً مجيداً مفلقاً ظريفاً محسناً، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء، وأخذ فوائدهم، وكان يمدح المهدي ويحضر مجلسه، وكان يأنس به ويدنيه ويجزل في العطايا، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة، وكان حضر المهدي في مجلس مع جواريه بعث إليه لأجل المسامرة والمحادثة وكان بشار يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء وله قصائد وأشعار كثيرة، فوشى به بعض من يبغضه إلى المهدي بأنه يدين بدين الخوارج فقتله المهدي. وقيل : بل قيل للمهدي إنه يهجوك، فقتله والذي صح من الأخبار في قتل بشار أنه كان يمدح المهدي، والمهدي ينعم عليه، فرمي بالزندقة فقتله. وقيل: ضربه سبعين سوطاً فمات؛ وقيل ضرب عنقه.

وكانت وفاته سنة سبع، وقيل : ثمان وستين ومائة في أيام المهدي.

القصيدة يمدح بها ابن هبيرة

وهي طويلة، فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم، وكانت أول عطية سنية أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره.

جفا جفوة فازور إذ مل صاحبه   وأزرى به أن لا يزال يصاحبه
خليلي لا تستكثرا لوعة الهوى   ولا لوعة المحزون شطت حبائبه
شفى النفس ما يلقى بعبدة مغرماً   وما كان يلقى قلبه وضرائبه
فأقصر عن داعي الفؤاد وإنما   يميل به أمس الهوى ويطالبه
إذا كان ذواقاً أخوك الهوى   توجّهه في كلّ أوب ركائبه
فخّل له وجه الطريق ولا تكن   مطيّة رحّال كثير مذاهبه
أخوك الذي إن ربته قال إنما   أربت وإن عاتبته لان جانبه
إذا كنت في كل الأمور معاتباً   أخاً لك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه   مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى   ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه؟
من الحيّ قيس قيس عيلان إنها   عيون الندى منها تروي سحائبه
وما زال منها ممسك بمدينة   - يراقب - أو ثغر تخاف مرازبه
إذا الملك الجبار صعر خدّه   مشينا إليه بالسيوف نعاتبه
وكنّا إذا دبّ العدوّ لسخطنا   وراقبنا في ظاهر لا نراقبه
غدونا له جهراً بكلّ مثقف   وأبيض تستقي الدماء مضاربه
كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوت كواكبه
وأرعن يعشى الشمس لون حديده   وتخلس أبصار الكماة كتائبه
تغص به الأرض الفضاء إذا غدا   تزاحم أركان الجبال مناكبه
تركنا به كلبا وقحطان تبتغي   مجيراً من الهبل المطلّ مغالبه

- 14 -

فَعَيْنُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ
وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

قائله : **عبد الله بن معاوية**

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

من شجعان الطالبيين وأجوادهم وشعرائهم، اتهم بالزندقة، وكان فتاكاً سيء الحاشية طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية (سنة 127 هـ) بالكوفة وبايع له بعض أهلها، وخلعوا طاعة بني مروان.

وأتته بيعة المدائن. ثم قاتله عبد الله بن عمر (والي الكوفة) فتفرق عنه أصحابه (سنة 128 هـ) فخرج إلى المدائن، ولحق به جمع من أهل الكوفة فغلب بهم على حلوان والجبال وهمذان وأصبهان والري.

وقصده بنو هاشم كلهم حتى أبو جعفر (المنصور) واستفحل أمره، فجبي له خراج فارس وكورها.

وأقام باصطخر، فسير أمير العراق (ابن هبيرة) الجيوش لقتاله فصبر لها ثم انهزم إلى شيراز ومنها إلى هراة فقبض عليه عاملها وقتله خنقاً بأمر أبي مسلم الخراساني.

وضع الفراش على وجهه فمات وقيل مات في سجن أبي مسلم سنة 131هـ.

القصيدة يعاتبه بها صديقه

رَأَيـتُ فُضَيلاً كـانَ شَيئاً مُلَفَّفاً   فَكَشَّفَهُ التَمحيصُ حَتّى بَدا لِيا
فَـأَنتَ أَخـي ما لَم تَكُن لِيَ حاجَةٌ   فَإِن عَرَضَت أَيقَنتُ أَن لا أَخا لِيا
فَـلا زادَ مـا بَيني وَبَيـنَكَ بَعدَما   بَلَـوتُكَ فِي الحـاجـاتِ إِلّا تَمادِيا
فَلَستُ بِـراءٍ عَيبَ ذي الـوُدِّ كُلَّهُ   وَلا بَعضَ ما فيهِ إِذا كُنتُ راضِيا
فَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ   وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا
كِـلانـا غَـنِـيٌّ عَـن أَخـيـهِ حَياتَهُ   وَنَـحـنُ إِذا مِـتنـا أَشَـدُّ تَغانِيا

- 15 -

وَإِذَا أُصِيبَ القَومُ فِي أَخلاقِهِم
فَأَقِم عَلَيهِم مَأتَماً وَعَوِيلا

قائله : أحمد بن علي بن أحمد شوقي

أشهر شعراء العصر الأخير، يلقب بأمير الشعراء.

مولده ووفاته بالقاهرة، نشأ في ظل البيت المالك بمصر، وتعلم في بعض المدارس الحكومية، وقضى سنتين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق، وارسله الخديوي توفيق سنة 1887م إلى فرنسا، فتابع دراسة الحقوق في مونبلية، واطلع على الأدب الفرنسي وعاد سنة 1891م فعين رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي.

وندب سنة 1896م لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين بجينيف.

عالج أكثر فنون الشعر : مديحاً، وغزلاً، ورثاءً، ووصفاً، ثم ارتفع محلقاً فتناول الأحداث الاجتماعية والسياسية في مصر والشرق والعالم الإسلامي وهو أول من جود القصص الشعري التمثيلي بالعربية وقد حاوله قبله أفراد، فنبذهم وتفرد.

وأراد أن يجمع بين عنصري البيان : الشعر والنثر، فكتب نثراً مسموعاً على نمط المقامات فلم يلق نجاحاً فعاد إلى الشعر.

من قصيدة :

قُم لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَبجيلا ... كادَ المُعَلِّمُ أَن يَكونَ رَسولا
أَعَلِمتَ أَشرَفَ أَو أَجَلَّ مِنَ الَّذي ... يَبني وَيُنشِئُ أَنفُساً وَعُقولا
سُبحانَكَ اللَهُمَّ خَيرَ مُعَلِّمٍ ... عَلَّمتَ بِالقَلَمِ القُرونَ الأولى
أَخرَجتَ هَذا العَقلَ من ظُلُماته ... وَهَدَيتَهُ النورَ المُبينَ سَبيلا
وَطَبَعتَهُ بِيَدِ المُعَلِّمِ تارَةً ... صَدِئَ الحَديدُ وَتارَةً مَصقولا
أَرسَلتَ بِالتَوراةِ موسى مُرشِداً ... وَابنَ البَتولِ فَعَلَّمَ الإِنجيلا
وَفَجَرتَ يَنبوعَ البَيانِ مُحَمَّداً ... فَسَقى الحَديثَ وَناوَلَ التَنزيلا
عَلَّمتَ يوناناً وَمِصرَ فَزالَتا ... عَن كُلِّ شَمسٍ ما تُريدُ أُفولا

إلى أن يقول :

وَإِذا أَتى الإِرشادُ من سَبَبِ الهَوى ... وَمِنَ الغُرورِ فَسَمِّهِ التَضليلا
وَإِذا أُصيبَ القَومُ في أَخلاقِهِم ... فَأَقِم عَلَيهِم مَأتَماً وَعَويلا
إِنّي لَأَعذُرُكُم وَأَحسَبُ عِبئَكُم ... مِن بَينِ أَعباءِ الرِجالِ ثَقيلا
وَجَدَ المُساعِدَ غَيرُكُم وَحُرِمتُمُ ... في مِصرَ عَونَ الأُمَّهاتِ جَليلا
وَإِذا النِساءُ نَشَأنَ في أُمِّيَّةٍ ... رَضَعَ الرِجالُ جَهالَةً وَخُمولا
لَيسَ اليَتيمُ مَنِ اِنتَهى أَبَواهُ من ... هَمِّ الحَياةِ وَخَلَّفاهُ ذَليلا
فَأَصابَ بِالدُنيا الحَكيمَةِ مِنهُما ... وَبِحُسنِ تَربِيَةِ الزَمانِ بَديلا
إِنَّ اليَتيمَ هُوَ الَّذي تَلقى لَهُ ... أُمّاً تَخَلَّت أَو أَباً مَشغولا

- 16 -

وَإِنَّمـــا الأُمَمُ الأَخـــلاقُ مـا بَـقِـيَـت
فَــإِن تَـوَلَّـت مَـضَـوا فِي إِثـرِهــا قُدُمــا

قائله **أحمد شوقي** (سبق ترجمته)

من قصيدة :

صَبراً عَلى الدَهرِ إِن جَلَّت مَصائِبُهُ ... إِنَّ المَصائِبَ مِمّا يوقِظُ الأُمَما
إِذا المُقاتِلُ مِن أَخلاقِهِم سَلِمَت ... فَكُلُّ شَيءٍ عَلى آثارِها سَلِما
وَإِنَّما الأُمَمُ الأَخلاقُ ما بَقِيَت ... فَإِن تَوَلَّت مَضَوا فِي إِثرِها قُدُما
نِمتُم عَلى كُلِّ ثارٍ لا قَرارَ لَهُ ... وَهَل يَنامُ مُصيبٌ فِي الشُعوبِ دَما
فَنالَ مِن سَيفِكُم مَن كانَ ساقِيَهُ ... كَما تَنالُ المُدامُ الباسِلَ القَدَما
قالَ العَذولُ خَرَجنا فِي مَحَبَّتِكُم ... مِنَ الوَقارِ فَيا صِدقَ الَّذي زَعَما
فَما عَلى المَرءِ فِي الأَخلاقِ مِن حَرَجٍ ... إِذا رَعى صِلَةً فِي اللَهِ أَو رَحِما
وَلَو وَهَبتُم لَنا عُليا سِيادَتِكُم ... ما زادَنا الفَضلُ فِي إِخلاصِنا قُدُما
نَحنو عَلَيكُم وَلا نَنسى لَنا وَطَناً ... وَلا سَريراً وَلا تاجاً وَلا عَلَما

- 17 -

لَيسَ الجَمالُ بِمِئزَرٍ،
فاعلَم، وإنْ رُدِّيتَ بُردا

قائله : **عمرو بن معد يكرب الزبيدي**

هو من مذحجٍ، ويكنى أبا ثورٍ، وهو ابن خالة الزبرقان بن بدرٍ التميمي، وأخته ريحانة بنت معدي كرب التي يقول فيها :

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الداعِى السّمِيعُ   يُؤَرِّقُنِى وأَصحابِى هُجُوعُ

وكانت تحت الصمة بن الحرث، فولدت له دريد بن الصمة وعبد الله، وكان عمروٌ من فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم، ثم ارتد بعد وفاته فيمن ارتد باليمن، ثم هاجر إلى العراق فأسلم، وشهد القادسية، وله بها أثره وبلاؤه، وأوفده سعد بن أبي وقاصٍ بعد فتح القادسية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر بن معدٍ، فقال : هو لهم كالأب، أعرابي في نمرته، أسدٌ في تامورته، ويقال : في ناموسته نبطيء في حبوته، يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، وينفر في السرية، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة، فقال عمر وقد كان كتب إليه سعد يثني على عمروٍ : لشد ما تقارضتما الثناء! وسأله عمر عن الحرب، فقال :

مرة المذاق، إذا قلصت عن ساقٍ، من صبر فيها عرف، ومن ضعف عنها تلف،

وهي كما قال الشاعر :

الحَـــرْبُ أَوّلَ مـا تَـكُـونُ فُـتَـيَّـةً تَـسْـعَـى بـزينـتَـهـا لـكُـلِّ جَـهُـولِ
حتّى إِذَا اسْتَعَرَتْ وشَبَّ ضِرَامُهَا عـادَتْ عَـجُـوزاً غَـيْرَ ذاتِ خَلِيل
شَمْطَاءَ جَـزَّتْ رَأْسَـهـا وتَنَكَّرَتْ مَـكْـرُوهَـةً لِـلـشَّـمِّ والتَّـقـبـيـل

وسأله عن السلاح، فقال : الرمح أخوك، وربما خانك، والنبل منايا تخطىء وتصيب، والترس هو المجن، وعليه تدور الدوائر، والدرع مشغلةٌ للفارس متعبةٌ للراجل، وإنها لحصنٌ حصين، وسأله عن السيف، فقال : ثم قارعتك أمك عن الثكل! قال عمر : بل أمك! قال : الحمي أضرعتني. وشهد مع النعمان بن مقرن المزني فتح نهاوند، فقتل هنالك مع النعمان وطليحة بن خويلد، فقبورهم هناك بموضع يقال له : الإسفيذهان.

وعمروٌ أحد من يصدق عن نفسه في شعره قال :

ولَـقَـدْ أَجْـمَـعُ رِجْـلَـيّ بها حَـــذَرَ المَــوْتِ وإني لَـفَـرُورُ
ولَـقَـدْ أَعْـطِـفُـهَـا كـارِهَـةً حِـينَ للنّفْسِ مـنَ المـوتِ هَـرِيـرُ
كُــلّ مـا ذلِـــكَ مِـنـى خُـلُـقٌ وبـكُـلٍّ أَنـا في الـــرّوْع جَـدِيـرُ

القصيدة :

لَيْسَ الجَمالُ بِمِئْزَرٍ،   فاعْلَمْ، وإنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
إنّ الجَمالَ مَعادِنٌ   ومَناقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا
أَعْدَدْتُ لِلحَدَثانِ سا   بِغَةً وعَدّاءً عَلَنْدَى
نَهْداً، وذا شُطَبٍ يَقُـ   ـدُّ البَيْضَ والأَبْدَان قَدّا
وَعِلْمتُ أَنّي يومَ ذا   كَ مُنازِلٌ كَعْباً ونَهْدَا
قَوْمٌ إذا لَبِسُوا الحَديـ   ـدَ تَنَمَّرُوا حَلَقاً وقِدّا
كُلُّ امْرِىءٍ يَجْرِي إلى   يَوْمِ الهِياجِ بِما اسْتَعَدّا
لَمّا رَأَيْتُ نِساءَنا   يَفْحَصْنَ بالمَعْزاءِ شَدّا
وبَدَتْ لَمِيسُ كأَنّها   قَمَرُ السّماءِ إذا تَبَدّى
وبَدَتْ مَحاسِنُها التي   تَخْفَى، وكانَ الأَمْرُ جِدّا
نازَلْتُ كَبْشَهُمُ ولَمْ   أَرَ مِن نِزالِ الكَبْشِ بُدّا
هُمْ يَنْذِرُونَ دَمِي، وأَنْ   ذِرُ إنْ لَقِيتُ بأَنْ أَشُدّا
كَمْ مِن أَخٍ لِيَ صالِحٍ   بَوّأْتُهُ بِيَدَيّ لَحْدا
ما إنْ جَزِعْتُ ولا هَلِعْـ   ـتُ ولا يَرُدُّ بُكايَ زَنْدا
أَلْبَسْتُهُ أَثْوابَهُ   وخُلِقْتُ، يومَ خُلِقْتُ، جَلْدا
أُغْنِي غَناءَ الذّاهِبِيـ   ـنَ، أُعَدُّ لِلأَعْداءِ عَدّا
ذَهَبَ الذينَ أُحِبُّهُمْ   وبَقِيتُ مِثْلَ السّيْفِ فَرْدا

- 18 -

إذا رأيـــت نـيـوب الـلـيـث بـــارزة

فــلا تـظـنـن أن الـلـيـث يـبـتـسـم

قائله **المتنبي** (سبق ترجمته)

من قصيدة يعرض بها قوم كانوا ينقصونه عند سيف الدولة ويعارضونه في أشعاره

ما لي أكتم حباً قد برى جسدي ... وتدعي حب سيف الدولة الأمم؟
إن كـان يـجـمـعـنـا حـب لغرته ... فليت أنا بقدر الحب نقتسم
يا أعـدل الناس إلا في معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
إذا رأيـت نـيـوب الليث بـارزة ... فـلا تـظـنـن أن الليث يبتسم
أعـيـذهـا نـظـرات منـك صادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخـي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنـوار والظلم
يـا مـن يـعـز علينا أن نفارقهم ... واجدانـنـا كل شيء بعدكم عدم
ما كـان أخلقنا منكم بتكرمة ... لـو أن أمـركـم مـن أمـرنـا أمم
إن كـان سركم ما قال حاسدنا ... فما لجـرح ـ إذا أرضـاكم ـ ألم
وبيننا، لـو رعيتم ذاك، معرفة ... إن المعارف في أهـل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ... ويـكـره الله مـا تـأتـون والـكـرم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ... أنـا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقه ... يـزيـلـهـن إلى مـن عـنـده الـديـم
أرى النوى تقتضيني كل مرحلة ... لا تستقل بـهـا الـوخـادة الرسم

لئن تركنا ضميراً عن ميامننا   ليحدثن لمن ودعتهم ندم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا   ألا تفارقهم فالراحلون هم
شر البلاد بلاد لا صديق بها   وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
وشر ما قنصته راحتي قنص   شهب البزاة سواء فيه والرخم

- 19 -

مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

للمتنبي (سبق ترجمته)

القصيدة يمدح بها سيف الدولة

فلم يبق إلا من حماها من الظبا   لما شفتيها والثدي النواهد
تبكي عليهن الباطريق في الدجى   وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الإقدام أنك فيهم   على القتل مرموق كأنك شاكد
وأن دماً أجريته بك فاخر   وأن فؤاداً رعته لك حامد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى   ولكن طبع النفس للنفس قائد
نهبت من الأعمار ما لو حويته   لهنئت الدنيا بأنك خالد
فأنت حسام الملك والله ضارب   وأنت لواء الدين والله عاقد
أحبك يا شمس الزمان وبدره   وإن لامني فيك السهى والفراقد
وذاك لأن الفضل عندك باهر   وليس لأن العيش عندك بارد

- 20 -

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

قائله **المتوكل الليثي**

هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزارٍ. من شعراء الإسلام، وهو من أهل الكوفة. كان في عصر معاوية وابنه يزيد، ومدحهما. ويكنى أبا جهمة.. قدم الأخطل الكوفة فنزل على قبيصة بن والق، فقال المتوكل بن عبد الله الليثي لرجل من قومه : انطلق بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره. فأتياه فقالا: أنشدنا يا أبا مالك.

فقال : إني لخائر يومي هذا. فقال له المتوكل : أنشدنا أيها الرجل، فوالله لا تنشدني قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري. قال: ومن أنت؟ قال : أنا المتوكل . قال : أنشدني ويحك من شعرك! فأنشده :

للغانيات بذي المجاز رسوم ... فببطن مكة عهدهن قديم
فبمنحر البدن المقلد من منًى ... حلل تلوح كأنهن نجوم
لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
والهم إن لم تمضه لسبيله ... داء تضمنه الضلوع مقيم

قال وأنشده أيضاً :

الشعر لب المرء يعرضه ... والقول مثل مواقع النبل
منها المقصر عن رميته ... ونوافذ يذهبن بالخصل

قال وأنشده أيضاً :

إنــنــا مــعـشـر خـلـقـنـا صـــدوراً   مــن يسـوي الـصــدور بــالأذنــاب

قال له الأخطل : ويحك يا متوكل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس.

القصيدة :

لا تَنْـهَ عـن خُـلُـقٍ وتـأْتـيَ مِثْلَهُ   عـارٌ عليكَ إذا فَعَلْتَ عَظيمُ
وأَقِـمْ لِمَنْ صافَيْتَ وَجْهاً واحِداً   وخَـلِـيـقَـةً إنّ الـكَـريمَ قَــؤُومُ
وإذا أَهَـنْـتَ أخَـاكَ أو أَفْـرَدْتَـهُ   عَـمْـداً، فـأنـتَ الـواهِـنُ المَذْمُومُ
وإذا رَأَيْـتَ المَـرْءَ يَقْفُو نَفْسَهُ   والمُحْصَنـاتِ فما لِـذاكَ حَـرِيمُ
ومُـعَـيِّرِي بـالـفَـقْـرِ قلتُ له اتّئِدْ   إنّي أمـامَـكَ في الأنــامِ قَـدِيمُ
قد يُكْثِرُ النِّكْسُ المُقَصِّرُ هَمُّهُ   وَيَـقِـلُّ مـالُ المَـرْءِ وهْـوَ كَـرِيمُ

- 21 -

إذا جــارَيــتَ في خُـلُـقٍ دَنيئـاً
فَــأنــتَ وَمَـــن تُجــارِيــهِ سَــواءُ

قائلة : **أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي.**

أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها.

كان أسمر، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع.

في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري، له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل، نُسِبَ إليه ولعله للأصمعي كما يرى الميمني.

وذهب مرجليوث في دائرة المعارف إلى أن والد أبي تمام كان نصرانياً يسمى ثادوس، أو ثيودوس، واستبدل الابن هذا الاسم فجعله أوساً بعد اعتناقه الإسلام ووصل نسبه بقبيلة طيء وكان أبوه خماراً في دمشق وعمل هو حائكاً فيها ثمّ انتقل إلى حمص وبدأ بها حياته الشعرية.

وفي أخبار أبي تمام للصولي: أنه كان أجش الصوت يصطحب راوية له حسن الصوت فينشد شعره بين يدي الخلفاء والأمراء.

القصيدة

إذا جارَيتَ في خُلُقٍ دَنيئاً فَأَنتَ وَمَن تُجاريهِ سَواءُ
رَأَيتُ الحُرَّ يَجتَنِبُ المَخازي وَيَحميهِ عَنِ الغَدرِ الوَفاءُ
وَما مِن شِدَّةٍ إِلّا سَيَأتي لَها مِن بَعدِ شِدَّتِها رَخاءُ
لَقَد جَرَّبتُ هَذا الدَهرَ حَتّى أَفادَتني التَجارِبُ وَالعَناءُ
إِذا ما رَأسُ أَهلِ البَيتِ وَلّى بَدا لَهُمُ مِنَ الناسِ الجَفاءُ
يَعيشُ المَرءُ ما اِستَحيا بِخَيرٍ وَيَبقى العودُ ما بَقِيَ اللِحاءُ
فَلا وَاللَهِ ما في العَيشِ خَيرٌ وَلا الدُنيا إِذا ذَهَبَ الحَياءُ
إِذا لَم تَخشَ عاقِبَةَ اللَيالي وَلَم تَستَحيِ فَاِفعَل ما تَشاءُ

- 22 -

وَإِذا كانَتِ النُفوسُ كِباراً
تَعِبَت في مُرادِها الأَجسامُ

للمتنبي (سبق ترجمته)

القصيدة في سيف الدولة

كُلَّ يَومٍ لَكَ احتِمالٌ جَديدُ ... وَمَسيرٌ لِلمَجدِ فيهِ مُقامُ
وَإِذا كانَتِ النُفوسُ كِباراً ... تَعِبَت في مُرادِها الأَجسامُ
وَكَذا تَطلُعُ البُدورُ عَلَينا ... وَكَذا تَقلَقُ البُحورُ العِظامُ
وَلَنا عادَةُ الجَميلِ مِنَ الصَبرِ ... لَوَ أَنّا سِوى نَواكَ نُسامُ
كُلُّ عَيشٍ ما لَم تُطِبهُ حِمامٌ ... كُلُّ شَمسٍ ما لَم تَكُنها ظَلامُ
أَزِلِ الوَحشَةَ الَّتي عِندَنا يا ... مَن بِهِ يَأنَسُ الخَميسُ اللُهامُ
وَالَّذي يَشهَدُ الوَغى ساكِنَ القَلبِ ... كَأَنَّ القِتالَ فيها ذِمامُ
وَالَّذي يَضرِبُ الكَتائِبَ حَتّى ... تَتَلاقى الفِهاقُ وَالأَقدامُ
وَإِذا حَلَّ ساعَةً بِمَكانٍ ... فَأَذاهُ عَلى الزَمانِ حَرامُ
وَالَّذي تُنبِتُ البِلادُ سُرورٌ ... وَالَّذي تَمطُرُ السَحابُ مُدامُ
كُلَّما قيلَ قَد تَناهى أَرانا ... كَرَماً ما اهتَدَت إِلَيهِ الكِرامُ
وَكِفاحاً تَكِعُّ عَنهُ الأَعادي ... وَارتِياحاً يَحارُ فيهِ الأَنامُ
إِنَّما هَيبَةُ المُؤَمَّلِ سَيفِ الدَولَةِ ... المَلكِ في القُلوبِ حُسامُ
فَكَثيرٌ مِنَ الشُجاعِ التَوَقّي ... وَكَثيرٌ مِنَ البَليغِ السَلامُ

- 23 -

تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعجبُ
إلا لراغبٍ في ازديادِ

قائله **أبو العلاء المعرِّي**

أَبو العَلاء المَعَري، أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري.

شاعر وفيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره.

وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة 398 هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر، وهو من بيت كبير في بلده، ولما مات وقف على قبره 84 شاعراً يرثونه، وكان يلعب بالشطرنج والنرد، وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم، وكان يحرم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة، وكان يلبس خشن الثياب، أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام : لزوم ما لا يلزم ويعرف باللزوميات، وسقط الزند، وضوء السقط وقد ترجم كثير من شعره إلى غير العربية وأما كتبه فكثيرة وفهرسها في معجم الأدباء.

وقال ابن خلكان : ولكثير من الباحثين تصانيف في آراء المعري وفلسفته، من تصانيفه كتاب الأيك والغصون في الأدب يربو على مائة جزء، تاج الحرة في النساء وأخلاقهن وعظاتهن، أربع مائة كراس، وعبث الوليد شرح به ونقد ديوان البحتري، ورسالة الملائكة، ورسالة الغفران، والفصول والغايات، ورسالة الصاهل والشاحج).

القصيدة يرثي بها فقيها حنفياً

غَيرُ مُجْدٍ في ملّتي واعتقادي ... نَوحُ باكٍ وَلا ترنُّم شادي
وشبيهٌ صَوْتُ النّعيِّ إذا قيسَ ... بصوتِ البشير في كل نادي
أبكَتْ تلكمُ الحمامة أم غَنّتْ ... عَلى فرعِ غُصنُها الميّاد
صاحِ هذي قبورنا تملأ الرُّحب ... فأين القبورُ من عهدِ عادِ
خفِّف الوطءَ ما أظنُّ أديم الأرض ... إلاّ من هذه الأجسادِ
وقبيحٌ بنا وإن قدُم العهد ... هوانُ الآباءِ والأجدادِ
سرْ إن اسطعت في الهواء رويداً ... لا اختيالاً على رفاتِ العباد
ربّ لحدٍ قد صارَ لحداً مراراً ... ضاحكٍ من تزاحم الأضدادِ
ودفينٍ على بقايا دفينٍ ... في طوالِ الأزمانِ والآبادِ
فاسألِ الفرقدين عمّن أحسّا ... من قبيلٍ وآنسا من بلادِ
كم أقاما على زوالِ نهارٍ ... وأنارا لمدلجٍ في سوادِ
تعبٌ كلُّها الحياة فما أعجب ... إلا لراغبٍ في ازديادِ
إنّ حزناً في ساعة الموت أضعاف ... سرورٍ في ساعةِ الميلادِ
خلُقَ النّاسُ للبقاءِ فضلّت ... أمةٌ يحسبونهُم للنّفادِ
إنّما يُنقلونَ من دارِ أعمال ... إلى دار شقوةٍ أو رشادِ
زحلٌ أشرفُ الكواكبِ داراً ... من لقاءِ الرّدى على ميعادِ
ولنارِ المرّيخ من حدثان الدهر ... مطفٍ وإن علت في اتّقادِ
والثُّريّا رهينةٌ بافتراق الشمل ... حتّى تعدُّ في الأفرادِ

- 24 -

قــد يــجـمـع المـــال غـــير آكـلـه
ويـــأكــل المـــال غــير مـــن جـمـعه

قائله الأضبط بن قريع السعدي

هو من بني عوف بن كعب بن سعد، رهط الزبرقان بن بدرٍ، ورهط ابن أنف الناقة، وكان قومه أساؤوا مجاورته، فانتقل عنهم إلى آخرين، فأساؤوا مجاورته فانتقل منهم إلى آخرين، فأساؤوا مجاورته، فرجع إلى قومه وقال: بكل وادٍ بنو سعدٍ، ويقال أنه قال : أينما أوجه ألق سعداً، وهو قديمٌ. وكان أغار على بني الحرث بن كعبٍ، فقتل منهم وأسر وجدع وخصي، ثم بني أطماً، وبنت الملوك حول ذلك الأطم مدينة صنعاء، فهي اليوم قصبتها.

القصيدة

لـكلّ هــمّ مـن الـهـموم سَـعَـةْ ... والمَسْيُ والصبح لا فـلاح معهْ

لا تحـــقــرنّ! عــلّــك أن ... تـركـع يـومـاً والـدهـرُ قـد رفعهْ

وصِـلْ حـبـال الـبعيد إن وَصَـل ... الحبلَ وأَقْصِ القريب إن قطعهْ

قـد يـجـمـع المــالَ غـيرُ آكـلـهِ ... ويـأكـل المــالَ غـيرُ مـن جمعهْ

مـا بــالُ مـن غـيِّـه مُـصـيبُـك لا ... يـمـلـك شـيـئاً مـن أمــره وَزِعَــهْ

حـتى إذا مـا انجـلـتْ عمايتُه ... أقــبـل يـلـحـى وغـيُّــه فـجـعـهْ

أذود عـن حـوضـه ويدفعني ... يا قومُ مَن عاذري من الخُدَعَهْ؟

فـاقْبَلْ مـن الـدهـر مـا أتـاك بهِ! ... مَـن قـرّ عـيَـنْـاً بعيشه نَـفَـعَـهْ

- 25 -

ضـاقت فـلـمـا اسـتـحـكـمـت حـلـقـاتـهـا
فـرجـت وكـنـت أظـنـهـا لا تـفـرج

قائله **الشافعي** (سبق ترجمته)

الأبيات

وَلَـرُبَّ نـازِلَـةٍ يَضيقُ لَـها الفَتى   ذَرعـاً وَعِـنـدَ اللَّهِ مِنها المَخرَجُ
ضاقَت فَلَمّا اِستَحكَمَت حَلَقاتُها   فُـرِجَت وَكُـنـتُ أَظُـنُّـها لا تُفرَجُ

- 26 -

ومـن رعـى غـنـمـاً في أرضٍ مَـسْـبَـعَـةٍ
ونـام عـنـهـا تـولّى رعـيـهـا الأسـدُ

لأبي مسلم الخرساني

أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، الخرساني القائم بالدعوة العباسية، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن شذوس بن جودرن من ولد بزرجمهر بن البختكان الفارسي، قال له إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : غير اسمك فما يتم لنا الأمر حتى تغير اسمك، فسمى نفسه عبد الرحمن، والله أعلم.

القصيدة

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت … عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ما زلت أسعى عليهم في دمارهم … والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتهبوا … من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن يدع غنماً في أرض مضيعة … ونام عنها تولى رعيها الاسد

- 27 -

مـا الحـب إلاّ للحبيب الأوّلِ

وقائله **أبو تمام** (سبق ترجمته)

القصيدة

ألـبـينُ جـرّعنـي نـقيعَ الحنظلِ   والـبـينُ أثـكلني وإنْ لم أُثـكلِ
ما حسرَتي أنْ كدتُ أتلفُ إنّما   حسراتُ نفسِي أنّـني لم أفعلِ
كم منزلٍ في الأرضِ يألفهُ الفتَى   وحنينُـهُ أبـداً لأوّلِ منـزلِ
نقِّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ منَ الهوَى   ما الحـبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ

- 28 -

أعـلـمـه الـرمـايـة كـل يـوم

فـلـمـا اشـتـد سـاعـده رمـاني

قائله : **معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني.**

شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة، رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره في أواخر أيامه، وكان يتردد إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب فيبالغان في إكرامه.

له أخبار مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان معاوية يفضله ويقول: أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس. وهو صاحب لامية العجم التي أولها :

لـعـمـرك مـا أدري وإني لأوجـل

عـلـى أيـنـا تـعـدو المـنـيـة أول

مات في المدينة

القصيدة

تَكَنَّفَهُ الوُشاةُ فأَزْعَجُوهُ　　ودَسُّوا مِن فَضالَةَ غَيْرَ واني

فَلَوْلا أنّ أُمّ أبيهِ أُمّي　　وأَنّي مَنْ هَجاهُ فقَدْ هجاني

إذَنْ لأَصابَهُ مِنّي هجاءٌ　　تَناقَلُهُ الرُّواةُ على لِساني

أُعَلِّمُهُ الرِّمايَةَ كُلَّ يَوْمٍ　　فلمّا اشْتَدّ ساعِدُهُ رَماني

وقال آخر

فيا عجبا لمن ربيت طفلا   ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني
أعلمه الفتوه كل حين   فلما طر شاربه جفاني
أعلمه الرواية كل وقت   فلما صار شاعرها هجاني

- 29 -

إن السفينة لا تجري على اليبس

قائله **أبو العتاهية** (سبق ترجمته)

القصيدة

أَفنى شَبابَكَ كَرُّ الطَرفِ وَالنَفَسِ فَالمَوتُ مُقتَرِبٌ وَالدَهرُ ذو خُلَسِ
لا تأمن الموت في طرف ولا نَفَسٍ ولـو تمنعت بـالحـجّـاب والحرس
فَمـا تَـزالُ سِـهـامُ المَـوتِ نـافِـذَةً في جَـنبِ مُـدَّرِعٍ مِـنـهـا وَمُـتَـرِّسِ
أَراكَ لَسـتَ بِـوَقّـافٍ وَلا حَـذِرٍ كَالحاطِبِ الخابِطِ الأَعوادَ في الغَلَسِ
ترجو النجاة، ولم تسلك مسالكها؟ إن السفينة لا تجري على اليبس
أَنّى لَكَ الصَحوُ مِن سُكرٍ وَأَنتَ مَتى تَصحُ مِن سَكرَةٍ تَغشاكَ في نَكَسِ
ما بالُ دينِكَ تَرضى أَن تُدَنِّسَهُ وَثَوبُكَ الدَهرَ مَغسولٌ مِنَ الدَنَسِ
لا تَأمَنِ الحَتفَ فيما تَستَلِذُّ وَإِن لانَت مَلامِسَهُ في كَفِّ مُلتَمِسِ
الحَمدُ لِلَّهِ شُكراً لا شَريكَ لَهُ كَم مِن حَبيبٍ مِنَ الأَهلينَ مُختَلَسِ

- 30 -

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

قائله **أبو فراس الحمداني**

أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان - وسيأتي تتمة نسبه عند ذكرهما إن شاء الله تعالى؛ قال الثعالبي في وصفه : كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سائر، بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز.

وأبو فراس يعد اشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام. وكان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس.

وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترئ على مجاراته، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً، لا إغفالاً وإخلالاً.

وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته وستخلفه في أعماله.

وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه، ونقلته إلى خرشنة، ثم منها قسطنطينية، وذلك في سنة ثمان. وأربعين وثلثمائة، وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين.

قلت : هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي، وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط، وقالوا :

أسر أبو فراس مرتين، فالمرة الأولى بمغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، وما تعدوا به خرشنة، وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها، وفيها يقال : إنه ركب فرسه وركضه برجله، فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات، والله أعلم، والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة إحدى وخمسين، وحملوه إلى قسطنطينية. وأقام في الأسر أربع

سنين، وله في السر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه. وكانت مدينة منبج إقطاعاً له، ومن شعره :

قد كنت عدتي التي أسطو بها ... ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بضد ما أملته ... والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقي لبره ... أغضى على ألم لضرب الوالد

وله أيضاً :

أساء فزادته الإساءة حظوة ... حبيب على ما كان منه حبيب
يعد علي الواشيان ذنوبه ... ومن أين للوجه الجميل ذنوب

وله أيضاً :

سكرت من لحظه لا من مدامته ... ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف دهتني بل سوالفه ... ولا الشمول ازدهتني بل شمائله
ألوى بعزمي أصداغ لوين له ... وغال قلبي بما تحوي غلائله

ومحاسن شعره كثيرة.

وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في سنة سبع وخمسين وثلثمائة. ورأيت في ديوانه أنه لم احضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته:

أبنيتي لا تجزعي كل الأنام إلى ذهاب
نوحي علي بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلمتني فعييت عن رد الجواب
زين الشباب ابوفرا س لم يمتع بالشباب

وهذا يدل على أنه لم يقتل، أو يكون قد جرح وتأخر هوته، ثم مات من الجراحة وقيل إن هذا الشعر قاله وهو أسير في أيدي الروم، وكان قد جرح ثم أسر ثم خلص من الأسر، فداه سيف الدولة مع من فودي من أسرى المسلمين.

قال ابن خالويه : لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص، فاتصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة وغلام أبيه قرغويه، فأنفذ إليه من قاتله، فأخذ وقد ضرب ضربات فمات في الطريق.

القصيدة

وإنّي لـنـزّالٌ بكلِّ مَخُوفةٍ ... كثيرٌ إلى نُزّالِها النّظَرُ الشّزْرُ
وإنّي لجرّارٌ لكلِّ كتيبةٍ ... معوّدةٍ أنْ لا يُخلّ بها النّصرُ
فأظمأُ حتّى ترتوي البيضُ والقنَا ... وأسغَبُ حتّى يشبَعَ الذّئبُ والنّسرُ
ويا رُبّ دارٍ لمْ تَخفني مَنيعةٍ ... طلعتُ عَلَيْها بالرّدى أنا والفجرُ
ولا باتَ يُطْغيني بأثوابِهِ الغِنَى ... ولا باتَ يَثنيني عن الكرمِ الفقرُ
وما حاجَتي بالمالِ أبْغي وُفُورهُ ... إذا لمْ أفِر عرضي فلا وفَرَ الوفرُ
أُسِرتُ وَما صَحبي بِعُزلٍ لَدى الوَغى ... وَلا فَرَسي مُهرٌ وَلا رَبُّهُ غَمرُ
وَلَكِن إذا حُمّ القَضاءُ عَلى امرِئٍ ... فَلَيسَ لَهُ بَرٌّ يَقيهِ وَلا بَحرُ
وَقالَ أُصَيحابي الفِرارُ أَوِ الرَدى ... فَقُلتُ هُما أَمرانِ أَحلاهُما مُرُّ
وَلَكِنّني أَمضي لِما لايُعيبُني ... وَحَسبُكَ مِن أَمرَينِ خَيرُهُما الأَسرُ
يَقولونَ لي بِعتَ السَلامَةَ بِالرَدى ... فَقُلتُ أَما وَاللَهِ مانالَني خُسرُ
وَهَل يَتَجافى عَنّيَ المَوتُ ساعَةً ... إِذا ماتَجافى عَنّيَ الأَسرُ وَالضَرُّ
هُوَ المَوتُ فَاختَر ماعَلا لَكَ ذِكرُهُ ... فَلَم يَمُتِ الإِنسانُ ماحَيِيَ الذِكرُ
وَلا خَيرَ فِي دَفعِ الرَدى بِمَذَلَّةٍ ... كَما رَدَّها يَوماً بِسَوءَتِهِ عَمرُو
يَمُنّونَ أَن خَلّوا ثِيابي وَإِنَّما ... عَلَيَّ ثِيابٌ مِن دِمائِهِمُ حُمرُ
وَقائِمُ سَيفٍ فيهِمُ اندَقَّ نَصلُهُ ... وَأَعقابُ رُمحٍ فيهِمُ حُطِّمَ الصَدرُ
سيذكُرني قَومي إذا جدّ جدُّهمْ ... وفِي اللّيلةِ الظّلماءِ يُفتقدُ البدرُ

- 31 -

ومــا أكــثر الإخـــوان حــين تـعـدهـم
ولـكـنـهـم في الـنـائـبـات قـلـيـل

قائله **الشافعي** (سبق ترجمته)

القصيدة

صن النفس واحملها على ما يزينها　　تعش سالماً والقول فيك جميل
ولا تولين الناس إلا تجملاً　　نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد　　عسى نكبات الدهر عنك تحول
فيغنى غني النفس إن قل ماله　　ويغنى فقير النفس وهو ذليل
ولا خير في ود امرئ متلون　　إذا الريح مالت مال حيث تميل
وما أكثر الإخوان حين تعدهم　　ولكنهم في النائبات قليل

- 32 -

ومن الدليل على القضاء وحكمه
بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

قائله **الشافعي** (سبق ترجمته)

القصيدة

بالجدّيد نوكل أمر شاسع   والجدّ يفتح كل باب مغلق
فإذا سمعت بأن مجدوداً حوى   عوداً وأثمر في يديه فحقق
وإذا سمعت بأنّ محروماً أتى   ماء ليشربه فغاض فصدق
لو كان بالحيل الغني لوجدتني   بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكنّ من رزق الحجا حرم الغنى   ضدّان مفترقان أيّ تفرّق
ومن الدليل على القضاء وحكمه   بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق
وأحق خلق اللّه بالهمّ امرو   ذو همة يبلى برزق ضيق
فلربما مرّت بقلبي ضجرة   فأودّ منها أنني لم أخلق

- 33 -

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

قائله **متمم بن نويرة**

مُتَمِّم بن نُوَيرَة بن حمزة بن شداد اليربوي التميمي أبو نهشل.

شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام، وكان قصيراً أعور، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك ومنه قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا وندمانا جذيمة : مالك وعقيل. سكن متمم المدينة في أيام عمر وتزوج بها امرأة لم ترض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه.

القصيدة

لعمري وما عَمري بتأبين مالكٍ ... ولا جزعاً ممّا أصابَ فأوجَعا
لقد غيّبَ المنهال تحت ردائه ... فتًى غيرَ مبطان العشيّاتِ أروعا
لبيباً أنارَ اللُّبّ منه سماحةٌ ... خَصيباً إذا ما راكبُ الجَدب أمْرَعا
تَراهُ كمثل السّيف ينْدَى بَنانهُ ... إذا لم تجدْ عند امرئ السّوء مطمَحا
ويوماً إذا ما كظّك الخصمُ إنْ يكنْ ... نَصيرَك فيه لا تكنْ أنتَ أضْرَعَا
أبَى الصّبرَ آياتٌ أراها وأنّني ... أرَى كلّ حَبلٍ بعد حبلك أقطَعا
أقول وقد طارَ السّنا في رَبابه ... بجَونٍ يَسُحُّ الماءَ حتّى تَريّعا
سقَى اللهُ أرضاً حلّها قبرُ مالكٍ ... ذهابَ الغَوادي المُدجِنات فأمْرعا
لَعشنا بخَير في الحياة وقبلَنا ... أصابَ المنايا رهطَ كسرَى وتُبّعا
وكنّا كندمانَي جَذيمةَ حِقبةً ... من الدّهر حتّى قيلَ لن يتصدّعا

فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً مَعَا
تقولُ ابنةُ العَمْريّ مالَكَ بعدَنا أراكَ قديماً ناعمَ البالِ أفرَعَا
قَعيدَكِ ألاّ تُسمعيني مَلامةً ولا تَنْكَئي قرحَ الفؤاد فييجَعَا
بحسبك أنّي قد جهدتُ فلم أجدْ بكفّي عنهُ للمنيّة مدفَعَا
فما وجْدُ أظْآرٍ ثلاثٍ روائمٍ رأينَ مَجَرّا من حُوارٍ ومصرَعَا
ولا شارفٍ جَشّاء ريعت فرجّعتْ حَنيناً فأبكى شجوُها البَرْكَ أجمَعَا
بأوجَدَ منّي يومَ فارقتُ مالكاً ونادَى به الموتُ الحثيثُ فأسمَعَا
فإنْ يكُ حُزنٌ أو تتابُعُ عَبرةٍ أذابتْ عَبيطاً من دم الجوف مُنقَعَا
تجرّعتُها في مالكٍ واحْتَسَيْتُها لأعظمَ منها ما احْتَسَى وتجرّعَا
ألم تأتِ أخبارُ المحلّ سراتكم فَيغضَب منكم كلُّ من كان موجعا
بمشمته إذ صادفَ الحتفُ مالكاً ومشهده ما قد رأى ثم ضَيّعا
أأثرتَ هدماً بالياً وسويّةً وجئتَ بها تعدو بريداً مُقَزّعا
فلا تَفرحَن يوماً بنفسك انني ارى الموتَ وقّاعاً على من تَشَجّعا
لعلّكَ يوماً ان تُلمّ مُلّمَةٌ عليك من اللآئي يدعنك أجدَعا
نعيتَ امرءً لو كان لحمُك عندَه لآواه مجموعاً له أو مُمَزّعا
فلا يُهنيء الواشين مقتلُ مالكٍ فقد آبَ شانيه إياباً فوَدّعا

- 34 -

فَـــإِنّ غَـــداً لِـنَـــاظِـــرِهِ قَـــرِيــبُ

قائله هُدبة بن خشرم القُضاعي الأسلمي

هُدبة بن خَشـرَم بن كـرزٍ القُضاعي ثم الأسلمي، كالن شاعراً فصيحاً، وهـو راويـة الحُطَيئـة، والحُطيئة راوية كعب بن زهيرٍ، وكان جَميل راوية هُدبـة وكثير راوية جميل، وكان بين هدبـة وبين زيـادة بن زيدٍ مُلاحـاة وأهـاجٍ وزاد ذلك إلى أن قَتَل هـدبـة زيـادة، ثم هـرب وذلك في عهـد معـاويـة، فانفد سعيد بن العاص إلى عمّ هُدبـة وأهلـه، فحبسـهـم، فلما بلغ ذلك هدبة أقبل حتى خلّصهم وأمكن من نفسه، ولم يزل محبوسـاً حتّى شخصَ عبد الرحمن أخو المقتـول إلى معـاويـة، فـأورد كتابـاً إلى سعيد بن العاص بأن يُقيّد منـه إذا قـامت البينـة، فأقامها، فمشـت بنـو عُـذرَةَ إلى عبد الرحمن فسـألوه قَبـول الدّيـة، فامتنـع وقـال :

أنحتُم علينا كَلكَلَ الحـربِ مرّةً ... فنحن مُنيخُوها عليكم بكلكَلِ
فلا يَدعُني قومي لزيد بن مالكٍ ... لئن لم أُعجّـل ضربةً أو أُعجّل
أبَعدَ الذي بالنعفِ نعف كُوَيكبٍ ... رَهينة رَمسٍ ذي تـرابٍ وجَندل
أُذَكّـرُ بالبُقيا على مـا أصابني ... وبُقيـايَ أني جـاهـدٌ غير مُؤتَل

وقيـل : بـل أحـضـرهـم مـعـاوية، فلما صاروا بين يديـه قـال: يـا أميرَ المؤمنين أشكو إليك مظلمتي وقتل أخي وترويـع نسـوتي، فقال لـه معاويـة : يا هـدبـة، قُل، قـال : إن شئـتَ قَصّينـا كلامـاً أو شعـراً، قال : لا بَل شعـراً، فـارتجل هـدبـة :

ألا يا لقومي لِلنّوائب والدهرِ ... وللمرء يُردي نفسَه وهو لا يَدري
وللأرض كم من صالحٍ قد تلأَمت ... عليه فوارثُه بلمّاعةٍ قَفر
فلا يتقي ذا هيبةٍ لجلالِهِ ... ولا ذا ضِياعٍ هنّ يُتركنَ للفقر
رَمينا فرامَينا فصادف رَميُنا ... مَنايا رِجالٍ في كتابٍ وفي قَدر
وأنت أمير المؤمنين فمالنا ... وراءَك من مَعدىً ولا عنك من قَصر
فإن تَك عن أموالنا لم نَضِق بها ... ذراعاً وإن صبراً فنصبِرُ للصبر

فقال له معاوية : قد أقرَرتَ بقتل صاحبهم، ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولدٌ؟ قال : نعم، المُسوّر وهو غلامٌ حفرٌ وأنا عمه وَليُّ دم أبيه، فقال: المُسوّر أحقّ بدم أبيه، وردّه إلى المدينة فحُبس ثلاث سنين حتى بلغ المُسوّر، فقالت أمّ هُدبة لما شخص إلى المدينة ليُحبس :

أيا إخوتي أهل المدينة أكرِموا ... أسيرَكُمُ إنّ الأسيرَ كريمُ
فَرُبَّ كريمٍ قد قراه وضافه ... ورُبَّ أُمورٍ كلّهن عَظيم
عصا حبلُها يوماً عليه مراسه ... من القوم عيابٌ أشمّ حليم

ولما مضى هُدبة من السجن ليُقتل التفت إلى امرأته وكانت من أجمل النساء، فقال لها :

أَقِلّي عليّ اللوم يا أمّ بوزعَا ... ولا تَعجَبي ممّا أصاب فأوجَعا
ولا تَنكَحي إن فرّق الدهرُ بيننا ... أغمّ القَفا والوجه ليس بأنزَعَا
ضَروبًا بلحيَتِه على عَظم زَوره ... إذا القوم هشّوا للفَعال تقنّعا
كليلاً سِوَى ما كان من حَدّ ضِرسه ... أُلَيبِيدُ مبطان العَشيات أَروعا
وكُوني حبيسا أو لأروَعَ ماجدٍ ... إذا ضنّ أعساسُ الرجال تبرّعا
وحُلّي بذي أُكرومةٍ وحَميّةٍ ... وصبراً إذا ما الدهر عضّ فأسرعا

فمالت زوجته إلى جزّارٍ فأخذت شَفرته فجدعَت أنفها وشفتَيها وجائته وهي تدمى، فقالت : أتخاف أن يكون بعدها نِكاحٌ؟ فرفس هدبة في قيوده وقال : الآن طاب الموت، ثم التفت فرأى أبوَيه يتوقّعان الثكل، فقال لهما :

أبليـاني اليـومَ صَـبراً منكما   إنّ حُـزنـاً إن بَـدا بـادىء شَرّ
لا أرى ذا الـيـوم إلاّ هيّناً   إنّ بعـد المـوت دار المستَقَرِّ
اصـبِرا الـيـومَ فـإني صـابرٌ   كـلُّ حـيّ لقـضـاءٍ وقَـدَر

ثم التفت إلى أهله، فقال : بلغني أن القتيل يعقِل ساعةً بعد سقوط رأسه فإن عقلتُ فإني قابض على رجليّ وباسِطُها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قتل وقال قبل أن يُقتل :

إن تقتلوني في الحديد فإنني   قتلتُ أخاكم مُطلَقاً لم يُقَيّدِ

فقال عبد الرحمن : والله لا أقتله إلا مُطلقاً، فقام عليه وقد أُطلِق، فهزّ السيف وقال :

قد علمَت نفسي وأنتَ تعلمه   لأقتلن اليومَ مَن لا أرحَمهُ

ثم قتله وقيل إن المسوّر الذي قتله، وهدبة هذا هو أوّل من أُقيدَ منه في الإسلام، وقال واسع بن خَشرَم يرثي أخاه هدبة :

يا هُدب يا خيرَ فِتيان العشيرة مَن   يُفجَع بمثلك في الدنيا فقد فُجعا
الله يعلم إني لـو خَشِيتُهمُ   أو أوجَسَ القلبُ من خوفٍ لهم جَزِعا
لم يقتلوه ولم أُسلِم أخي لهمُ   حتى نعيشَ جميعاً أو نموتَ معاً

القصيدة

طَرِبْت، وأَنْـتَ أحْيـاناً طَـرُوبُ ... وكَيْـفَ! وقَـدْ تَغَشّـاكَ المَشِيبُ

يُجِدُّ الـنّـأْيُ ذِكْـرَكِ في فُـؤادي ... إذا ذَهَـلَـتْ على الـنّـأْيِ القُلُوب

عَسَى الهَمُّ الـذي أَمْسَيْتُ فِيهِ ... يـكُـونُ وَراءه فَـــرَجٌ قَـريـب

فَيـأْمَـنَ خـائِـفٌ، وَيُـفَكّ عـانٍ، ... ويَـأْتِـيَ أَهْـلَـه الـرّجُـلُ الغَرِيبُ

ألا لَـيْـتَ الـرِّيـاحَ مُسَـخّـراتٌ ... لِحـاجَـتِـنـا تُـبـاكِـرُ أو تَـؤُوبُ

فتُخْبِرَنـا الـشّـمـالُ إذا أتَتْـنـا ... وتُـخْـبِـرَ أَهْـلَنـا عَنّـا الجَنُـوبُ

بِـأَنّــا قـد نَـزَلْـنَـا دارَ بَـلْـوى ... فتُخْطِئُنـا المَـنِـيّـةُ أو تُصيبُ

فـإنْ يَكُ صَـدْرُ هـذا اليوم وَلى ... فَـإنّ غَـداً لِـنـاظِـرِهِ قَـرِيـبُ

وقَدْ عَلِمَـتْ سُلَيْمَى أنّ عُـودي ... على الحَـدَثـانِ ذُو أَيْـدٍ صَلِيبُ

وَأنّ خَـلائِـقِـي كَـــرَمٌ، وأنّي ... إذا أَبْـدَتْ نَـواجِـذَهـا الخُطُوبُ

أُعِـينُ على مَـكـارِمِـهـا، وأَغْشَى ... مَـكـارِهَـهـا إذا هـابَ الـهَـيُـوبُ

وإنّي في الـعَـظـائِـمِ ذُو غَـنـاءٍ ... وأُدْعَـــى لـلـسّـمـاحِ فأَسْتَجِيبُ

وإنّي لا يَـخـافُ الـغَـدْرَ جـاري ... ولا يَخْشَـى غَـوائِـلِـيَ الـقَـرِيـبُ

عـلـى أنّ المَـنِـيّـةَ قـد تُـوافي ... لِـوَقْـتٍ والـنّـوائِـبُ قـد تَـنُـوبُ

- 35 -

لَعَمْرُكَ ما ضاقَتْ بِلادٌ بِأَهْلِها
ولكنّ أَخْلاقَ الرِّجالِ تَضيقُ

قائله **عمرو بن الأهتم المنقري**

واسم الأهتم سنان بن سمي ويقال سمي ابن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ومقاعس هو الحارث، وعمرو يكنى أبا نعيم وكان سيداً من سادات قومه ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم فأسلم ومدح قيس بن عاصم ثم ذمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن من الشعر حكماً ومن البيان سحراً، وكان عمرو شريفاً شاعراً، ويقال كان شعره حللاً منشرةً. وهو القائل :

ذَرِيني فإنّ البُخْلَ يا أُمّ هَيْثَم ... لصالِحِ أَخْلاقِ الرِّجالِ سَرُوقُ
لَعَمْرُك ما ضاقَتْ بلادٌ بأَهْلِها ... ولكنّ أَخْلاقَ الرِّجال تَضِيقُ

القصيدة

أَلاَ طَرَقَتْ أَسْماءُ وَهْيَ طَرُوقُ ... وبانَتْ على أَنّ الخَيالَ يَشُوقُ
بِحاجَةِ مَحْزُونٍ كأَنّ فؤادَهُ ... جَناحٌ وَهَى عَظْماهُ فَهْوَ خَفُوقُ
وهانَ على أَسماءَ أَنْ شَطّتِ النّوَى ... يَحِنُّ اليها وَالِهٌ ويَتُوقُ
ذَرِيني فإنّ البُخْلَ يَا أُمّ هَيثَم ... لِصَالِحِ أَخلاقِ الرِّجالِ سَرُوقُ
ذَرِيني وحُطّي في هَوَاي فإنّني ... علي الحَسَبِ الزّاكي الرّفيعِ شَفيقُ
وإنّي كريمٌ ذُو عِيالٍ تهِمُّني ... نَوائِبُ يَغْشَى رُزْؤُها وحُقُوقُ
ومُسْتَنْبِحٍ بعدَ الهُدُوءِ دَعَوْتُهُ ... وقد حانَ من نَجْمِ الشِّتاءِ خُفُوقُ

يُعالِجُ عِرْنيناً مِنَ اللّيلِ بارداً ... تَلُفُّ رِياحٌ ثَوْبَهُ وبُرُوقُ
تَألّقُ في عَيْنٍ مِنَ المُزْنِ وادِقٍ ... لهُ هَيْدَبٌ داني السّحَابِ دَفُوقُ
أَضَفْتُ فلم أُفْحِشْ عليهِ ولم أَقُلْ ... لأَحْرِمَهُ : إنّ المكانَ مَضيقُ
فَقلْتُ لهُ : أهلاً وسهلاً ومَرحباً ... فهذا صَبُوحٌ راهِنٌ وصَديقُ
وقُمتُ إلى البَرْكِ الهَواجِدِ فاتّقَتْ ... مَقاحِيدُ كُومٌ كالمَجَادِلِ رُوقُ
بأَدْماءَ مِرْباعِ النّتاجِ كأنّها ... إذَا عَرَضَتْ دُونَ العِشارِ فَنيقُ
بِضَرْبةِ ساقٍ أو بِنَجْلاءَ ثَرّةٍ ... لهَا مِن أَمامِ المَنْكَبَيْنِ فَتيقُ
وقامَ إليها الجَازِرَانِ فأَوْفَدَا ... يُطيرَانِ عَنها الجِلْدَ وَهْيَ تَفُوقُ
فَجُرّ إلينا ضَرْعُها وسَنَامُها ... وأَزْهَرُ يَحْبُو لِلقيامِ عَتيقُ
بَقيرٌ جَلاَ بالسّيفِ عنهُ غِشَاءَهُ ... أَخٌ بإخاءِ الصّالحِينَ رَفيقُ
فَباتَ لَنَا منها وللضّيْفِ مَوْهِنا ... شِوَاءٌ سَمِينٌ زَاهِقٌ وغَبوقُ
وبَاتَ لهُ دُونَ الصّبَا وهْيَ قَرّةٌ ... لِحَافٌ ومَصْقُولُ الكِسَاءِ رَقيقُ
وكلُّ كَريمٍ يَتّقِي الذّمّ بالقِرَى ... ولِلخَيْرِ بينَ الصّالحِينَ طَريقُ
لَعَمْرُكَ ما ضاقَتْ بِلاَدٌ بأَهْلِهَا ... ولكنّ أَخلاقَ الرّجالِ تَضيقُ
نَمَتْني عُرُوقٌ من زُرَارَةَ لِلْعُلَى ... ومِنْ فَدَكِيّ والأَشَدّ عُرُوقُ
مكارِمُ يَجْعَلْنَ الفَتَى في أَرومَةٍ ... يَفَاعٍ، وبعضُ الوالِدِينَ دَقيقُ

- 36 -

متى يَبْلُغُ البُنْيانُ يَوماً تَمامَهُ

إذا كنتَ تَبْنيهِ وغَيرُكَ يَهدِمُ

قائله **صالح بن عَبْد القُدُوس**

صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، أبو الفضل.

شاعر حكيم، كان متكلماً يعظ الناس في البصرة، له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال وحكم وآداب، اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله في بغداد. قال المرتضى : (قيل رؤي ابن عبد القدوس يصلي صلاة تامة الركوع والسجود، فقيل له ما هذا ومذهبك معروف؟ قال : سنة البلد، وعادة الجسد، وسلامة الولد!) وعمي في آخر عمره.

القصيدة

رَأَيتُ صَغيرَ الأَمْرِ يَنْمِي شُؤُونَهُ ... فَيَكْبُرُ حتّى لا يُحَدّ، ويَعْظُمُ

وإنّ عَناءً أنْ تُفَهِّمَ جاهِلاً ... ويَحْسِبُ جَهْلاً أنّه مِنْكَ أَفْهَمُ

متى يَبْلُغُ البُنْيانُ يَوْماً تَمامَهُ ... إذا كنتَ تَبْنيهِ وغَيْرُكَ يَهْدِمُ

مَتى يفضل المُثري اذا ظَنّ اِنّهُ ... اذا جادَ بِالشَيءِ القَليلِ سَيهدم

مَتى يَنتَهي عَن سيء مِن اِتى بِهِ ... اذا لَم يَكُن مِنهُ عَلَيهِ تَندَم

وَما الرزقُ إلاّ قِسمَة بَين اِهلِهِ ... فَلا يَعدم الأَرزاق مثر وَمُعدَم

وَلَن يَستَطيعُ الدَهر تَغيير خَلقه ... لَئيم وَلَن يَستَطيعه مُتكرم

كَما إن ماء المزن ما ذيق سائِغ ... زلال وَماء البَحرِ يَلفِظُه الفَم

- 37 -

إلى دَيّانِ يَومِ الدينِ نَمضي
وَعِندَ اللَهِ تَجتَمِعُ الخُصومُ

قائله **أبو العتاهية** (سبق ترجمته)

من قصيدة إلى هارون الرشيد بعد أن طال حبسه

أَما وَاللَهِ إِنَّ الظُلمَ لومُ ... وَما زالَ المُسيءُ هُوَ الظَلومُ
إِلى دَيّانِ يَومِ الدينِ نَمضي ... وَعِندَ اللَهِ تَجتَمِعُ الخُصومُ
لِأَمرٍ ما تَصَرَّفَتِ اللَيالي ... وَأَمرٍ ما تُوُلِّيَتِ النُجومُ
سَتَعلَمُ في الحِسابِ إِذا التَقَينا ... غَداً عِندَ الإِلَهِ مَنِ المَلومُ
سَيَنقَطِعُ التَرَوُّحُ عَن أُناسٍ ... مِنَ الدُنيا وَتَنقَطِعُ الغُمومُ
تَلومُ عَلى السَفاهِ وَأَنتَ فيهِ ... أَجَلُّ سَفاهَةً مِمَّن تَلومُ
وَتَلتَمِسُ الصَلاحَ بِغَيرِ حِلمٍ ... وَإِنَّ الصالِحينَ لَهُم حُلومُ
تَنامُ وَلَم تَنَم عَنكَ المَنايا ... تَنَبَّه لِلمَنِيَّةِ يا نَؤومُ
تَموتُ غَداً وَأَنتَ قَريرُ عَينٍ ... مِنَ الغَفَلاتِ في لُجَجٍ تَعومُ
لَهَوتَ عَنِ الفَناءِ وَأَنتَ تَفنى ... وَما حَيٌّ عَلى الدُنيا يَدومُ
تَرومُ الخُلدَ في دارِ المَنايا ... وَكَم قَد رامَ غَيرُكَ ما تَرومُ
سَلِ الأَيّامَ عَن أُمَمٍ تَقَضَّت ... سَتُخبِرُكَ المَعالِمُ وَالرُسومُ
وَما تَنفَكُّ مِن زَمَنٍ عَقورٍ ... بِقَلبِكَ مِن مَخالِبِهِ كُلومُ
إِذا ما قُلتَ قَد زَجَّيتُ غَمّاً ... فَمَرَّ تَشَعَّبَت مِنهُ غُمومُ
وَلَيسَ يَذُلُّ بِالإِنصافِ حَيٌّ ... وَلَيسَ يَعِزُّ بِالغَشمِ الغَشومُ
وَلِلمُعتادِ ما يَجري عَلَيهِ ... وَلِلعاداتِ يا هَذا لُزومُ

- 38 -

وَمَــن نَـزَلَـت بِـسـاحَـتِـهِ المَـنـايـا
فَـلا أَرضٌ تَـقـيـهِ وَلا سَـمـاءُ

قائله **الشافعي** (سبق ترجمته)

من قصيدة

دَعِ الأَيّامَ تَفعَلُ ما تَشاءُ ... وَطِب نَفساً إِذا حَكَمَ القَضاءُ
وَلا تَجزَع لِحادِثَةِ اللَيالي ... فَما لِحَوادِثِ الدُنيا بَقاءُ
وَكُن رَجُلاً عَلى الأَهوالِ جَلداً ... وَشيمَتُكَ السَماحَةُ وَالوَفاءُ
وَإِن كَثُرَت عُيوبُكَ في البَرايا ... وَسَرَّكَ أَن يَكونَ لَها غِطاءُ
تَسَتَّر بِالسَخاءِ فَكُلُّ عَيبٍ ... يُغَطّيهِ كَما قيلَ السَخاءُ
وَلا تُرِ لِلأَعادي قَطُّ ذُلّاً ... فَإِنَّ شَماتَةَ الأَعدا بَلاءُ
وَلا تَرجُ السَماحَةَ مِن بَخيلٍ ... فَما في النارِ لِلظَمآنِ ماءُ
وَرِزقُكَ لَيسَ يُنقِصُهُ التَأَنّي ... وَلَيسَ يَزيدُ في الرِزقِ العَناءُ
وَلا حُزنٌ يَدومُ وَلا سُرورٌ ... وَلا بُؤسٌ عَلَيكَ وَلا رَخاءُ
إِذا ما كُنتَ ذا قَلبٍ قَنوعٍ ... فَأَنتَ وَمالِكُ الدُنيا سَواءُ
وَمَن نَزَلَت بِساحَتِهِ المَنايا ... فَلا أَرضٌ تَقيهِ وَلا سَماءُ
وَأَرضُ اللَهِ واسِعَةٌ وَلَكِن ... إِذا نَزَلَ القَضا ضاقَ الفَضاءُ
دَعِ الأَيّامَ تَغدِرُ كُلَّ حينٍ ... فَما يُغني عَنِ المَوتِ الدَواءُ

- 39 -

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامةٌ

قائله عمران بن حطان

عمران بن حطان بن ظبيان السدوس الشيباني الوائلي أبو سماك. رأس القعدة، من الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم.

كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث، من أهل البصرة، وأدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم، وروى أصحاب الحديث عنه ثم لحق بالشراة، فطلبه الحجاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك بن مروان، فرحل إلى عُمان، فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه، فلجأ إلى قوم من الأزد، فمات عندهم إباضياً.

وإنما عُد من قعدة الصفرية لأنه طال عمره وضعف عن الحرب فاقتصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه. وكان شاعراً مفلقاً مكثراً، وهو القائل :

حتى متى لا نرى عدلا نعيش به

ولا نرى لدعاة الحق أعوانا

القصيدة

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامةٌ — رَبداء تفزعُ من صَفيرِ الصّافرِ

هلاّ برزت إلى الغزالة في الوغى — بل كانَ قلبُك في جَناحي طائرِ

صدعت غزالة قلبه بفوارس — تركت مناظره كأمس الدّابرِ

ألقِ السِلاحَ وَخُذ وِشاحي مُعصِرٍ — وَاعمَد لِمَنزِلَةِ الجَبانِ الكافِرِ

- 40 -

لا تَسقِني ماءَ الحَياةِ بِذلَّةٍ
بَل فَاسقِني بِالعِزِّ كَأسَ الحَنظَلِ

قائله عنترة بن شداد (سبق ترجمته)

من قصيدة

حَكِّم سُيوفَكَ في رِقابِ العُذَّلِ ... وَإِذا نَزَلتَ بِدارِ ذُلٍّ فَارحَلِ
وَإِذا بُليتَ بِظالِمٍ كُن ظالِماً ... وَإِذا لَقيتَ ذَوي الجَهالَةِ فَاجهَلِ
وَإِذا الجَبانُ نَهاكَ يَومَ كَريهَةٍ ... خَوفاً عَلَيكَ مِنَ ازدِحامِ الجَحفَلِ
فَاعصِ مَقالَتَهُ وَلا تَحفِل بِها ... وَاقدِم إِذا حَقَّ اللِقا في الأَوَّلِ
وَاختَر لِنَفسِكَ مَنزِلاً تَعلو بِهِ ... أَو مُت كَريماً تَحتَ ظِلِّ القَسطَلِ
فَالمَوتُ لا يُنجيكَ مِن آفاتِهِ ... حِصنٌ وَلَو شَيَّدتَهُ بِالجَندَلِ
مَوتُ الفَتى في عِزَّةٍ خَيرٌ لَهُ ... مِن أَن يَبيتَ أَسيرَ طَرفٍ أَكحَلِ
إِن كُنتَ في عَدَدِ العَبيدِ فَهِمَّتي ... فَوقَ الثُرَيّا وَالسِماكِ الأَعزَلِ
وَبِذابِلي وَمُهَنَّدي نِلتُ العُلا ... لا بِالقَرابَةِ وَالعَديدِ الأَجزَلِ

إلى أن يقول

وَبِذابِلي وَمُهَنَّدي نِلتُ العُلا   لا بِالقَرابَةِ وَالعَديدِ الأَجزَلِ
وَأَنا ابنُ سَوداءِ الجَبينِ كَأَنَّها   ضَبُعٌ تَرَعرَعَ في رُسومِ المَنزِلِ
السَاقُ مِنها مِثلُ ساقِ نَعامَةٍ   وَالشَعرُ مِنها مِثلُ حَبِّ الفُلفُلِ
وَالثَغرُ مِن تَحتِ اللِثامِ كَأَنَّهُ   بَرقٌ تَلَألَأَ في الظَلامِ المُسدَلِ
يا نازِلينَ عَلى الحِمى وَدِيارِهِ   هَلّا رَأَيتُم في الدِيارِ تَقَلقُلي
قَد طالَ عِزُّكُمُ وَذُلّي في الهَوى   وَمِنَ العَجائِبِ عِزُّكُم وَتَذَلُّلي
لا تَسقِني ماءَ الحَياةِ بِذِلَّةٍ   بَل فَاسقِني بِالعِزِّ كَأسَ الحَنظَلِ
ماءُ الحَياةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمٍ   وَجَهَنَّمٌ بِالعِزِّ أَطيَبُ مَنزِلِ

- 41 -

نَــدِمــتُ نَــدامَــةَ الـكُـسَـعِـيِّ لَمّـا
غَــدَت مِــنّــي مُــطَـلَّـقَـةً نَــوارُ

قائله **الفرزدق**

هو همام بن غالب بن صعصة بن ناجية بن عقال بن محمد ابن سفيان بن مجاشع بن دارم، أبو فراس همام - وقال ابن قتيبة في «طبقات الشعراء» : هميم بالتصغير - ابن غالب، وكنيته أبو الأخطل، ابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، واسمه بحر، بن مالك، واسمه عوف سمي بذلك لجوده، ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، التميمي، المعروف بالفرزدق، الشاعر المشهور صاحب جرير.

كان أبوه غالب من جلة قومه وسرواتهم، وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس.

ولأبيه مناقب مشهورة ومحامد مأثورة، فمن ذلك أنه أصاب أهل الكوفة مجاعة وهو بها فخرج أكثر الناس إلى البوادي، فكان هو رئيس قومه، وكان سحيم بن وثيل الرياحي رئيس قومه، واجتمعوا بمكان يقال له صوأر في أطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم الكوفة - وهو بفتح الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الهمزة وبعدها راء - فعقر غالب لأهله ناقة وصنع منها طعاماً، وأهدى إلى قوم من بني تميم لهم جلالة جفاناً من ثريد، ووجه إلى سحيم جفنة، فكفأها وضرب الذي أتاه بها وقال : أنا مفتقر إلى طعام غالب؟

إذا نحر هو ناقة نحرت أنا أخرى، فوقعت المنافرة بينهما، وعقر سحيم لأهله ناقة، فلما كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين، فعقر سحيم لأهله ناقتين، فلما كان اليوم الثالث عقر غالب ثلاثاً، فعقر سحيم ثلاثاً، فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة، فلم يكن عند سحيم هذا القدر، فلم يعقر شيئاً وأسرها في نفسه.

فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم: جررت علينا عار الدهر، هلا نحرت مثل ما نحر، وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين؟ فاعتذر بأن إبله كانت غائبة، وعقر ثلثمائة ناقة، وقال للناس: شأنكم والأكل، وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فاستفتي في حل الأكل منها فقضى بحرمتها وقال : هذه ذبحت لغير مأكلة، ولك يكن المقصود منها إلا المفاخرة والمباهاة، فألقيت لحومها على كناسة الكوفة فأكلتها الكلاب والعقبان والرخم، وهي قصة مشهورة، وأما جده صعصعة بن ناجية فإنه كان عظيم القدر في الجاهلية، واشترى ثلاثين موءودة، منهن بنت لقيس بن عاصم المنقري، وفي ذلك يقول الفرزدق يفتخر به : وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد وهو أول من أسلم من أجداد الفرزدق، وقد ذكره في كتاب «الاستيعاب» في جملة الصحابة، رضوان الله عليهم اجمعين.

وقد اختلف العلماء أهل المعرفة بالشعر في الفرزدق وجرير والمفاضلة بينهما، والأكثرون على أن جريراً أشعر منه، وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو مشهور، وقد جمع لهما كتاب يسمى «النقائض» وهو من الكتب المشهورة.

يقول الفرزدق أتتني النوار فقالت : كلم هذا الرجل أن يطلقني. قلت: وما تريدين من ذلك؟ قالت : كلمه. قال :

فأتيت الفرزدق فقلت : يا أبا فراس، إن النوار تطلب الطلاق. فقال: ما تطيب نفسي حتى أشهد الحسن، فأتى الحسن فقال : يا أبا سعيد اشهد أن النوار طالق ثلاثاً. قال : قد شهدنا. قال : فلما صار في بعض الطريق قال: طلقتك، قالت : نعم، قال : كلا.

قالت إذن يخزيك الله عز وجل يشهد عليك الحسن وحلقته فترجم، فقال :

نَـدِمـتُ نَـدامَـةَ الـكُـسَـعِـيِّ لَمّـا ... غَـدَت مِـنّـي مُـطَـلَّـقَـةً نَـوارُ
وَكـانَـت جَـنَّـتي فَـخَـرَجتُ مِنها ... كَـآدَمَ حـيـنَ لَـجَّ بِـهـا الـضِـرارُ
وَكُـنـتُ كَـفـاقِـئٍ عَـيـنَـيـهِ عَـمـداً ... فَـأَصـبَـحَ مـا يُـضـيءُ لَـهُ النَهارُ
وَلا يـوفي بِـحُـبِّ نَـوارَ عِـنـدي ... وَلا كَـلَـفـي بِـهـا إِلّا انـتِـحـارُ
وَلَـو رَضِـيَـت يَـدايَ بِـهـا وَقَـرَّت ... لَـكـانَ لَـهـا عَـلـى الـقَـدَرِ الـخِـيـارُ
وَمـا فـارَقـتُـهـا شِـبَـعـاً وَلَـكِـن ... رَأَيـتُ الـدَهـرَ يَـأخُـذُ مـا يُـعـارُ

- 42 -

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً،
وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

قائله **طرفة بن العبد**

هو طرفة بن العبد بن سفيان، وهو أجودهم طويلةً، وهو القائل :

لِخَوْلَةَ أَطْلاَلٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ

وله بعدها شعرٌ حسن، وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد إلا القليل. وكان في حسبٍ من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم. وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مرثدٍ، وكان عبد عمرو سيدٌ أهل زمانه، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال :

ولا عَيْبَ فيه غَيرُ أَنَّ له غِنًى وأَنَّ له كَشْحًا، إِذَا قام، أَهْضَما
وأَنَّ نساءَ الحَيِ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ يَقُلْنَ: عَسِيبٌ من سَرَارَةِ مَلْهَمَا

فبلغ عمرو بن هندٍ الشعر، فخرج يتصيد ومعه عبد عمروٍ، فأصاب حماراً فعقره، وقال لعبد عمرو : انزل إليه، فنزل إليه فأعياه، فضحك عمرو بن هند وقال: لقد أبصرك طرفة حين قال ولا عيب البيت! وكان عمرو بن هند شريراً، وكان طرفة قال له قبل ذلك :

لَيْتَ لنا مكانَ المَلِكِ عَمْرو رَغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ

فقال عبد عمرو: أبيت اللعن، الذي قال فيك أشد مما قال في، قال: وقد بلغ من أمره هذا؟ قال: نعم، فأرسل إليه، وكتب له إلى عامله بالبحرين فقتله. وقد بينت خبره في كتاب الشراب. ويقال إن الذي قتله المعلى بن حنش العبدي، والذي تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيفلى حي من طسم

وجديس. ومن جيد شعره قوله :

أَرَى قَبْرَ نَحَّام بَخِيلٍ بمالِهِ　　كقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَةِ مُفْسِدِ
أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكَرِيمَ ويَصْطَفِي　　عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ
أَرَى الدَهْرَ كَنْزًا ناقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ　　وما تَنْقُصِ الأَيَّامُ والدَهْرُ يَنْفَدِ
لعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ ما أَخْطأَ الفَتَى　　لَكَالطِوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ فِي اليَدِ

وكان أبو طرفة مات وطرفة صغير، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله، فقال:

ما تَنْظُرُونَ بمالِ وَرْدَةَ فيكُمُ　　صَغُرَ البَنُونَ ورَهْطُ ورْدَةَ غُيَّبُ
قد يَبْعَثُ الأَمْرَ العظيمَ صَغِيرُهُ　　حتى تَظَلَّ له الدِماءُ تَصَبَّبُ
والظُلْمُ فَرَّقَ بين حَيَّيْ وائِلٍ　　بَكْرٌ تُسَاقِيها المنايا تَغْلِبُ
والصِدْقُ يَأْلَفُهُ الكَرِيمُ المُرْتَجَى　　والكِذْبُ يَأْلَفُهُ الدَنِيُّ الأَخْيَبُ

ويتمثل من شعره بقوله :

وتَرُدُّ عنك مَخِيلَةَ الرَجُلِ الـ　　ـعِرِيضِ مُوضِحَةٌ عنِ العَظْمِ
بحُسامِ سيْفِكَ أو لِسانِكَ، والْـ　　ـكَلِمُ الأَصِيلُ كأَرْغَبِ الكَلْمِ

القصيدة

لِخَولَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ،　　تَلُوحُ كباقي الوَشْمِ فِي ظاهِرِ اليَدِ
وُقُوفاً بها صَحبي عَلَيّ مَطِيَّهُمْ،　　يَقُولونَ لا تَهلِكْ أَسىً وَتَجَلَّدِ
كَأَنَّ حُدُوجَ المالِكيّةِ غُدوَةً،　　خَلايا سَفِينٍ بالنّواصِفِ مِنْ دَدِ
عَدَوْلِيّةٍ أو مِنْ سَفِينِ ابنِ يامِنٍ　　يَجورُ بها المَلاّحُ طَوْراً وَيَهْتَدي
يَشُقّ حَبابَ الماءِ حَيزُومُها بهَا　　كما قَسَمَ التُّرْبَ المُفائِلُ باليَدِ
وفِي الحَيّ أَحْوَى يَنفُضُ المَرْدَ شادِنٌ　　مُظاهِرُ سِمطَيْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ
خَذُولٌ تُراعي رَبْرَباً بِخَميلَةٍ　　تَنَاوَلُ أَطْرافَ البَريرِ وَتَرْتَدي

وَتَبسِمُ عَنْ أَلْمى كَأَنّ مُنَوَّراً تَخَلّلَ حُرّ الرّملِ، دِعصٍ لهُ نَدِ
سَقَتْهُ إياهُ الشّمسَ إلاّ لِثاته أُسِفّ، ولم تَكدِمْ عَلَيهِ بإثْمِدِ
وَوَجهٌ كَأَنّ الشّمسَ حَلّتْ رِداءَها عَلَيهِ، نَقيُّ اللّونِ لَمْ يَتَخَدّدِ
وَإنيّ لأُمضي الهَمّ عِنْدَ احْتِضارِه، بِهَوجَاءَ مِرقالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدي
أَمُونٍ كأَلواحِ الإرَانِ نَسَأْتُها على لاحِبٍ، كَأَنّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ
جَمالِيّة، وَجَناءَ تَرءدي كَأَنّها سَفَنّجَةٌ تَبري لأَزْعَرَ أَرْبَدِ
تُباري عِتاقاً ناجِياتٍ، وَأَتبَعَتْ وظيفاً وَظيفاً فَوقَ مَوْرٍ مُعَبّدِ
تَرَبّعَتِ القُفّينِ في الشّوْلِ تَرتَعي حَدائِقَ مَوليّ الأسِرّةِ أَغْيَدِ

إلى أن يقول

ويَوم حَبَستُ النّفسَ عندَ عِراكِهِ حِفاظاً على عَوراتِهِ والتّهَدُّدِ
علىمَوطِنٍيَخشَى الفتىعندَهُالرّدى مَتى تَعترِكْ فيهِ الفَرائصُ تُرْعَدِ
أرى الموتَ لا يرعى على ذي جلالة وإنْ كان في الدُّنيا عزيزاً بمقْعَدِ
وأَصفَرَ مَضبُوحٍ نَظَرتُ حِوارَهُ على النّارِ واستوْدَعتُه كَفّ مُجمِدِ
ستُبدي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهِلاً، وَيأْتيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
ويأتيكَ بالأنباءِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ بَتاتاً ولم تَضرِبْ لهُ وَقتَ مَوعِدِ
لَعَمرُكَ ما الأيّامُ إلاّ مُعارَةٌ، فما اسْطَعْتَ من مَعرُوفِها فَتَزَوّدِ
ولا خيرَ في خيرٍ تَرَى الشّرّ دُوْنَهُ ولا نائلٌ يأْتيكَ بَعْدَ التّلَدُّدِ
عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وَأَبصِرْ قَرينَهُ فإنّ القَرينَ بالمُقارِنِ مُقتَدِ
لَعَمرُكَ ما أدري وإنّي لَواجِلٌ أَفي اليَوم إقْدامُ المَنيّةِ أَمْ غَدِ
فإنْ تَكُ خَلفي لا يَفُتها سَوادِيا، وإنْ تَكُ قُدّامي أَجِدْها بِمَرْصَدِ
إذا أنتَ لم تَنفَعْ بِوُدّكَ أَهْلَهُ، ولم تَنْكِ بالبُؤسَى عَدوّكَ، فابْعَدِ

- 43 -

وَهَــل أَنــا إِلا مِــن غَــزِيَــةَ إِن غَـوَت
غَـوَيـتُ وَإِن تَـرشُـد غَـزِيَــةُ أَرشَــدِ

قائله دريد بن الصمة

هـو دريـد بـن الصمة، مـن جشم بـن معاوية بـن بكر بـن هـوازن بن منصوربن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. ويكنى أبا قرة. وهوازن أخو سليم بن منصور. وكان دريد من فخذ من جشم يقال لهم بنو غزية. وأمه ريحانة بنت معدي كرب، أخت عمرو بن معدى كرب. وعمرو خاله.

وهو أحد الشجعاء المشهورين، وذوى الرأى في الجاهلية. وشهد يوم حنين مع هوازن وهو شيخ كبير في شجار له يقاد به. والشجار مركب دون الهودج مكشوف الرأس.

فقال بأي وادٍ أنتم؟ قالوا بأوطاس، قال نعم مجال الخيل.لا حزن ضرس، ولا سهل دهس، ثم قال لمالك بن عوف ما لي أسمع بكاء الصغير، ورغاء البعير، ونهاق الحمير،ويعار الشاء؟ فقال مالك يا أبا قرة، إني سقت مع الناس أموالهم وذراريهم، وأردت أن أجعل خلف كل رجلٍ أهله وماله يقاتل عنه، فأنقض به دريد، ثم قال رويعى ضأنٍ والله! وهل يرد المنهزم شيء؟! وقال هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه وقال :

يـا لَـيْـتَـنِـي فـيـهـا جَـذَعْ أَخُــبُّ فـيـهـا وأَضَــعْ
أَقُــودُ وَطْـفـاءَ الـزَّمَـعْ كـأَنَّـهـا شـاةٌ صَـدَعْ

وقتل دريد يومئذٍ فيمن قتل من المشركين. أغار دريد بن الصمة هو أوخوه عبد الله على نعم لقيس، فاستاقوها، فلما كانوا ببعض الطريق نزل

عبد الله ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه، فنهاه دريد، فبينما هما كذلك رأوا غبرة فقالوا لرقيبهم : ما ترى؟

قال : خيلاً كالعقبان، عليها فوارس كالصبيان، فقال : فزارة ولا بأس. ثم رأوا غبرة أخرى

فقالوا له : ما ترى؟ قال خيلا كأن قوائمها تنقلع من صخر، قال تلك عبس والموت، فلما خالطوهم قتل عبد الله، فقال دريد:

القصيدة

أَرَثَّ جَديدُ الحَبلِ مِن أُمِّ مَعبَدِ ... بِعاقِبَةٍ وَأَخلَفَت كُلَّ مَوعِدِ
وَبانَت وَلَم أَحمَد إِلَيكَ نَوالَها ... وَلَم تَرجُ فينا رِدَّةَ اليَومِ أَو غَدِ
مِنَ الخَفِراتِ لا سَقوطاً خِمارُها ... إِذا بَرَزَت وَلا خَروجَ المُقَيَّدِ
وَكُلَّ تَباريحِ المُحِبِّ لَقيتُهُ ... سِوى أَنَّني لَم أَلقَ حَتفي بِمَرصَدِ
وَأَنِّيَ لَم أَهلِك خُفاتاً وَلَم أَمُت ... خُفاتاً وَكُلّاً ظَنَّهُ بِيَ عُوَّدي
كَأَنَّ حُمولَ الحَيِّ إِذ تَلَعَ الضُحى ... بِنا صِفَةِ الشَجناءِ عُصبَةُ مِذوَدِ
أَوِ الأَثأَبُ العُمُّ المُخَرَّمُ سوقُهُ ... بِشابَةَ لَم يُخبَط وَلَم يَتَعَضَّدِ
أَعاذِلَ مَهلاً بَعضُ لَومِكِ وَاقصِدي ... وَإِن كانَ عِلمُ الغَيبِ عِندَكِ فَارشِدي
أَعاذِلَتي كُلُّ امرِئٍ وَابنُ أُمِّهِ ... مَتاعٌ كَزادِ الراكِبِ المُتَزَوِّدِ
أَعاذِلَ إِنَّ الرُزءَ في مِثلِ خالِدٍ ... وَلا رُزءَ فيما أَهلَكَ المَرءُ عَن يَدِ
وَقُلتُ لِعارِضٍ وَأَصحابِ عارِضٍ ... وَرَهطِ بَني السَوداءِ وَالقَومُ شُهَّدي
عَلانِيَةً ظُنّوا بِأَلفَي مُدَجَّجٍ ... سَراتُهُمُ في الفارِسِيِّ المُسَرَّدِ
وَقُلتُ لَهُم إِنَّ الأَحاليفَ أَصبَحَت ... مُطَنِّبَةً بَينَ السِتارِ فَثَهمَدِ
فَما فَتِئوا حَتّى رَأَوها مُغيرَةً ... كَرِجلِ الدَبى في كُلِّ رَبعٍ وَفَدفَدِ

وَلَمّا رَأَيتُ الخَيلَ قُبلاً كَأَنّها جَرادٌ يُباري وِجهَةَ الريحِ مُغتَدي
أَمَرتُهُمُ أَمري بِمُنعَرَجِ اللِوى فَلَم يَستَبينوا النُصحَ إِلّا ضُحى الغَدِ
فَلَمّا عَسوني كُنتُ مِنهُم وَقَد أَرى غِوايَتَهُم وَأَنَّني غَيرُ مُهتَدي
وَهَل أَنا إِلّا مِن غَزِيَّةَ إِن غَوَت غَوَيتُ وَإِن تَرشُد غَزِيَّةُ أَرشَدِ

إلى أن يقول

فَكُنتُ كَأَنّي واثِقٌ بِمُصَدَّرٍ يُمَشّي بِأَكنافِ الحُبَيبِ بِمَشهَدِ
لَهُ كُلُّ مَن يَلقى مِنَ الناسِ واحِداً وَإِن يَلقَ مَثنى القَومِ يَفرَح وَيَزدَدِ
وَهَوَّنَ وَجدي أَنَّني لَم أَقُل لَهُ كَذَبتَ وَلَم أَبخَل بِما مَلَكَت يَدي
فَإِن تُعقِبِ الأَيّامُ وَالدَهرُ تَعلَموا بَني قارِبٍ أَنّا غِضابٌ بِمَعبَدِ

- 44 -

لَولا المَشَقَّةُ سادَ النّاسُ كُلُّهُمُ
الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ

قائله **المتنبي** (سبق ترجمته) من قصيدة

يمدح أبا شجاع فاتك الملقب بالمجنون

وكان المتنبي الشاعر بمصر قد مدح كافوراً بغرر القصائد، فسمع المتنبي بكرم المجنون فأحب أن يمدحه، ولم يجسر خوفاً من كافور. وكان كافور يكره فاتكاً في الباطن ويخافه، وصار فاتك يراسل المتنبي ويسأل عنه إلى أن اتفق اجتماعهما يوماً بالصحراء وجرت بينهما مفاوضات. فلما رجع فاتك إلى داره بعث إلى المتنبي بهدية قيمتها ألف دينار، ثم أتبعها بهدايا أخر. فاستأذن المتنبي كافوراً في مدح فاتك، فأذن له خوفاً من فاتك، وفي النفس شيء من ذلك، فمدحه المتنبي بقصيدته التي أولها :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

إلى أن قال :

كفاتك ودخول الكاف منقصة   كالشمس قلت وما للشمس أمثال

فحقد كافور على المتنبي لذلك، وفطن المتنبي بعدوانه، فخرج من مصر هارباً وكان هذا سبباً لهجو المتنبي كافوراً بعد أن كان مدحه بعدة مدائح.

القصيدة

لا خَيلَ عِندَكَ تُهديها وَلا مالُ   فَليُسعِدِ النُطقُ إِن لَم تُسعِدِ الحالُ
وَاِجزِ الأَميرَ الَّذي نُعماهُ فاجِئَةٌ   بِغَيرِ قَولٍ وَنُعمى الناسِ أَقوالُ

فَرُبَّما جَزِيَ الإحسانَ مولِيَهُ ... خَريدَةٌ مِن عَذارى الحَيِّ مِكسالُ
وَإِن تَكُن مُحكَماتُ الشُكلِ تَمنَعُني ... ظُهورَ جَري فَلي فيهِنَّ تَصهالُ
وَما شَكَرتُ لِأَنَّ المالَ فَرَّحَني ... سِيّانِ عِندِيَ إِكثارٌ وَإِقلالُ
لَكِن رَأَيتُ قَبيحاً أَن يُجادِلَنا ... وَأَنَّنا بِقَضاءِ الحَقِّ بُخّالُ
فَكُنتُ مَنبِتَ رَوضِ الحُزنِ باكَرَهُ ... غَيثٌ بِغَيرِ سِباخِ الأَرضِ هَطّالُ
غَيثٌ يُبَيِّنُ لِلنُظّارِ مَوقِعُهُ ... أَنَّ الغُيوثَ بِما تَأتيهِ جُهّالُ
لا يُدرِكُ المَجدَ إِلّا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِما يَشُقُّ عَلى الساداتِ فَعّالُ
لا وارِثٌ جَهِلَت يُمناهُ ما وَهَبَت ... وَلا كَسوبٌ بِغَيرِ السَيفِ سَئّالُ
قالَ الزَمانُ لَهُ قَولاً فَأَفهَمَهُ ... إِنَّ الزَمانَ عَلى الإِمساكِ عَذّالُ
تَدري القَناةُ إِذا اهتَزَّت بِراحَتِهِ ... أَنَّ الشَقِيَّ بِها خَيلٌ وَأَبطالُ
كَفاتِكٍ وَدُخولُ الكافِ مَنقَصَةٌ ... كَالشَمسِ قُلتُ وَما لِلشَمسِ أَمثالُ
القائِدِ الأُسدَ غَذَّتها بَراثِنُهُ ... بِمِثلِها مِن عِداهُ وَهيَ أَشبالُ
القاتِلِ السَيفَ في جِسمِ القَتيلِ بِهِ ... وَلِلسُيوفِ كَما لِلناسِ آجالُ
تُغيرُ عَنهُ عَلى الغاراتِ هَيبَتُهُ ... وَمالُهُ بِأَقاصي الأَرضِ أَهمالُ

إلى أن قال

كَأَنَّ نَفسَكَ لا تَرضاكَ صاحِبَها ... إِلّا وَأَنتَ عَلى المِفضالِ مِفضالُ
وَلا تَعُدُّكَ صَوّاناً لِمُهجَتِها ... إِلّا وَأَنتَ لَها في الرَوعِ بَذّالُ
لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ ... الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ
وَإِنَّما يَبلُغُ الإِنسانُ طاقَتَهُ ... ما كُلُّ ماشِيَةٍ بِالرَحلِ شِملالُ
إِنّا لَفي زَمَنٍ تَركُ القَبيحِ بِهِ ... مِن أَكثَرِ الناسِ إِحسانٌ وَإِجمالُ
ذِكرُ الفَتى عُمرُهُ الثاني وَحاجَتُهُ ... ما قاتَهُ وَفُضولُ العَيشِ أَشغالُ

- 45 -

وإنمــــا أولادنــــا بيننــا
أكبــادنــا تمشــي علــى الأرضِ

قائله **حِطّان بن المُعَلّى الطائي** شاعر إسلامي من شعراء الحماسة

القصيدة

أَنْـزَلَـنِـي الـدّهْـرُ على حُكْمِهِ   مِـن شـامِـخٍ عـالٍ إلى خَـفْـضِ
وغـالَـنِـي الـدّهْـرُ بـوَفْـرِ الغِنَى   فَـلَيْـس لي مـالٌ سِـوَى عِرْضِي
أَبْـكـانِيَ الـدّهْـرُ ويـا رُبّمـا   أَضْـحَـكَنِي الـدّهْـرُ بِمـا يُرْضِي
لَـوْلا بُـنَـيّـاتٌ كَـزُغْـبِ القَطا   رُدِدْنَ مـن بَـعْـضٍ إلى بَعْضِ
لَـكـانَ لي مُـضْـطَـرَبٌ واسِـعٌ   من لأَرْضِ ذاتُ الطُّولِ والعَرْضِ
وإنّمـــا أَوْلادُنـــا بَـيْـنَـنـا   أَكْـبـادُنـا تَمْـشِـي على الأَرْضِ

- 46 -

على قَدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ
وتأتي على قَدْرِ الكرامِ المكارمُ

قائله **المتنبي** (سبق ترجمته)

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة :

على قَدْرِ أهلِ العزم تأتي العزائمُ — وتأتي على قَدْرِ الكرامِ المكارمُ
فتعظُمُ في عين الصّغيرِ صغارُها — وتصغر في عين العظيم العظائمُ
يكلّفُ سيفُ الدّولة الجيشَ همّهُ — وقد عجزتْ عنهُ الجيوش الخضارمُ
ويطلبُ عندَ النّاسِ ما عندَ نفسِه — وذلك ما لا تدّعيه الضّراغمُ
يُفدّي أتمُّ الطّير عمراً سلاحَهُ — نسورُ الملا أحداثُها والقشاعمُ
وما ضرّها خلقٌ بغير مخالب — وقد خُلقَتْ أسيافُه والقوادمُ
تُفيتُ اللّيالي كلّ شيءٍ أخذتَهُ — وهنّ لما يأخذْنَ منكَ غوارمُ
إذا كان ما تنويه فعلاً مُضارعاً — مضى قبلَ أن تُلقى عليه الجوازمُ
أتوْكَ يجرُّونَ الحديدَ كأنّما — سرَوا بجيادٍ ما لهنّ قوائمُ
إذا برقوا لم تُعْرف البيضُ منهمُ — ثيابهُم من مثلها والعمائمُ
خميسٌ بشرق الأرضِ والغربِ زحفُهُ — وفي أُذنِ الجوزاءِ منهُ زمازمُ
تجمّع فيه كلُّ لِسْنٍ وأمّةٍ — فما يعرف الحُدّاثَ إلاّ التّراجمُ
وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ — كأنّكَ في جفنِ الرّدى وهو نائمُ
تمرُّ بكَ الأبطالُ كَلْمى هزيمةً — ووجهُكَ وضّاحٌ وثغرُكَ باسمُ
ضممْتَ جناحيهم على القلبِ ضمّةً — تموتُ الخوافي تحتها والقوادمُ

بضرْبٍ أتى الهاماتِ والنّصرُ غائبٌ وصارَ إلى اللبّاتِ والنّصرُ قادمُ

ومن طلبَ الفتحَ الجليلَ فإنّما مفاتيحُهُ البيضُ الخِفافُ الصّوارمُ

نثرتهُمُ فوق الأُحَيْدبِ كلِّهِ كما نُثرتْ فوقَ العروسِ الدّراهمُ

ولستَ مليكاً هازماً لنظيرِهِ ولكنّهُ التّوحيدُ للشِّركِ هازمُ

- 47 -

وَإذا لَم يَكُن مِنَ المَوتِ
بُدٌّ فَمِنَ العَجزِ أَن تَكونَ جَبانا

قائله **المتنبي** (سبق ترجمته)

من قصيدة كتبها بمصر، ولم ينشدها كافوراً ولم يذكره فيها :

صَحِبَ الناسُ قَبلَنا ذا الزَمانا ... وَعَناهُم مِن شَأنِهِ ما عَنانا
وَتَوَلَّوا بِغُصَّةٍ كُلُّهُم مِنـ ... ـهُ وَإِن سَرَّ بَعضَهُم أَحيانا
رُبَّما تُحسِنُ الصَنيعَ لَياليـ ... ـهِ وَلَكِن تُكَدِّرُ الإِحسانا
وَكَأَنّا لَم يَرضَ فينا بِرَيبِ الـ ... ـدَهرِ حَتّى أَعانَهُ مَن أَعانا
كُلَّما أَنبَتَ الزَمانُ قَناةً ... رَكَّبَ المَرءُ في القَناةِ سِنانا
وَمُرادُ النُفوسِ أَصغَرُ مِن أَن ... نَتَعادى فيهِ وَأَن نَتَفانى
غَيرَ أَنَّ الفَتى يُلاقي المَنايا ... كالِحاتٍ وَلا يُلاقي الهَوانا
وَلَوَ أَنَّ الحَياةَ تَبقى لِحَيٍّ ... لَعَدَدنا أَضَلَّنا الشُجعانا
وَإِذا لَم يَكُن مِنَ المَوتِ بُدٌّ ... فَمِنَ العَجزِ أَن تَكونَ جَبانا
كُلُّ ما لَم يَكُن مِنَ الصَعبِ في الأَنـ ... ـفُسِ سَهلٌ فيها إِذا هُوَ كانا

- 48 -

ومــن لم يمـت بـالـسـيـف مـات بـغـيره
تـعـددت الأسـبـاب والمـوت واحـد

قائله ابن السعدي :

عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة بن حميد بن نباتة، أبو نصر التميمي السعدي البغدادي، أحد الشعراء المجودين، كان يعاب لكبرٍ فيه. توفي سنة خمس وأربعمائة، مدح الملوك والوزراء، وله في سيف الدولة غر القصائد، كان قد أعطاه فرساً أدهم أغر محجلاً فكتب إليه :

يـا أيـهـا الملك الـذي أخـلافـه ... مـن خـلـقـه ورواؤه مـن رائـه
قد جاءنا الطرف الذي أهديته ... هـاديـة يـعـقـد أرضـه بسمائه
أولايـــة ولـيـتـنـا فـبـعـثـتـه ... رمحاً سبيت العرف عقد لوائه
نـحـتـل مـنـه عـلـى أغـر محجل ... مـاء الـديـاجـي قـطـرة مـن مائه
فـكـأنـمـا لـطـم الـصـبـاح جبينه ... فاقتص منه فخاض في أحشائه
مـتـمـهـلاً والـبـرق مـن أسمائه ... متبرقعاً والحسـن مـن أكفائه
مـا كـانـت الـنـيـران يكمن حرها ... لـو كـان للـنـيـران بعض ذكائه
لا تـعـلـق الألـحـاظ في أعطافه ... غـلا إذا كـفـكـفـت مـن غلوائه
لا يكمل الـطـرف المحاسن كلها ... حتى يكون الطرف من أسرائه

قلت : قد اشتهر هذا البيت الذي له، أعني قوله :

وكـأنمـا لـطـم الـصـبـاح جـبـيـنـه

فيروى أن ابن حجاج أو غيره قال :

غضبت صباح وقد رأتني قابضاً ... أيـري فقلت لـهـا: مـقـالـة فاجر
بـالله إلا مـا لـطـمـت جبينه ... حتى يحقق فيك قـول الشاعر

ومن شعر أبي نصر بن نباتة :

قد جدت لي باللهى حتى ضجرت بها　　وكدت من ضجري أثني على البخل

إن كنت ترغب في أخذ النوال لنا　　فاخلق لنا أملاً أولا فلا تنل

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله　　تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

وقال ابن نباتة : كنت يوماً قائلاً في دهليزي فدق علي الباب، فقلت: من؟ قال : رجل من أهل المشرق، أنت القائل : ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تخالفت الأسباب والداء واحد. فقلت : نعم، فقال : أرويه عنك، فقلت: نعم. فلما كان آخر النهار دق علي الباب، فقلت : من؟ قال : رجل من أهل تاهرت من المغرب، فقلت : ما حاجتك؟ قال : أنت القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره　　تخالفت الأسباب والداء واحد

فقلت : نعم، فقال : أرويه عنك؟: فقلت: نعم، وعجبت كيف وصل قولي إلى المشرق والمغرب.

ومن شعر ابن نباتة قوله :

فلا تجعلني كالذي رأيتهم　　ومن يجعل الأقدام الذوائب

إذا بصروني نكسوا فكأنما　　شواربهم مضفورة بالحواجب

يردن وأطراف الرماح حوائم　　وهن قصار والرماح طوال

ومنه في السيف والرمح :

وصارم في الضراب نفحته　　يتبعها المنكبان والعنق

ومن نطاق الجوزاء مطرد　　كأنها في كعوبه نسق

وقال مهيار الديلمي يرثي ابن نباتة :

حملوك لو علموا من المحمول ... لارتاض معتاص وخفف ثقيل
واستودعوا بطن الثرى بك هضبة ... فاقلها إن الثرى لحمول
هالوا التراب على دقيق شخصه ... معنى التراب وقد حواه جليل
يا ناشد الكلم الغرائب أعوصت ... شبهاً فليس لآيها تأويل
قم ناد في النادي هل ابن نباتة ... أذن فتسمع أو فم فيقول
فاسأل غطارف من تميم أمهم ... يوم انطوى عبد العزيز ثكول
لو أغمدت أسيافكم عن نصره ... ولسانه من دونكم مسلول
أوما لبستم ما كسى أعراضكم ... شرفاً يعرض نسجها ويطول
ضيعتم رحماً رعاها برهة ... ويبيسها بكلامه مبلول

منها :

مني أخ إن ينأ عنك ولاؤه ... فوداده بك لاصق موصول
أسيان طابت نفسه عن نفسه ... لك بالفداء لو أنه مقبول
عقل السلو عن العيون وأن لي ... عيناً عليك وكاؤها محلول
تجد الدموع المقذيات جلاءها ... حتى كأن الدمع فيها الميل

القصيدة

سَقى رَصَدُ الاشراطِ ساكنَ حفرةٍ ... بفارسَ مردودٍ عليها الرّدائِدُ
ولا زال يُجدي قبرَه وهو معدِمٌ ... كما كان يُجدي كفّه وهو واحدُ
عليلٌ أَسَرّ اليأسُ منه طبيبَه ... وغيبَ عنه رهطُه والعوائدُ
خليليّ ما بعدَ الغرامِ تجلدٌ ... ولا بعد فيضِ الدمعِ للدمعِ ذائدُ
أَقِلّا فانّ العيشَ مالٌ وصحةٌ ... اذا عُدِمَا لَمْ يحمَدِ العَيشَ حامِدُ

ولا تأمنا لُبسَ السّقامِ أمنتما ... جريرتَه فالسقم للموتِ رَائِـدُ
هما الطالبانِ المدركانِ كلاهما ... غَزيٌّ على قَبضِ النفوسِ مسانِدُ
أَلم تـألما أنّ الـديـارَ تنكرتْ ... وأوحشَ منها ربعُها والمَعَاهِـدُ
وانّ أثافيها على الهجرِ والقِلى ... سَلمنَ ولم يَسلم من الحيّ ناشدُ
أَيادي سَبا طارتْ بهم غربةُ النوى ... فهم بين آفـاقِ الـبـلادِ بَـدَائِـدُ
فـقـبرٌ بـشـيرازَ يـهـيلُ تُـرابُـهُ ... وقـبرٌ بـجـيّ فـوقـه الـتُّربُ لا بدُّ
وبالرملِ من غربي دجلة ماجدٌ ... أربَّ عليه الـواكـفُ المتعاهدُ
رأيـتُ أبا الريانِ لم تحـمِ نفسَه ... مـن الـدهـرِ زَبُّـونـاتُـهُ والمكائدُ
تَـدَيّـرَ بـالـزوراءِ داراً مـزارُهـا ... قـريـبٌ ولـكـن نفـعُـهـا متباعدُ
فتى بليتْ أوصالُه وعظامُه ... ومـا بـلـيـتْ آثـارُه والمحـامـدُ
مجاورَ حيّ من لـؤي بنِ غالبٍ ... قـبـورهـم للزائـريـنَ مساجدُ
رَبَـا تُربها الزاكي ورشّحَ نبتُه ... ورنّـح مـنـه غصنُـه المتـعـائدُ
اذا أقلعتْ خرساءُ واهية الكُلى ... حَدَاهَا حَبيٌّ جلجلتْهُ الرواعدُ
ألا ليتَ شِعري ما يريدُ بنسله ... وثـروتـه هـذا الـدبـا المُسَـانِـدُ
يَهَابُ الفتَى فقدانَ ما هو واجدٌ ... ولو لم يجد ما هابَ ما هو فاقدُ
أرى المـرء فيما يبتغيه كأنما ... مـداولـة الأيـام فيـه مـبـارد
اذا ما قضى يوماً من الدهرِ حاجةً ... طوى طرفاً من عمره وهو جَاهدُ
تـعـلـةَ لاهٍ مـا تـعـمّـدَ كونه ... فَيُجزَى فساداً بالذي هو عامدُ
ويضطرم الجمعان والنقع ثائر ... فيسلم مقدام ويهلك خامد
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعددت الأسباب والموت واحد
فصبراً على ريب الزمان فإنما ... لكم خلقت أهواله والشدائد

- 49 -

يَـجُـودُ بـالـنّـفـسِ إنْ ضَـنَّ الجَـوادُ بِها
والجـودُ بـالـنّـفْـسِ أَقْـصَـى غـايـةِ الجُـودِ

قائله **مسلم بن الوليد** وهو مسلم بن الوليد، أبوه الوليد مولى الأنصار ثم مولى أبي أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي.

كان يلقب صريع الغواني، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية، منشؤه ومولده الكوفة. وهو ـ فيما زعموا ـ أول من قال الشعر المعروف بالبديع، هو لقب هذا الجنس البديع واللطيف. وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه. ومسلم كان متقنناً متصرفاً في شعره.

كان مسلم شاعراً حسن النمط، جيد القول في الشراب، وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى.

وهو أول من عقد هذه المعاني الظريفة واستخرجها.

كان مداحاً محسناً مجيداً مفلقاً، وهو أول من وسع البديع، لأن بشار بن برد أول من جاء به. ثم جاء مسلم فحشا به شعره، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه وتجاوز المقدار.

وجل مدائح مسلم في يزيد بن مزيد، وداود بن مزيد، وفي البرامكة. وقد مدح الخلفاء. مدح الرشيد باللامية السائرة، فلما دخل عليه فأنشده وبلغ قوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

قال له : أنت صريع الغواني. فسمي بذلك حتى صار لا يعرف إلا به.

ويقال : إن الرشيد كتب شعره بماء الذهب. وأول القصيدة :

أديــرا الـكأس لا تشربا قبلي ولا تطلبا من عند قاتلي ذحلي

وهي مشهورة سائرة جيدة عجيبة. ومما يستحسن له ـ على أن شعره كله ديباج حسن لا يدفعه عن ذلك أحد ـ قوله :

فـإني وإسـمـاعيل يـوم وداعـه لكالغمد يوم الروع زايله النصل

فإن أغش قوماً بعده أو أزرهـم فكالوحش يدنيها من الأنس المحل

كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلساً واحداً فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه، فوجه إليه مسلم بن الوليد راويته بشعره الذي يقول فيه :

جعلته حيث ترتاب الرياح به وتحسد الطير فيه أضبع البيد

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء، ولحقه بعقب خروجهم عنه، فتقدم إلى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له : استأذن لي على الأمير. قال : ومن أنت؟

قال : شاعر. قال : قد انصرف وقتك، وانصرف الشعراء، وهو على القيام. فقال له : ويحك، قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله. قال : وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع، فقال: هات حتى أسمع، فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه. فأنشده بعض القصيدة، فسمع شيئاً يقصر الوصف عنه، فدخل على داود فقال له : قد قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيه مثله، فقال: أدخل قائله. فأدخله، فلما مثل بين يديه سلم وقال: قدمت على الأمير ـ أعزه الله ـ بمدح يسمعه فيعلم به تقدمي على غيري ممن امتدحه.

فقال : هات. فلما افتتح القصيدة وقال :

لا تدع بي الشوق إني غير معمود نهى النهى عن هوى البيض الرعاديد

استوى جالساً وأطرق، حتى أتي الرجل على آخر الشعر، ثم رفع رأسه إليه ثم قال :

أهذا شعرك؟ قال : نعم أعز الله الأمير، قال : في كم قلته يا فتى؟ قال: في أربعة أشهر، أبقاك الله، قال : لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسناً، وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك، فإن كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله، وأمرت بالإجراء عليك، فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك. فقال : أو الإقالة، أعز الله الأمير. قال : أقلتك، قال : الشعر لمسلم بن الوليد، وأنا راويته والوافد عليك بشعره. فقال : أنا ابن حاتم ، إنك لما افتتحت شعره فقلت :

لا تدع بي الشوق إني غير معمود

سمعت كلام مسلم يناديني فأجبت نداءه واستويت جالساً. ثم قال: يا غلام، أعطه عشرة آلاف.

القصيدة

لا تَدعُ بي الشَوقَ إني غَيرُ مَعمودِ نَهى النُهى عَن هَوى الهَيفِ الرَعاديدِ

لَو شِئتُ لا شِئتُ راجَعتُ الصِبى وَمَشَت في العُيونُ وَفاتَتني بِمَجلودِ

سَل لَيلَةَ الخَيفِ هَل أَمضَيتُ آخِرَها بِالراحِ تَحتَ نَسيمِ الخُرَّدِ الغيدِ

شَجَّجتُها بِلُعابِ المُزنِ فَاغتَزَلَت نَسجَينِ مِن بَينِ مَحلولٍ وَمَعقودِ

كِلا الجَديدَينِ قَد أُطعِمتُ حَبرَتَهُ لَو آلَ حَيٌّ إِلى عُمرٍ وَتَخليدِ

أَهلاً بِوافِدَةٍ لِلشَيبِ واحِدَةٍ وَإِن تَراءَت بِشَخصٍ غَيرِ مَودودِ

لا أَجمَعُ الحِلمَ وَالصَهباءَ قَد سَكَنَت نَفسي إِلى الماءِ عَن ماءِ العَناقيدِ

إلى أن يقول :

اللهُ أطْفَأَ نارَ الحَرْبِ إذْ سُعِرَتْ   شَرْقاً بمُوقِدِها في الغَرْبِ داودِ
يَلْقَى المَنِيَّةَ في أَمْثالِ عُدّتِها   كالسَّيْلِ يَقْذِفُ جُلْمُوداً بجُلْمُودِ
يَجُودُ بالنَّفْسِ إنْ ضَنَّ الجَوادُ بها   والجودُ بالنَّفْسِ أقْصَى غايةِ الجُودِ
عَوَّدْتَ نَفْسَكَ عاداتٍ خُلِقْتَ لَها   صِدْقَ اللِّقاءِ وإنْجازَ المَواعِيدِ
نَفْسي فِداؤُكَ يا داودُ إذْ عَلِقَتْ   أَيْدِي الرَّدَى بنواصِي الضُّمَّرِ القُودِ
مَلأْتَها جَزَعاً أَخْلَى مَعاقِلَها   من كُلِّ أَبْلَخَ سامِي الطَّرْفِ صِنْدِيدِ
لَسْتَهُمْ بِيَدٍ للعَدْوِ مُتَّصِلٌ   بها الرَّدَى بَيْنَ تَلْيِينٍ وتَشْدِيدِ
وطارَ في إثْرِ مَن طارَ الفِرارُ بِهِ   خَوْفٌ يُعارِضُهُ في كُلِّ أُخْدُودِ

- 50 -

أعز مكانٍ في الدُّنا سَرْجُ سابحٍ
وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ

قائله **المتنبي** من قصيدة يمدح بها كافور الأخشيدي

مُنىً كُنّ لي أنّ البَياضَ خِضابُ فَيَخفى بِتَبييضِ القُرونِ شَبابُ
لَيالِيَ عِندَ البيضِ فَودايَ فِتنَةٌ وَفَخرٌ وَذاكَ الفَخرُ عِندِيَ عابُ
فَكَيفَ أَذُمُّ اليَومَ ما كُنتُ أَشتَهي وَأَدعو بِما أَشكوهُ حينَ أُجابُ
جَلا اللَونُ عَن لَونٍ هَدى كُلَّ مَسلَكٍ كَما انجابَ عَن ضَوءِ النَهارِ ضَبابُ
وَفي الجِسمِ نَفسٌ لا تَشيبُ بِشَيبِهِ وَلَو أَنَّ ما في الوَجهِ مِنهُ حِرابُ
لَها ظُفُرٌ إِن كَلَّ ظُفرٌ أُعِدُّهُ وَنابٌ إِذا لَم يَبقَ في الفَمِ نابُ
يُغَيِّرُ مِنّي الدَهرُ ما شاءَ غَيرَها وَأَبلُغُ أَقصى العُمرِ وَهيَ كَعابُ
وَإِنّي لَنَجمٌ تَهتَدي بِيَ صُحبَتي إِذا حالَ مِن دونِ النُجومِ سَحابُ
غَنِيٌّ عَنِ الأَوطانِ لا يَستَفِزُّني إِلى بَلَدٍ سافَرتُ عَنهُ إِيابُ
وَعَن ذَمَلانِ العيسِ إِن سامَحَت بِهِ وَإِلّا فَفي أَكوارِهِنَّ عُقابُ
وَأَصدى فَلا أُبدي إِلى الماءِ حاجَةً وَلِلشَمسِ فَوقَ اليَعمَلاتِ لُعابُ
وَلِلسِرِّ مِنّي مَوضِعٌ لا يَنالُهُ نَديمٌ وَلا يُفضي إِلَيهِ شَرابُ
وَلِلخَودِ مِنّي ساعَةٌ ثُمَّ بَينَنا فَلاةٌ إِلى غَيرِ اللِقاءِ تُجابُ
وَما العِشقُ إِلّا غِرَّةٌ وَطَماعَةٌ يُعَرِّضُ قَلبٌ نَفسَهُ فَيُصابُ
وَغَيرُ فُؤادي لِلغَواني رَمِيَّةٌ وَغَيرُ بَناني لِلزُجاجِ رِكابُ
تَرَكنا لِأَطرافِ القَنا كُلَّ شَهوَةٍ فَلَيسَ لَنا إِلّا بِهِنَّ لِعابُ

نُصَـرِّفُهُ لِلطَّعنِ فَـوقَ حَـواذِرٍ ... قَـدِ انقَصَفَت فيهِنَّ مِنـهُ كِعابُ

أَعَـزُّ مَكانٍ في الدُنى سَرجُ سابِحٍ ... وَخَـيرُ جَليسٍ في الـزَمـانِ كِتابُ

وَبَحرٌ أَبو المِسكِ الخِضَمُّ الَّذي لَهُ ... عَـلى كُـلِّ بَحـرٍ زَخـرَةٌ وَعُـبـابُ

تَجـاوَزَ قَـدرَ المَـدحِ حَتّى كَـأَنَّـهُ ... بِـأَحسَـنِ مـا يُثنى عَـلَيـهِ يُعابُ

وَغـالَـبَـهُ الأَعــداءُ ثُـمَّ عَـنَـوا لَـهُ ... كَما غالَبَت بيضَ السُيوفِ رِقابُ

وَأَكـثَرُ مـا تَلقى أَبـا المِسكِ بِذلَةً ... إِذا لَم تَصُن إِلّا الحَـديـدَ ثِيابُ

وَأَوسَـعُ مـا تَلقـاهُ صَـدرًا وَخَلفَهُ ... رِمــاءٌ وَطَـعـنٌ وَالأَمــامَ ضِـرابُ

وَأَنـفَـذُ ما تَلقاهُ حُكمًا إِذا قَضى ... قَضاءً مُلوكُ الأَرضِ مِنهُ غِضابُ

يَقـودُ إِلَـيـهِ طـاعَـةَ الـنـاسِ فَضلُهُ ... وَلَـو لَم يَـقُـدهـا نـائِـلٌ وَعِـقـابُ

أَيـا أَسَـدًا في جِسمِهِ روحُ ضَيغَمٍ ... وَكَـم أُسُـدٍ أَرواحُـهُـنَّ كِـلابُ

وَيـا آخِـذًا مِـن دَهـرِهِ حَـقَّ نَفسِهِ ... وَمِـثـلُـكَ يُـعطى حَـقَّـهُ وَيُـهـابُ

لَـنـا عِـنـدَ هَـذا الـدَهـرِ حَـقٌّ يَلُطُّهُ ... وَقَـد قَـلَّ إِعـتـابٌ وَطـالَ عِـتـابُ

وَقَـد تُحـدِثُ الأَيّـامُ عِنـدَكَ شيمَةً ... وَتَـنـعَـمِـرُ الأَوقــاتُ وَهـيَ يَـبـابُ

وَلا مُـلـكَ إِلّا أَنـتَ وَالمُـلـكُ فَضلَةٌ ... كَـأَنَّـكَ نَـصـلٌ فيـهِ وَهُـوَ قِـرابُ

أَرى لي بِقُربي مِنكَ عَينًا قَريرَةً ... وَإِن كـانَ قُـربًـا بِـالـبِـعـادِ يُشابُ

وَهَل نافِعي أَن تُرفَعَ الحُجبُ بَينَنا ... وَدونَ الَّـذي أَمَّـلـتُ مِـنـكَ حِجابُ

أُقِـلُّ سَلامي حُبَّ ما خَفَّ عَنكُمُ ... وَأَسـكُـتُ كَيـمـا لا يَـكـونَ جَـوابُ

وَفي النَفسِ حاجاتٌ وَفيكَ فَطانَةٌ ... سُـكـوتي بَـيـانٌ عِـنـدَهـا وَخِـطـابُ

وَما أَنا بِالباغي عَلى الحُبِّ رِشوَةً ... ضَعيفٌ هَـوىً يُبغى عَلَـيـهِ ثَـوابُ

وَمـا شِئـتُ إِلّا أَن أَدُلَّ عَـواذِلي ... عَـلى أَنَّ رَأيـي في هَـواكَ صَـوابُ

وَأُعـلِـمَ قَـومًـا خـالَـفـوني فَشَرَّقوا ... وَغَـرَّبـتُ أَنّي قَـد ظَفِـرتُ وَخـابوا

جَرى الخُلفُ إلّا فيكَ أنّكَ واحِدٌ وَأنّكَ لَيثٌ وَالمُلوكُ ذِئابُ
وَأنّكَ إن قُويِستَ صَحّفَ قارِئٌ ذِئابًا وَلَم يُخطِئ فَقالَ ذُبابُ
وَإنّ مَديحَ الناسِ حَقٌّ وَباطِلٌ وَمَدحُكَ حَقٌّ لَيسَ فيهِ كِذابُ
إذا نِلتُ مِنكَ الوُدّ فَالمالُ هَيّنٌ وَكُلُّ الّذي فَوقَ التُرابِ تُرابُ
وَما كُنتُ لَولا أنتَ إلّا مُهاجِرًا لَهُ كُلَّ يَومٍ بَلدَةٌ وَصِحابُ
وَلَكِنّكَ الدُنيا إلَيّ حَبيبَةٌ فَما عَنكَ لي إلّا إلَيكَ ذَهابُ

- 51 -

يُعاتِبُني في الدينِ قومي وإنّما
دُيوني في أشياءَ تُكسِبُهُم حَمدا

قائله **المقنع الكندي**

سبب تلقيبه بالمقنع المقنع لقب غلب عليه؛ لأنه كان أجمل الناس وجهاً، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين.

قال الهيثم : كان المقنع أحسن الناس وجهاً، وأمدهم قامة، وأكملهم خلقاً، فكان إذا أسفر لقع - أي أصابته أعين الناس - فيمرض، ويلحقه عنت؛ فكان لا يمشي إلا مقنعاً.

واسمه محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة - سمي بذلك لكثرة ولده - بن عمرو بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له محل كبير، وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته.

قال الهيثم بن عدي : كان عمير جده سيد كندة، وكان عمه عمرو بن أبي شمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها، فيقصر عنه.

أتلف ماله في عطاياه ونشأ محمد بن عمير المقنع، فكان متخرقاً في عطاياه، سمح اليد بماله، لا يرد سائلاً عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال، فاستعلاه بنو عمه عمرو بن أبي شمر بأموالهم وجاههم.

بنو عمه لم يزوجوه أختهم لفقره ودينه وهوي بنت عمه عمرو فخطبها إلى إخوتها، فردوه وعيروه بتخرقه وفقره وما عليه من الدين؛ فقال هذه الأبيات المذكورة.

شاعر يفضل شعراً له تعريضاً ببخل خليفة وأخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني محمد بن زكريا الغلابي، عن العتبي، قال :

حدثني أبو خالد من ولد أمية بن خلف، قال: قال عبد الملك بن مروان ـ وكان أول خليفة ظهر منه بخل ـ : أي الشعراء أفضل؟

فقال له : كثير بن هراسة، يعرض ببخل عبد الملك : أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول :

إني أحرض أهل البخل كلهم   لو كان ينفع أهل البخل تحريضي
ما قل مالي إلا زادني كرماً   حتى يكون برزق الله تعويضي
والمال يرفع من لولا دراهمه   أمسى يقلب فينا طرف مخفوض
لن تخرج البيض عفواً من أكفهم   إلا على وجع منهم وتمريض
كأنها من جلود الباخلين بها   عند النوائب تحذى بالمقاريض

فقال عبد الملك ـ وعرف ما أراد ـ : الله أصدق من المقنع حيث يقول: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا).

القصيدة

يُعاتِبُني في الدَّيْنِ قَوْمي، وإنَّما   دُيُونيَ في أَشْياءَ تُكْسِبُهُمْ حَمْدا
أَسُدُّ به ما قَدْ أَخَلُّوا وضَيَّعُوا   ثُغُورَ حُقُوقٍ ما أطاقُوا لها سَدّا
فما زَادَني الإقْتارُ إلاّ تَقَرُّباً   وما زادَني فَضْلُ الغِنَى مِنْهُمُ بُعْدا
وفي جَفْنَةٍ لا يُغْلَقُ البابُ دُونَها   مُكَلَّلَةٍ لَحْماً مُدَفَّقَةٍ ثَرْداً
وفي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعلْتُهُ   حِجاباً لبَيْتي، ثُم أَخْدَمْتُهُ عَبْداً
وإنّ الذي بَيْني وبَيْنَ بَني أَبي   وبَيْنَ بَني عَمّي لَمُخْتَلِفٌ جِدّا
أَرَاهُمْ إلى نَصْري بطاءً، وإنْ هُمُ   دَعَوْني إلى نَصْرٍ أَتَيْتُهُمُ شَدّا
فإنْ أَكَلُوا لَحْمي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ   وإنْ هَدَمُوا مَجْدي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْداً
وإنْ ضَيَّعُوا غَيْبَي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ   وإنْ هُمْ هَوُوا غَيّي هَوِيتُ لَهُمْ رَشْداً
وإنْ زَجَرُوا طَيْراً بنَحْسٍ تَمُرُّ بي   زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْراً تَمُرُّ بهِمْ سَعْدا
ولا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَديمَ عليهِمُ   ولَيْسَ رَئِيسُ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدا
لهُمْ جُلُّ مالي إنْ تَتابَعَ لي غنىً   وإنْ قَلَّ مالي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدا
وإنّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ ما دام ثاوِياً   وما شِيَمةٌ لي غَيْرَها تُشْبِه العَبْدا
على أنّ قَوْمي ما تَرَى عَيْنُ ناظرٍ   كَشِيبِهِمُ ولا مُرْدِهِمْ مَرْدا
بِفَضْلٍ وأَحْلامٍ وجُودٍ وسُؤْدَدٍ   وقَوْمِي رَبِيعٌ في الزَّمانِ إذا اشْتَدّا

- 52 -

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضاضَةً
على المَرْءِ مِن وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ

قائله **طرفة بن العبد** (سبق ترجمته) من قصيدة

أَرَى قَبرَ نَحّامٍ بَخِيلٍ بِمَالِهِ ... كقَبْرِ غَوِيٍّ في البطَالَةِ مُفْسِدِ
أَرَى المَوْتَ يَعْتامُ الكِرامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ
أَرَى الدَّهْرَ كَنْزاً ناقِصاً كُلَّ لَيلَةٍ ... وما تَنْقُصِ الأيّامُ والدَّهْرُ يَنْفَدِ
لَعَمْرُكَ إنّ المَوْتَ ما أَخْطَأَ الفَتى ... لكا لَطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياهُ باليَدِ
فما لي أراني وابنَ عَمِّيَ مالِكاً ... مَتَى أَدْنُ مِنْه يَنْأَ عَنّي ويَبْعُدِ
وقَرَّبْتُ بالقُرْبَى، وجَدِّكَ إنَّهُ ... مَتى يَكُ أَمْرٌ للنَّكِيثَةِ أَشْهَدِ
وإن أُدْعَ للجُلّى أَكُنْ من حُماتِها ... وإنْ يَأْتِكَ الأَعْداءُ بالجَهْدِ أَجْهَدِ
وإنْ يَقْذِفُوا بالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ ... بكأسِ حِياضِ المَوْتِ قَبْلَ التَّهَدُّدِ
وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضاضَةً ... على المَرْءِ مِن وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ
أَنَا الرَّجلُ الضَّرْبُ الذي تَعْرِفُونَهُ ... خَشاشٌ كَرأسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ
فَآلَيْتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطانَةً ... لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
حُسامٍ إذا ما قُمْتُ مُنْتَصِراً به ... كَفَى العَوْدَ مِنْه البَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ
أَخِي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عن ضَرِيبَةٍ ... إذَا قِيلَ مَهْلاً قال حاجِزُهُ قَدِ
إذا ابْتَدَرَ القَوْمُ السِّلاحَ وَجَدْتَنِي ... مَنِيعاً إذا ابْتَلَّتْ بِقائِمِهِ يَدِي
فإنْ مُتُّ فانْعَيْنِي بما أنا أَهْلُهُ ... وشُقِّي عليّ الجَيْبَ يا ابنةَ مَعْبَدِ
ولا تَجْعَلِينِي كامْرِئٍ لَيْسَ هَمُّهُ ... كَهَمِّي، ولا يُغْنِي غَنائِي ومَشْهَدِي
بَطِيءٍ عن الجُلّى سَرِيعٍ إلى الخَنا ... ذَلِيلٍ بأَجْماعِ الرِّجالِ مُلَهَّدِ
ولكنْ نَفَى عنّي الأَعادِيَ جُرْأَتِي ... عليهِمْ، وإقْدامِي وصِدْقِي ومَحْتِدِي

- 53 -

تعد ذنوبي عند قوم كثيرةً
ولا ذنب لي إلا العلى والفواضل

قائله **أبو العلاء المعري** (سبق ترجمته)

من قصيدة :

تعد ذنوبي عند قوم كثيرةً ... ولا ذنب لي إلا العلى والفواضل
كأني إذا طلت الزمان وأهله ... رجعت عندي للأنام طوائل
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... بإخفاء شمسٍ ضوءها متكامل
يهم الليالي بعض ما أنا مضمرٌ ... ويثقل رضوى بعض ما أنا حامل
وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل
وإن كان في لبس الفتى شرفٌ له ... فما السيف إلا غمده والحمائل
ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً ... تجاهلت حتى ظن أني جاهل
فوا عجبا م يدعي الفضل ناقص ... ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل
وكيف تنام الطير في وكناتها ... وتحسد أسحاري عليّ الأصائل
وطال اعترافي بالزمان وأهله ... فلست أبالي من تغول الغوائل
فلو بان عضدي ما تأسف منكبي ... ولو مات زندي ما رثته الأنامل
إذا وصف الطائيّ بالبخل ماردٌ ... وعيّر قساً بالفكاهة باقل
وقال السها للشمس : أنت خفيةٌ ... وقال الدجى : يا صبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهةً ... وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة ذميمةٌ ... ويا نفس جدي إن دهرك هازل

منها :

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبل ... ولـن نظرت شـزراً إليـك القبائل
تقتك على أكتاف أبطالها القنا ... وهـابتـك في أغـمـادهـن المناصل

منها :

وإن كنت تهوى العيش فابغ توسطاً ... فعند الـتـنـاهـي يقصـر المتطاول
توفى البـدور النقص وهـي أهلةٌ ... ويـدركهـا النقصـان وهـي كوامل

- 54 -

كُـلُّ ابـنِ أُنـثـى وَإِن طـالَـت سَـلامَـتُـهُ
يَـومـاً عَـلـى آلَـةٍ حَـدبـاءَ مَـحـمـولُ

قائله **كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرّب.**

شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم، دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وخلع عليه بردته.

وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوّام كلهم شعراء. وقد كَثُر مخمّسو لاميته ومشطّروها وترجمت إلى غير العربية.

من قصيدة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة	لا يشتكي قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت	كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذي شبم من ماء محنية	صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه	من صوب غادية بيض يعاليل
فيا لها خلة لو أنها صدقت	بوعدها أو لو أن النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها	فجع وولع وإخلاف وتبديل

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلون في أثوابها الغول
وما تمسك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما يمسك الماء الغرابيل
فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... إن الأماني والأحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطيل
أرجو وآمل أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويل
أمست سعاد بأرض لا يبلغها ... إلا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها إلا عذافرة ... لها على الأين إرقال وتبغيل
من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت ... عرضتها طامس الأعلام مجهول
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق ... إذا توقدت الحزان والميل

إلى أن يقول :

تخدي على يسرات وهي لاحقة ... ذوابل مسهن الأرض تحليل
سمر العجايات يتركن الحصى زيماً ... لم يقهن رءوس الأكم تنعيل
كأن أوب ذراعيها وقد عرقت ... وقد تلفع بالقور العساقيل
يوماً يظل به الحرباء مصطخداً ... كأن ضاحيه بالشمس مملول
وقال للقوم حاديهم وقد جنلت ... ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا
شد النهار ذراعاً عيطل نصف ... قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها ... لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبان بكفيها ومدرعها ... مشقق عن تراقيها رعابيل
تسعى الغواة جنابيها وقولهم ... إنك يابن أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله ... لا ألهينك إني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أباً لكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل
حتى وضعت يميني ما أنازعه في كف ذي نقمات قيله القيل
فلهو أخوف عندي إذ أكلمه وقيل إنك منسوب ومسئول
من ضيغم بضراء الأرض مخدره في بطن عثر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحم من الناس معفور خراديل
إذا يساور قرناً لا يحل له أن يترك القرن إلا وهو مفلول
منه تظل سباع الجونافرة ولا تمشي بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة مضرج البز والدرسان مأكول
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل
شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدول
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

- 55 -

لا يَمتَطي المَجدَ مَن لَم يَركَبِ الخَطَرا
وَلا يَنالُ العُلى مَن قَدَّمَ الحَذَرا

قائله صفي الدين الحلي

عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز ابن سرايا بن باقي بن عبد الله بن العريض، الإمام العلامة، البليغ، المفوه، الفاضل، الناظم، الناثر، شاعر عصرنا على الإطلاق، صفي الدين الطائي السنبسي الحلي.

شاعر أصبح به راجح الحلي ناقصاً، وكان سابقاً فأصبح على عقبه ناكصاً. أجاد القصائد المطولة والمقاطيع، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء، فما قدر زهر الأرض في الربيع؟

تطربك ألفاظه المصقولة ومعانيه المعلولة، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة أو سيوف مسلولة. يغوص على المعاني ويستخرج جواهرها، ويصعد بمخيلته الصحيحة إلى السماء ويلتقط زواهرها. كلامه السحر إلا أنه خلال، ولفظه على القلب الظمآن ألذ من الماء الزلال.

تلعب بالمعاني كما يتلعب النسيم بالأغصان اللدان، وولد بعضها من بعض كما يتولد الضرج من الخجل في خدود الولدان، مع بديع ما سمع بمثله البديع، وترصيع ما ألم به الصريع.

وشعره مع حلاوة الديباجة، وطلاوة التركيب التي ما فرحت بها طلاء الدن ولا سلافة الزجاجة، لا يخلو من نكت أدبية ترقص المناكب، وفوائد علمية من كل فن ينقص الكواكب. عالماً بكل ما يقول، عارفاً بغرائب النقول.

أجاد فنون النظم غير القريض، وأتى في الجميع بما هو شفاء القلب المريض، لأنه نظم القريض فبلغ فيه الغاية، وحمل قدامة جماعة من فحول الأقدمين الراية. وكذلك هو في الموشحات والأزجال والمكفرات والبلاليق والقرقيات، والدوبيت والمواليا، والكان وكان والقوما، ليس له في كل ذلك نظير يجاريه، ولا يعارضه ولا يباريه.

وأما الشعر فجود فنونه، وصاد من بره ضبه ومن بحره نونه، لأنه أبدع في مديحه وهجوه، ورثائه وأغزاله، وأوصافه وتشبيهاته، وطردياته وحماسته، وحكمه وأمثاله، لم ينحط في شيء منها عن الذروة، ولم يخرج في مشاعرها عن الصفا والمروة. وأما نثره فهو طبقة وسطى، وترسله يحتاج في ترويجه إلى أن يعلق في أذنه قرطاً. وعلى الجملة فإنه : تملل الشعر حتى ما لذي أدب في الناس شين ولا غين ولا راء.

وكان يسافر ويتجر، ويعف في بعض الأحيان عن الاجتداء ويزدجر. وكان منقطعاً إلى الملوك الأرتقية أصحاب ماردين، وشهر مدائحهم في الصادرين والواردين. وكانت فيه شجاعة وإقدام، وقوة جنان وثبوت أقدام.

ورد إلى مصر وامتدح السلطان الملك الناصر، وبز بمديحه كل متقدم ومعاصر. وعاد إلى البلاد الشرقية، إلا أنه كان شيعياً، وليس هذا الأمر في الحلة بدعياً.

وكان يتردد إلى حلب وحماة ودمشق، ويعد إلى ماردين، ويعرج على بغداد. ولم يزل على حاله إلى أن كدر الموت على الصفي عيشه، وأنساه خرقه وطيشه.

وتوفي رحمه الله تعالى تخميناً سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة.

ومولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وست مئة.

القصيدة :

لا يَمتَطي المَجدَ مَن لَم يَركَبِ الخَطَرا ... وَلا يَنالُ العُلى مَن قَدَّمَ الحَذَرا

وَمَن أَرادَ العُلى عَفواً بِلا تَعَبٍ ... قَضى وَلَم يَقضِ مِن إِدراكِها وَطَرا

لا بُدَّ لِلشَهدِ مِن نَحلٍ يُمَنِّعُهُ ... لا يَجتَني النَفعَ مَن لَم يَعمَلِ الضَرَرا

لا يُبلَغُ السُّؤلُ إِلّا بَعدَ مُؤلِمَةٍ ... وَلا يَتِمُّ المُنى إِلّا لِمَن صَبَرا

وَأَحزَمُ الناسِ مَن لَو ماتَ مِن ظَمَإٍ ... لا يَقرَبُ الوِردَ حَتّى يَعرِفَ الصَدَرا

وَأَغزَرُ الناسِ عَقلاً مَن إِذا نَظَرَت ... عَيناهُ أَمراً غَدا بِالغَيرِ مُعتَبِراً

فَقَد يُقالُ عِثارُ الرِجلِ إِن عَثَرَت ... وَلا يُقالُ عِثارُ الرَأيِ إِن عَثَرا

مَن دَبَّرَ العَيشَ بِالآراءِ دامَ لَهُ ... صَفواً وَجاءَ إِلَيهِ الخَطبُ مُعتَذِرا

يَهونُ بِالرَأيِ ما يَجري القَضاءُ بِهِ ... مَن أَخطَأَ الرَأيَ لا يَستَذنِبُ القَدَرا

مَن فاتَهُ العِزُّ بِالأَقلامِ أَدرَكَهُ ... بِالبيضِ يَقدَحُ مِن أَعطافِها الشَرَرا

بِكُلِّ أَبيَضَ قَد أَجرى الفِرِندُ بِهِ ... ماءَ الرَدى فَلَو استَقطَرتَهُ قَطَرا

خاضَ العَجاجَةَ عُرياناً فَما انقَشَعَت ... حَتّى أَتى بِدَمِ الأَبطالِ مُؤتَزِرا

لا يَحسُنُ الحِلمُ إِلّا في مَواطِنِهِ ... وَلا يَليقُ الوَفا إِلّا لِمَن شَكَرا

وَلا يَنالُ العُلى إِلّا فَتىً شَرُفَت ... خِلالُهُ فَأَطاعَ الدَهرَ ما أَمَرا

كَالصالِحِ المَلِكِ المَرهوبِ سَطوَتُهُ ... فَلَو تَوَعَّدَ قَلبَ الدَهرِ لَانفَطَرا

لَمّا رَأى الشَرَّ قَد أَبدى نَواجِذَهُ ... وَالغَدرَ عَن نابِهِ لِلحَربِ قَد كَشَرا

رَأى القِسِيَّ إِناثاً في حَقيقَتِها ... فَعافَها وَاستَشارَ الصارِمَ الذَكَرا

فَجَرَّدَ العَزمَ مِن قَتلِ الصِفاحِ لَها ... مَلكٌ عَنِ البيضِ يَستَغني بِما شُهِرا

يَكادُ يُقرَأُ مِن عُنوانِ هِمَّتِهِ ... ما في صَحائِفِ ظَهرِ الغَيبِ قَد سُطِرا

كَالبَحرِ وَالدَهرِ في يَومَي نَدىً وَرَدىً ... وَاللَيثِ وَالغَيثِ في يَومَي وَغىً وَقِرى

ما جادَ لِلناسِ إِلّا قَبلَ ما سَأَلوا ... وَلا عَفا قَطُّ إِلّا بَعدَما قَدَرا

- 56 -

إن العيون التي في طرفها حور

قائله :

جرير بن عطية بن الخطفي، بفتح الطاء المهملة والفاء، أبو حزرة - بالحاء المهملة والزاي قبل الراء - التميمي الشاعر المشهور، كان من فحول الشعراء في الإسلام وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم. قيل إن بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب، وفي الأربعة فاق جرير غيره، فالفخر قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح قوله :

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله :

فغض الطرف إنك من نميرٍ   فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله :

إن العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به   وهن أضعف خلق الله أركانا

قال أبو عبيدة: رأت أم جرير في نومها وهي حامل به كأنها ولدت حبلاً من شعر أسود، فلما وقع جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثير فانتبهت مذعورة، فأولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وشدة وشكيمة وبلاء على الناس.

فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها. والجرير

الحبل. وقال رجل لجرير من أشعر الناس؟ فقال له : قم حتى أعرفك الجواب.

فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزاً فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به : أخرج يا أبه فخرج شيخ ذميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته.

فقال له : أترى هذا قال نعم.

قال أو تعرفه؟ قال : لا.

قال هذا أبي، أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز؟ قال : لا.

قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه اللبن، ثم قال: أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم فغلهم جميعاً.

ودخل على عبد الملك بن مروان فأنشده :

أتصحو أم فؤاداك غير صاح	عشية هم صحبك بالرواح
تقول العاذلات علاك شيب	أهذا الشيب يمنعني مراحي
تعزت أم حزرة ثم قالت	رأيت الموردين ذوي لقاح
ثقي بالله ليس له شريك	ومن عند الخليفة بالنجاح
ألستم خير من ركب المطايا	وأندى العالمين بطون راح
سأشكر إن رددت علي ريشي	وأنبت القوادم في جناحي

قال جرير : فلما انتهيت إلى هذا البيت كان عبد الملك متكئاً فاستوى جالساً وقال : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو فليسكت.

ثم التفت إلي وقال : يا جرير أترى أم حزرة ترويها مائة ناقة من نعم بني كليب؟ فقلت يا أمير المؤمنين إن لم تروها فلا أرواها الله فأمر لي بها

كلها سود الحدق.

قلت يا أمير المؤمنين نحن مشايخ وليس بأحدنا فضل راحلته والإبل أبان فلو أرت لي بالرعاء فأمر لي بثمانية وكان بين يديه صحاف من الذهب وبيده قضيب فقلت: يا أمير المؤمنين والمحلب وأشرت إلى إحدى الصحاف فنبذها إلي بالقضيب وقال خذها لا نفعتك.

وإلى هذا أشار جرير في قوله :

أعطوا هنيدة تتلوها ثمانية   ما في عطاياهم من ولا سرف

ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريراً بكى وقال: أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده لقد كان نجمنا واحداً وكان كل واحد منا مشغولاً بصاحبه، وقلما مات ضد أو صديق، إلا تبعه صاحبه فكان كذلك.

وتوفي جرير سنة عشر ومائة وقيل سنة إحدى عشرة ومائة باليمامة وعمر نفياً وثمانين سنة، وقال عثمان التميمي : رأيت جريراً وما يضم شفتيه من التسبيح فقلت له : وما ينفعك هذا وأنت تقذف المحصنات؟ فقال: سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر «إن الحسنات يذهبن السيئات» وعد من الله حق. وقيل إنه مات بعد الفرزدق بشهر واحد.

القصيدة :

بانَ الخَليطُ وَلَو طُوِّعتُ ما بانا   وَقَطَّعوا مِن حِبالِ الوَصلِ أَقرانا
حَيِّ المَنازِلَ إِذ لا نَبتَغي بَدَلاً   بِالدارِ داراً وَلا الجيرانِ جيرانا
قَد كُنتُ في أَثَرِ الأَظعانِ ذا طَرَبٍ   مُرَوَّعاً مِن حِذارِ البَينِ مِحزانا
يا رُبَّ مُكتَئِبٍ لَو قَد نُعيتُ لَهُ   باكٍ وَآخَرَ مَسرورٍ بِمَنعانا
لَو تَعلَمينَ الَّذي نَلقى أَوَيتِ لَنا   أَو تَسمَعينَ إِلى ذي العَرشِ شَكوانا
كَصاحِبِ المَوجِ إِذ مالَت سَفينَتُهُ   يَدعو إِلى اللَهِ إِسراراً وَإِعلانا

يا أيُّها الراكبُ المُزجي مَطيَّتَهُ بَلِّغ تَحيَّتَنا لُقّيتَ حُملانا
بَلِّغ رَسائِلَ عَنّا خَفَّ مَحمَلُها عَلى قَلائِصَ لَم يَحمِلنَ حيرانا
كَيما نَقولُ إذا بَلَّغتَ حاجَتَنا أَنتَ الأَمينُ إذا مُستَأمَنٌ خانا
تُهدي السَلامَ لأَهلِ الغَورِ مِن مَلَحٍ هَيهاتَ مِن مَلَحٍ بِالغَورِ مُهدانا
أَحبِب إلَيَّ بِذاكَ الجِزعِ مَنزِلَةً بِالطَلحِ طَلحاً وَبِالأَعطانِ أَعطانا
يا لَيتَ ذا القَلبَ لاقى مَن يُعَلِّلُهُ أَو ساقِياً فَسَقاهُ اليَومَ سُلوانا
أَو لَيتَها لَم تُعَلِّقنا عُلاقَتَها وَلَم يَكُن داخَلَ الحُبُّ الَّذي كانا
هَلّا تَحَرَّجتِ مِمّا تَفعَلينَ بِنا يا أَطيَبَ الناسِ يَومَ الدَجنِ أَردانا
قالَت أَلِمَّ بِنا إن كُنتَ مُنطَلِقاً وَلا إخالُكَ بَعدَ اليَومِ تَلقانا
يا طَيبَ هَل مِن مَتاعٍ تُمتِعينَ بِهِ ضَيفاً لَكُم باكِراً يا طَيبَ عَجلانا
ما كُنتُ أَوَّلَ مُشتاقٍ أَخا طَرَبٍ هاجَت لَهُ غَدَواتُ البَينِ أَحزانا
يا أُمَّ عَمروٍ جَزاكِ اللَهُ مَغفِرَةً رُدّي عَلَيَّ فُؤادي كَالَّذي كانا
أَلَستِ أَحسَنَ مَن يَمشي عَلى قَدَمٍ يا أَملَحَ الناسِ كُلِّ الناسِ إنسانا
يَلقى غَريمُكُمُ مِن غَيرِ عُسرَتِكُم بِالبَذلِ بُخلاً وَبِالإِحسانِ حِرمانا
لا تَأمَنَنَّ فَإِنّي غَيرُ آمِنِهِ غَدرَ الخَليلِ إذا ما كانَ أَلوانا
قَد خُنتِ مَن لَم يَكُن يَخشى خِيانَتَكُم ما كُنتُ أَوَّلَ مَوثوقٍ بِهِ خانا
لَقَد كَتَمتُ الهَوى حَتّى تَهَيَّمَني لا أَستَطيعُ لِهَذا الحُبِّ كِتمانا
كادَ الهَوى يَومَ سَلمانينَ يَقتُلُني وَكادَ يَقتُلُني يَوماً بِبَيدانا
وَكادَ يَومَ لِوى حَوّاءَ يَقتُلُني لَو كُنتُ مِن زَفَراتِ البَينِ قُرحانا
لا بارَكَ اللَهُ فيمَن كانَ يَحسِبُكُم إلّا عَلى العَهدِ حَتّى كانَ ما كانا
مِن حُبِّكُم فَاعلَمي لِلحُبِّ مَنزِلَةً نَهوى أَميرَكُمُ لَو كانَ يَهوانا

إلى أن يقول :

أَبُــدِّلَ اللَيلُ لا تَسـري كَواكِبُهُ ... أَم طالَ حَتّى حَسِبتُ النَجمَ حَيرانا
يا رُبَّ عائِذَةٍ بِالغَورِ لَو شَهِدَت ... عَـزَّت عَلَيها بِدَيرِ اللُجِّ شَكوانا
إِنَّ العُيونَ الَّتي في طَرفِها حَوَرٌ ... قَتَلنَنا ثُـمَّ لَم يُحيِينَ قَتلانا
يَصرَعنَ ذا اللُبِّ حَتّى لا حِراكَ بِهِ ... وَهُـنَّ أَضعَفُ خَلقِ اللَهِ أَركانا
يا رُبَّ غابِطِنا لَو كانَ يَطلُبُكُم ... لاقى مُباعَدَةً مِنكُم وَحِرمانا
أَرَينَهُ المَوتَ حَتّى لا حَياةَ بِهِ ... قَد كُنَّ دِنَّكَ قَبلَ اليَومِ أَديانا
طارَ الفُؤادُ مَعَ الخَودِ الَّتي طَرَقَت ... في النَومِ طَيِّبَةَ الأَعطافِ مِبدانا

- 57 -

عـــدوُّك مــن صــديـقـك مـسـتـفـادٌ
فــلا تــســتـكـثـرنّ مــن الـصِّـحـابْ

قائله ابن الرومي

أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، وقيل جورجيس، المعروف بابن الرومي، مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه؛ الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقية.

وكان شعره غير مرتب، ورواه عنه المسيبي، ثم عمله أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف، وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع النسخ، فزاد على كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت. وله القصائد المطولة والمقاطيع البديعة، ولو في الهجاء كل شيء ظريف، وكذلك في المديح، فمن ذلك قوله :

المنعمون وما منوا على أحد   يوم العطاء ولو منوا لما مانوا
كم ضن بالمال أقوامٌ وعندهمُ   وفر، وأعطى العطايا يدان

وله أيضاً، وقال : ما سبقني إلى هذا المعنى أحد :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم   في الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح   تجلو الدجى والأخريات رجوم

ومن معانيه البديعة قوله :

وإذا امرؤ مدح امرءاً لنواله   وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى   عند الورود لما أطال رشاءه

وكذلك قوله في ذم الخضاب، قال أبو الحسين جعفر بن علي الحمداني: ما سبقه أحد إلى هذا المعنى :

إذا دام للمرء السواد وأخلقت   شبيبته ظن السواد خضابا
فكيف يظن الشيخ أن خضابه   يظن سواداً أو يخال شبابا

وقوله :

كم يعد القرن باللقاء وكم   يكذب في وعده ويخلفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى   قفاه من فرسخ فيعرفه

أخذ هذا المعنى الأخير من قول الخارجي وقد قال المنصور : أي أصحابنا أشد إقداماً في مبارزتكم؟ فقال : ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقفاءهم، فقل لهم يقبلوا فأعرفهم.

وقال رجل لابن الرومي وهو يمازحه: ما أنت والشعر وقد نلت منه حظاً جسيماً وأنت من العجم؟ أراك عربياً أو مدعياً في الشعر.

قال : بل أنت دعي إذ كنت تنسب عربياً ولا تحسن من ذلك شيئاً، وأنشده:

إياك يا ابن بويب   أن يستشار بويب
قد تحسن الروم شعراً   ما أحسنته العريب

وكان كثير الطيرة، وربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً لسوء ما يراه أو يسمعه حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده وعرف بحاله في

الطيرة فبعث إليه خادماً اسمه إقبال ليتفاءل به، فلما أخذ أهبة ركوبه قال للخادم : انصرف إلى مولاك.

وبالجملة فإن محاسنه كثيرة فلا حاجة إلى الإطالة. وكانت ولادته يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين ببغداد، في الموضع المعروف بالعقيقية ودرب الختلية في دار بإزاء قصر عيسى بن جعفر بن المنصور، وفي بغداد يقول وقد غاب عنها في بعض أسفاره :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب العيش وهو جديد
فإذا تمثل في الضمير رأيته وعليه أغصان الشباب تميد

وتوفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين، وقيل أربع وثمانين، وقيل ست وسبعين ومائتين ببغداد ودفن في مقبرة باب البستان، وكان سبب موته، رحمه الله تعالى، أن الوزير أبا الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير الإمام المعتضد كان يخاف من هجوه وفلتات لسانه بالفحش، فدس عليه ابن فراس، فأطعمه خشكنانجة مسمومة وهو في مجلسه، فلما أكلها أحس بالسم فقام، فقال له الوزير : إلى أين تذهب، فقال :

إلى الموضع الذي بعثتني إليه

فقال له : سلم على والدي، فقال : ما طريقي على النار؛ وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياماً ومات.

وكان الطبيب يتردد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة للسم، فزعم أنه غلط في بعض العقاقير؛ قال إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي المعروف بنفطويه :

رأيت ابن الرومي يجود بنفسه فقلت: ما حالك؟ فأنشد :

غلط الطبيب علي غلطة موردٍ عجزت موارده عن الإصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة المقدار

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر : دخلت على ابن الرومي أعوده فوجدته يجود بنفسه، فلما قمت من عنده قال لي :

أبا عثمان أنت حميد قومك وجودك للعشيرة دون لومك
تزود من أخيك فما أراه يراك ولا تراه بعد يومك

القصيدة :

عدوُّكَ من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنّ من الصِّحابَ
فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ يحولُ من الطعام أو الشرابِ
إذا انقلبَ الصديقُ غدا عدواً مُبيناً والأمورُ إلى انقلابِ
ولو كان الكثيرُ يَطيبُ كانتْ مُصاحبةُ الكثير من الصوابِ
ولكن قلّ ما استكثرتَ إلا سقطتَ على ذئابٍ في ثيابِ
فدعْ عنك الكثير فكم كثيرٍ يُعافُ وكم قليلٍ مُستطابِ
وما اللُّجَجُ المِلاحُ بمُروياتٍ وتلقى الرّيّ في النُّطَفِ العِذابِ

- 58 -

إِصْـبِرْ عَـلى حَسَـدِ الحَسُـود
فَـإِنَّ صَـبْرَكَ قَـاتِلُـهُ

قائله ابن المعتز

ابن المُعتَز

عبد الله بن محمد ـ وقيل اسم أبيه الزبير ـ أبو العباس بن المعتز ابن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، الأمير الأديب صاحب الشعر البديع والنثر الفائق. أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثعلب عن مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي. مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين. قتل سراً في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين. قامت الدولة ووثبوا على المقتدر وأقاموا ابن المعتز فقال : بشرط أن لا يقتل بسببي مسلمٌ! ولقبوه المرتضى بالله وقيل : المنصف بالله، وقيل : الغالب بالله، وقيل الراضي بالله. وأقام يوماً وليلة، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا واجتمعوا وتحاربوا هم وأعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر إلى دسته، واختفى ابن المعتز في دار ابن الجصاص الجوهري، فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس الخادم الخاذن فقتله وسلمه إلى أهله ملفوفاً في كساء. وقيل إنه مات حتف أنفه، وليس بصحيح بل خنقه مؤنس ودفن في خرابة إزاء داره. وقضيته مشهورةٌ فيها طولٌ وهذه خلاصتها. وكان شديد السمرة، مسنون الوجه، يخضب بالسواد، وكان اسم أمه قبيحة لحسنها، وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب البديع وكتاب مكاتبات الإخوان بالشعر وكتاب الجوارح والصيد وكتاب السرقات وكتاب أشعار الملوك وكتاب الآداب وكتاب حلى الأخبار وكتاب طبقات الشعراء وكتاب الجامع

في الغناء كتابٌ فيه أرجوزة في ذم الصبوح. وهو أول من صنف في صنعة الشعر فوضع كتاب البديع، وقال : إن البديع اسم لفنون الشعر يذكرها فوضع كتاب البديع، وقال : إن البديع اسم لفنون الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأخرين بينهم، فأما العلماء باللغة والشعراء القديم الجاهلي والمخضرمي والعربي فلا يعرفون هذا الإسم ولا يدرون ما هو! قال : وما جمع فنون البديع غير ولا سبقني إليه أحد.

وهو أشعر بني هاشم على الإطلاق وأشعر الناس في الأوصاف والتشبيه ليس لأحدٍ مثل تشبيهاته، وكان يقول : إذا قلت كأن ولم أت بعدها بالتشبيه ففض الله فاي! الأبيات.

إصبِر عَلى حَسَدِ الحَسودِ   فَإِنَّ صَبرَكَ قاتِلُه
فَالنارُ تَأكُلُ بَعضَها   إِن لَم تَجِد ما تَأكُلُه

- 59 -

مـا قـالَ لا قَـطُّ إلا في تَشَـهُّـدِهِ
لَـولا الـتَّشَـهُّـدُ كـانَت لاءَهُ نَعَمُ

قائله **الفرزدق** (سبق ترجمته)

حج هشام بن عبد الملك في خلافة الولي أخيه، ومعه رؤساء أهل الشام، فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس، فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأقبل علي بن الحسين وهو احسن الناس وجهاً، وأنظفهم ثوباً، وأطيبهم رائحة، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم وأخلوا له الحجر ليستلمه، هيبة وإجلالاً له، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه، فقال رجل لهشام : من هذا أصلح الله الأمير؟ قال : لا أعرفه، وكان به عارفاً، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه. فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضراً : أنا أعرفه، فسلني يا شامي. قال: ومن هو؟ قال :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم

فحبسه هشام فقال الفرزدق :

أيحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب أساً لم يكن رأس سيدٍ وعيناً له حولاء باد عيوبها

فبعث إليه هشام فأخرجه، ووجه إليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال : اعذر أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به. فردها وقال : ما قلت ما كان إلا لله، وما كنت لأرزأ عليه شيئاً. فقال له علي : قد رأى الله مكانك فشكرك، ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً ما نرجع فيه. فأقسم عليه فقبلها.

القصيدة

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها: إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
في كفه خيزران ريحه عبقٌ من كف أروع في عرنينه شمم
يغضى حياءً ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته طابت مغارزه والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدماً وعظمه جرى بذاك له في لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم

كلتا يديه غياث عم نفعهما يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان: حسن الخلق والشيم
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالإحسان فانقشعت عنها الغياهب والإملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهمو كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قومٌ وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم خلق كريم وأيد بالندى هضم
أي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم

- 60 -

فَقد يَنبُتُ المَرعى على دِمَنِ الثرى
وتَبقى حزازاتُ النُفوسِ كما هيا

قائله زفر بن الحارث بن عمرو بن معاذ الكلابي، أبو الهذيل.

أمير، من التابعين، من أهل الجزيرة، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية أميراً على أهل قنسرين، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري، وقتل الضحاك، فهرب زفر إلى قرقيسيا (عند مصب نهر الخابور في الفرات) ولم يزل متحصناً فيها حتى مات، وكانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان، قال البغدادي: في بضع وسبعين.

أريني سلاحي لا أبالكِ إنَّني   أرى الحربَ لا تزدادُ إلاّ تماديا

لما بلغت الهزيمة زفر بن الحارث الكلابي بقنسرين هرب منها، فلحق بقرقيسيا وعليها عياض الجرشي، وكان يزيد بن معاوية ولاه إياها، فطلب منه أن يدخل الحمام ويحلف له بالطلاق والعتاق أنه إذا خرج من الحمام لا يقيم بها، فأذن له، فدخلها، فغلب عليها وتحصن بها، ولم يدخل حمامها، واجتمعت إليه قيس. وهرب ناتل بن قيس الجذامي من فلسطين، فلحق بابن الزبير بمكة؛ واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع، واستوثق الشام لمروان.

وقيل: إن عبيد الله بن زياد إنما جاء إلى بني أمية وهم بتدمر، ومروان يريد أن يسير إلى ابن الزبير فيبايعه ويأخذ منه الأمان لبني أمية، فرده عن ذلك، وأمره أن يسير بأهل تدمر إلى الضحاك فيقاتله، ووافقه عمرو بن سعيد، وأشار على مروان أن يتزوج أم خالد ابن يزيد ليسقط من أعين الناس، فتزوجها، وهي فاختة ابنة أبي هاشم ابن عتبة، ثم جمع بني أمية

فبايعوه، وبايعه أهل تدمر.

وسار إلى الضحاك في جمع عظيم، وخرج الضحاك إليه، فاقتتلا، فقتل الضحاك، وسار زفر بن الحارث إلى قرقيسياء، وصحبه في هزيمته شابان من بني سليم؛ فجاءت خيل مروان في طلبه، فقال الشابان له : انج بنفسك، فإنا نحن نقتل. فمضى زفر وتركهما فقتلا، وقال زفر في ذلك :

القصيدة

أريني سلاحي لا أبالكِ إنّني ... أرى الحربَ لا تزدادُ إلاّ تمادَيا
أتانيَ عَن مروان بالغَيب أنّه ... مقيدٌ دَمي أو قاطعٌ من لسانيا
ففي العيس مَنْجاةٌ وفي الأرض مَهربٌ ... إذا نحنُ رفّعنا لَهُنّ بلقائيا
فَقد يَنبُتُ المَرعى على دَمِن الثّرى ... وتَبقَى حزازات النُّفوس كما هيا
أتذهَبُ كَلبٌ لم تَنَلها رِماحُنا ... وتُترَكُ قَتلَى راهط وهيَ ما هِيا
لعَمري لقد أبقَت وقيعةُ راهط ... لِحسّان صَدعاً بَيّنا متنائيا
أبعدَ ابن عمرو وابن معنٍ تتابعا ... ومقتَلِ هَمّام أُمَنّي المانَيا
فلم تُرَ منّي نَبوةٌ قَبلَ هذه ... فِراري وتركي صاحبيّ ورائيا
عَشيّة أعدو بالقرانِ فلا أرى ... مِن الناسِ إلا مَن عَلَيّ ولا ليا
أيَذهَبُ يومٌ واحدٌ إن أسَأتُهُ ... بصالح أيامي وحُسنِ بَلائيا
فلا صُلحَ حتى تَحطَ الخيلُ بالقنا ... وتثأرَ مِن نِسوَان كلب نسائيا
ألا ليتَ شعري هل تُصيبَنّ غارتي ... تَنوخاً وحيي طَيّءٍ من شِفائيا

- 61 -

إنّي لآمُـــلُ مِنـكَ خَـيراً عـاجِـلاً
وَالـنَـفـسُ مـولَـعَـةٌ بِـحُـبِّ الـعـاجِـلِ

قائله **جرير** (سبق ترجمته) من أبيات

إنّ الّـذي بَعَثَ النَبِيّ مُحَمّداً ... جَعَلَ الخِلافَةَ في الإمامِ العادِلِ
وَلَقَد نَفَعتَ بِما مَنَعتَ تَحَرُّجاً ... مَكسَ العُشورِ عَلى جُسورِ الساحِلِ
قَد نالَ عَدلُكَ مَن أَقامَ بِأَرضِنا ... فَإِلَيكَ حاجَةُ كُلِّ وَفدٍ راحِلِ
إنّي لَآمُلُ مِنكَ خَيراً عاجِلاً ... وَالنَفسُ مولَعَةٌ بِحُبِّ العاجِلِ
وَاللَهُ أَنزَلَ في الكِتابِ فَريضَةً ... لِابنِ السَبيلِ وَلِلفَقيرِ العائِلِ

- 62 -

فإن تفقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ
فإنّ المِسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

قائله **المتنبي** (سبق ترجمته)

من قصيدة رثي بها أم سيف الدولة

نُعدُّ المشرفيّةَ والعوالي ... وتقتلنا المنونُ بلا قتالِ
ونرتبطُ السّوابقَ مقرباتٍ ... وما ينجينَ من خببِ الليالي
ومن لم يعشقِ الدُّنيا قديماً؟ ... ولكن لا سبيلَ إلى الوصالِ
نصيبكَ في حياتكَ من حبيبٍ ... نصيبكَ في منامكَ من خيالِ
رماني الدّهر بالأرزاء حتّى ... فؤادي في غشاءٍ من نبالِ!
فصرتُ إذا أصابتني سهامٌ ... تكسّرت النِّصال على النِّصالِ
وهانَ فما أبالي بالرّزايا ... لأنّي ما انتفعتُ بأن أبالي
وهذا أوّلُ الناعين طرّاً ... لأوّل ميتةٍ في ذا الجلالِ
كأن الموتَ لم يفجع بنفسٍ ... ولم يخطر لمخلوقٍ ببالِ!
حصانٌ مثلُ ماءِ المزنِ فيه ... كتومُ السِّرِّ صادقةُ المقالِ
ولو كان النساءُ كمن فقدنا ... لفضّلت النِّساء على الرِّجالِ
وما التّأنيثُ لاسم الشّمس عيبٌ ... ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ
أسيفَ الدّولة استنجد بصبرٍ ... وكيف بمثلِ صبركَ للجبالِ؟
فأنت تعلّمُ النّاسَ التّعزّي ... وخوضَ الموت في الحربِ السّجالِ
وحالاتُ الزمانِ عليكَ شتّى ... وحالكَ واحدٌ في كلِّ حالِ
فإن تفقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ ... فإنّ المِسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

- 63 -

طبعت على كدرٍ وأنت تريدها
صفواً من الأقذارِ والأكدارِ

قائله **أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي.**

علي بن محمد بن فهد، أبو الحسن التهامي الشاعر. وهو من الشعراء المحسنين المجيدين، أصحاب الغوص. مولده ومنشؤه باليمن، وطرأ على الشام وسافر منها، إلى العراق والى الجبل، ولقي الصاحب بن عبّاد، وقرأ عليه، وانتحل مذهب الاعتزال، وأقام ببغداد، وروى بها شعره، ثمّ عاد إلى الشام، وتنقّل في بلادها، وتقلّد الخطابة بالرّملة، وتزوّج بها. وكانت نفسه تحدّثه بمعالي الأمور، وكان يكتم نَسَبَه، فيقول تارةً إنّه من الطالبيّين، وتارةً من بني أميّة، ولا يتظاهر بشيءٍ من الأمرين.

وكان متورّعاً، صَلِفَ النفس، متقشّفاً، يطلب الشيء من وجهه، ولا يريده إلاّ من حِلّه. نسخ شعر البحتري، فلما بلغ أبياتاً فيها هجوٌ امتنع من كتبها، وقال: لا أُسطّر بخطّي مثالبَ الناس. وكان قد وصل إلى الديار المصرية مستخفياً، ومعه كتبٌ كثيرة من حسّان بن مفرّج بن دغفل البدوي، وهو متوجّه إلى بني قُرّة، فظفروا به، فقال: أنا من تميم؛ فلمّا انكشف حاله عُلم أنه التهامي الشاعر، فاعتُقل بخزانة البنود بالقاهرة لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وأربع مائة. ثمّ إنّه قُتل سرًّا في سجنه، تاسع جمادى الأولى من السنة المذكورة. وكان أصفر اللون. ورُئيَ بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قيل له: بأيّ الأعمال؟ قال: بقولي في مرثية ولدٍ لي صغير، وهو:

جاورتُ أعدائي وجاور ربّهُ   شتّانَ بين جوارِهِ وجواري

القصيدة

حكمُ المنيّة في البريّة جارِ ... ما هذه الدُّنيا بدارِ قرارِ
بينا يُرى الإنسانُ فيها مُخبراً ... حتّى يُرى خبراً من الأخبارِ
طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاءِ والأكدارِ
ومكلّفُ الأيّام ضدّ طباعها ... متطلّبٌ في الماءِ جَذوةَ نارِ
وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنّما ... تبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ
العيشُ نومٌ والمنيّةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ
فاقضوا مآربكم عِجالاً إنّما ... أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفارِ
وتراكضوا خيلَ الشبابِ وبادروا ... أن تُستَرَدَّ فإنّهنّ عَوارِ
فالدهر يخدع بالمنى ويُغصّ إنْ ... هَنّا ويهدم ما بنى ببَوارِ
ليس الزمانُ وإن حرصتَ مسالماً ... خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الأحرارِ
إنّي وُتِرْتُ بصارمٍ ذي رَوْنَقٍ ... أعددتُه لطلابةِ الأوتارِ
أُثني عليه بأثرِه ولو أنّهُ ... لو يُغتَبَط أثنيتُ بالآثارِ
يا كوكباً ما كانَ أقصرَ عمرَهُ ... وكذا تكون كواكبُ الأسحارِ
وهلالَ أيّامٍ مضى لم يستدرْ ... بدراً ولم يُمهَلْ لوقتِ سِرارِ
عَجِلَ الخُسوفُ عليه قبل أوانِه ... فغطّاهُ قبل مَظِنّةِ الإبدارِ
واستُلَّ من لأقرانِه ولداتِه ... كالمُقلةِ استُلّتْ من الأشفارِ
فكأنّ قلبي قبرُهُ وكأنّهُ ... في طيِّه سِرٌّ من الأسرارِ
إنْ تَحْتَقِرْ صغراً فربّ مُفخّمٍ ... يبدو ضئيلَ الشخص للنُّظّارِ
إنّ الكواكبَ في علوّ محلّها ... لَتُرى صِغاراً وهي غيرُ صغارِ
وَلَدُ المعزّى بعضُهُ فإذا مضى ... بعضُ الفتى فالكلُّ في الآثارِ
أبكيهِ ثمّ أقولُ معتذراً لهُ: ... وُفّقْتَ حينَ تركتَ ألأم دارِ

جـاورتُ أعـدائـي وجـاورَ ربّـهُ شـتّـانَ بـين جـوارهِ وجـواري
أشكو بعادك لي وأنت بموضع لولا الـرّدى لسمعتَ فيه سِراري
ما الشرقُ نحو الغرب أبعدَ شُقّةً من بُعد تلك الخمسةِ الأشبارِ
هيهاتَ قد علقتكَ أسبابُ الرّدى وأبـادَ عـمـرَك قاصمُ الأعمارِ
ولقد جريتَ كما جريتُ لغاية فبلغتَها وأبـوكَ في المضمارِ
فإذا نطقتُ فأنتَ أوّلُ مَنطقي وإذا سكتُّ فأنت في إضماري
أُخفي من البُرَحاءِ ناراً مثلَ ما يُخفي من النارِ الزنادُ الواري
وأُخفِّضُ الزّفَراتِ وهي صواعدٌ وأُكفكفُ العَبَراتِ وهي جَوارِ
وأُكُفُّ نيرانَ الأسى ولربّما غُلِبَ التصبُّرُ فارتمتْ بشَرارِ
وشهاب زَند الحزن إن طاوعتهُ وارٍ وإن عاصيتهُ متوارِ
ثوبُ الرثاءِ يشِفُّ عمّا تحتهُ فإذا التحفتَ بهِ فإنّكَ عارِ
قصُرَتْ جفوني أم تباعد بينها أمْ صُوِّرَتْ عيني بلا أشفارِ
جَفَتِ الكرى حتّى كأنّ غِرارهُ عند اغتماضِ الطرف حدُّ غِرارِ
ولوِ استعارتْ رقدةً لدحا بها ما بين أجفاني من التيّارِ
أُحيي ليالي التّمّ وهي تُميتُني ويُميتهنّ تبلُّجُ الأسحارِ
والصبحُ قد غمرَ النجومَ كأنّهُ سيلٌ كما فطفا على النُوّارِ
لو كنتَ تُمنعُ خاضَ دونك فتيةٌ منّا بُحُرَ عواملٍ وشِفارِ
فدَحَوْا فُويقَ الأرضِ أرضاً من دم ثمّ انثنَوا فبنَوا سماءَ غُبارِ
قومٌ إذا لبسوا الدروع حسبتَها سُحُباً مُزَرّرةً على أقمارِ
وترى سيوفَ الدارعينَ كأنّها خُلُجٌ تُمَدُّ بها أكفُّ بحارِ
لو أشرعوا أيمانهم من طولها طعنوا بها عِوَضَ القنا الخطّارِ
شُوسٌ إذا عدِموا الوغى انتجعوا لها في كلِّ آنٍ نُجعةَ الأمطارِ

جنبوا الجيادَ إلى المطيّ فراوحوا ... بين السروج هناك والأكوارِ
وكأنّهم ملأوا عيابَ دروعهمْ ... وغُمودَ أنصُلِهم سرابَ قفارِ
وكأنّما صَنَعُ السوابغِ غَرّهُ ... ماءُ الحديدِ فصاغَ ماءَ قَرارِ
زَرداً وأحكم كلّ مَوْصِلِ حلقةٍ ... بحَبابةٍ في موضع المسمارِ
فتدرّعوا بمتون ماءٍ راكدٍ ... وتقنّعوا بحَباب ماءٍ جارِ
أُسْدٌ ولكن يؤثرون بزادهمْ ... والأُسدُ ليس تدين بالإيثارِ
يتعطّفونَ على المُجاورِ فيهمُ ... بالمُنْفِساتِ تعطُّفَ الآظارِ
يتزيّنُ النادي بحُسن وجوههمْ ... كتزيُّنِ الهالات بالأقمارِ
من كلِّ مَن جعل الظُّبى أنصارَهُ ... وكَرُمْنَ فاستغنى عنِ الأنصارِ
والليثُ إن ساورْتَهُ لم يَتّكِل ... إلاّ على الأنياب والأظفارِ
وإذا هو اعتقل القناةَ حسبتَها ... صِلاً تأبّطَهُ هِزَبْرٌ ضارِ
زَرَدُ الدِّلاصِ من الطِّعان برمحه ... مثل الأساورِ في يد الإسوارِ
ويجرُّ ثمّ يجرُّ صعدَةَ رمحِه ... في الجحفلِ المتضايقِ الجرّارِ
ما بين ثوبٍ بالدماء مُضَمّخٍ ... خَلَقٍ ونقعٍ بالطِّراد مُثارِ
والهُونُ في ظلّ الهُوَيْنا كامنٌ ... وجلالةُ الأخطارِ في الإخطارِ
تندى أسِرّةُ وجهِهِ ويمينُهُ ... في حالةِ الإعسارِ والإيسارِ
يحوي المعاليَ خالِباً أو غالباً ... أبداً يُدارى دونها ويُداري
ويمدُّ نحو المكرُماتِ أناملاً ... للرزقِ في أثنائهنّ مجارِ
قد لاحَ في ليل الشباب كواكبٌ ... إن أُمهلتْ آلتْ إلى الإسفارِ
وتَلَهُّبُ الأحشاءِ شيّبَ مَفْرِقي ... هذا الضياءُ شُواظُ تلك النارِ
شابَ القَذالُ وكلُّ غصنٍ صائرٌ ... فَينانُهُ الأحوى إلى الأزهارِ
والشبه منجذبٌ فلِمْ بيضُ الدُّمى ... عن بيضِ مفرقِه ذواتُ نفارِ؟

وتــوَدُّ لـو جعلـتْ سـوادَ قلوبها ... وسـوادَ أعينها خِضـابَ عِـذاري
لا تنفر الظَّبيات منـهُ فقد رأت ... كيف اختـلافُ النبت في الأطـوارِ
شيئان ينقشعان أوّلَ وهلةٍ ... ظـلُّ الشبـاب وصُحبـةُ الأشـرارِ
لا حبّذا الشيبُ الـوفيُّ وحبّذا ... شـرخُ الشبـابِ الخـائنِ الغـدّارِ
وَطَري من الدُّنيا الشباب ورَوقهُ ... فإذا انقضى فقد انقضتْ أوطاري
قَصُرَتْ مسافتُهُ وما حسناتُهُ ... عـنـدي ولا آلاؤُهُ بقصـارِ
نـزداد همًّا كلّما ازددنـا غنًى ... فـالفقـر كـلُّ الفـقرِ في الإكـثـارِ
ما زاد فوق الـزادِ خُلِّفَ ضائعاً ... في حـادثٍ أو وارثٍ أو عـارِ
إنّي لأرحـم حـاسـديّ لحـرِّ ما ... ضمّت صـدورهـمُ مـن الأوغـارِ
نظروا صنيع الله بي فعيونُهمْ ... في جـنّـةٍ وقلوبـهـم في نـارِ
لا ذنبَ لي قد رمتُ كتمَ فضائلي ... فـكـأنّـنـي بَـرْقَـعْـتُ وجـهَ نـهـارِ
وسترتها بتواضعي فتطلّعت ... أعـنـاقـهـا تـعـلـو عـلـى الأسـتـارِ
ومن الرجال مجاهلٌ ومعالمٌ ... ومـن النـجـوم غـوامـضٌ ودراري
والناسُ مشتبهون في إيرادهمْ ... وتـبـايـنُ الأقــوام في الإصـــدارِ
عَمْري لقد أوطأتُهم طُرُقَ العُلى ... فعمُوا ولم يطـأوا عـلـى آثـاري
لو أبصروا بعيونهم لاستبصروا ... لـكـنّـهـا عـمـيـتْ عـن الإبـصـارِ
ألا سعَوا سعيَ الكرام فأدركوا ... أو سـلّـمـوا لـمـواقـع الأقــدارِ
ذهبَ التكرُّمُ والوفاءُ من الوَرَى ... وتـصـرّمـا إلاّ مـن الأشـعـارِ
وفشتْ جنايات الثقات وغيرهمْ ... حـتّـى اتّـهـمـنـا رؤيـةَ الأبـصـارِ
ولربّما اعتضد الحليمُ بجاهلٍ ... لا خـيـر في يُمـنـى بـغـيـر يـسـارِ

- 64 -

مـن يـفـعـل الخـيـر لا يـعـدم جـوازيـه
لا يـذهـب الـعـرف بـين الله والـنـاس

قائله **الحطيئة** :

هو جرول بن أوس، من بني قطيعة بن عبس، ولقب الحطيئة لقصره وقربه من الأرض، ويكنى أبا مليكة، وكان راوية زهير، وهو جاهليٌّ إسلامٌ ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأني لم أسمع له بذكر فيمن وفد عليه من وفود العرب، إلا أني وجدته يقول في أول خلافة أبي بكر رضي الله عنه حين ارتدت العرب :

أَطَعْنا رَسُولَ اللهِ إذْ كان حاضِراً فيا لَهْفَتَى ما بالُ دِينِ أَبى بَكْرِ
أَيُورِثُها بِكْراً إذا ماتَ بَعْدَهُ فتلكَ وبَيْتِ اللهِ قاصِمَةُ الظَّهْرِ

وقد يجوز أن يكون أراد بقوله أطعنا رسول الله قومه أو العرب، وكيف ما كان فإنه كان رقيق الإسلام، لئيم الطبع.

ومن المشهور عنه أنه قيل له حين حضرته الوفاة : أوص يا أبا مليكة، فقال : مالي للذكور من ولدي دون الإناث، فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا، فقال : لكني آمر به! ثم قال : ويلٌ للشعر من الرواة السوء، وقيل له : أوص للمساكين بشيءٍ فقال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا، فإنها تجارةٌ لن تبور! وقيل له : أعتق عبدك يساراً، فقال اشهدو أنه عبدٌ ما بقي عبسي! وقيل له: فلان اليتيم ما توصي له بشيءٍ؟ فقال أوصي بأن تأكلوا ماله، قالوا : فليس إلا هذا؟ قال : احملوني على حمارٍ، فإنه لم يمت عليه كريمٌ، لعلي أنجو! ثم تمثل :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِي   رَأَيْتُ جَدِيدَ المَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ
له خَبْطَةٌ فِي الخَلْقِ لَيستْ بِسُكْرٍ   ولا طَعْمَ راحٍ يُشْتَهى ونَبِيذِ

ومات مكانه.

وكان هجا أمه وأباه ونفسه، فقال في أمه:

تَنَحَّيْ فاقْعُدِي مِنِّي بَعِيداً   أَراحَ اللهُ مِنْكِ العالَمِينَا
أَلَمْ أُوضِحْ لَكِ البَغْضاءَ مَنى   ولكِنْ لا إِخالُكِ تَعْقِلينَا
أَغِرْبالاً إِذَا اسْتُودِعْتِ سِراً   وكانُوناً على المُتَحَدِّثِينَا
جَزاكِ اللهُ شَراً مِنْ عَجُوزٍ   ولَقّاكِ العُقُوقَ مِنَ البَنِينَا
حَيَاتُكِ ما عَلِمْتُ حَيَاةُ سَوْءٍ   ومَوْتُكِ قد يَسُرُّ الصَّالِحينَا

وقال لأبيه:

لحَاكَ اللهُ ثم لحَاكَ حقّاً   أَباً ولحَاكَ من عَمٍّ وخالِ
فنِعمَ الشّيْخُ لَدَى المَخازِي   وبِئْسَ الشّيْخُ أَنْتَ لَدَى المَعَالي
جَمَعْتَ اللُّؤْمَ لا حَيَّاكَ رَبِّي   وأَبْوابَ السّفَاهةِ والضّلالِ

وقال لنفسه:

أَبَتْ شَفَتَايَ اليَوْمَ إلاّ تَكَلُّماً   بِسُوءٍ فما أَدْرِي لِمَنْ أَنا قائِلُهْ
أَرَى لِي وَجْهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ   فقُبِّحَ من وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

وقال عبد الرحمن بن أبي بكرة: رأيت الحطيئة بذات عرق فقلت له: يا أبا مليكة، أي الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية، فقال: هذا إذا طمع. ودخل على عتيبة بن النهاس العجلي في عباءة، فلم يعرفه عتيبة، ولم يسلم عليه، فقال: أعطني فقال له عتيبة: ما أنا في عمل فأعطيك من غدده، وما في مالي فضلٌ عن قومي، فانصرف الحطيئة، فقال له رجل من

قومه : عرضتنا للشر، هذا الحطيئة! قال : ردوه، فردوه، فقال له عتيبة : إنك لم تسلم تسليم أهل الإسلام، ولا استأنست استئناس الجار، ولا رحبت ترحيب ابن العم، وكتمتنا نفسك كأنك كنت معتلاً! قال : هو ذاك، قال: اجلس فلك عندنا ما تحب، فجلس، ثم سأله، من أشعر الناس؟ فقال : الذي يقول :

ومَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرضِهِ   يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

يعني زهيراً، قال : ثم من؟ قال : الذي يقول :

مَنْ يَسْأَلِ النَاسَ يَحْرِمُوهُ   وسَائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ

يعني عبيداً، قال : ثم من؟ قال : أنا، قال عتيبة لغلامه: اذهب به إلى السوق فلا يشيرن إلى شيء ولا يسومن به إلا اشتريته له، فانطلق به الغلام، فعرض عليه اليمنة والخز وبياض مصر والمروي، فلم يرد ذلك، وأشار إلى الأكيسة والكرابيس الغلاظ والعباء، فاشترى له منها بمائتي درهم، واشترى له قطفاً، وأوقر له راحلةً من تمرٍ وراحلةً من بر، ثم قال له : حسبك، فقال له الغلام : إنه قد أمرني أن أبسط، يدي لك بالنفقة ولا أجعل لك علةً، فقال : لا حاجة لقومي في أن تكون لهذا عليهم يدٌ أعظم من هذه، فانصرف الغلام إلى عتيبة فأخبره بذلك، وقال الحطيئة :

سُئِلْتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعْطِ طائلاً   فَسِيّانِ لا ذَمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ
وأَنْتَ امْرُؤٌ لا الجُودُ منك سَجيّةٌ   فتُعْطِي وقد يُعْدِي على النّائِلِ الوَجْدُ

وأتى الحطيئة مجلس سعيد بن العاص، وهو على المدينة يعشي الناس، فلما فرغ الناس من طعامهم، وخف من عنده، وخف من عنده، نظر فإذا رجلٌ قاعدٌ على البساط قبيح الوجه كبير السن سيء الهيئة، وجاء الشرط

ليقيموه، فقال سعيدٌ : دعوه، وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارهم، وهم لا يعرفونه، فقال لهم الحطيئة : ما أصبتم جيد الشعر، قال له سعيد : وعندك من ذلك علمٌ؟ قال : نعم، قال : فمن أشعر الناس؟ قال : الذي يقول :

لا أَعُدُّ الإِقْتارَ عُدْماً ولكنْ فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُهُ الإعْدامُ

يعني أبا دؤادٍ قال : ثم من؟ قال : الذي يقول :

أَفْلِحْ بما شِئْتَ فقد يُبْلَغُ بالـ ـضَّعْفِ وقَدْ يُخْدَعُ الأَرِيبُ

قال : ثم من؟ قال : فحسبك والله بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ، إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت عواء الفصيل في إثر القوافي، قال : ومن أنت؟ قال : أنا الحطيئة، فرحب به سعيدٌ، وقال له : قد أسأت في كتمانك إيانا نفسك منذ الليلة، وقد علمت شوقنا إليك وإلى حديثك ومحبتنا لك وأكرمه وأحسن إليه، فقال :

لَعَمْري لَقَدْ أَضْحَى على الأَمْرِ سائِسٌ بَصِيرٌ بما ضَرَّ العَدُوَّ أَرِيبُ
سَعِيدٌ فلا يَغْرُرْكَ خِفَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عنه اللَّحْمُ فَهْوَ صَلِيبُ
إِذَا غِبْتَ عَنَّا غاب عَنَّا رَبِيعُنا ونُسْقَى الغَمامَ الغُرَّ حِينَ تَؤُوبُ
فنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ والمَكانُ جَدِيبُ

وكان الحطيئة جاور الزبرقان بن بدرٍ، فلم يحمد جواره، فتحول عنه إلى بغيضٍ فأكرم جواره، فقال يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً :

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ أَنْ رَأَى رَجُلاً ذَا حاجَةٍ عاشَ في مُسْتَوْعَرٍ شَاسِ
جاراً لِقَوْمٍ أَطالُوا هُونَ مَنْزِلِه وغادَرُوهُ مُقيماً بينَ أَرْمَاسِ
مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلابُهُمُ وجَرَّحُوهُ بأَنْيابٍ وأَضْرَاسِ
دَعِ المَكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها واقْعُدْ فإنَّكَ أَنْتَ الطّاعِمُ الكَاسِي

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنشده آخر الأبيات فقال له عمر : ما أعلمه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً؟ قال: إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فسأله عن ذلك، فقال : لم يهجه ولكن سلح عليه! فحبسه عمر، وقال : يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين، فقال وهو محبوسٌ :

مـاذا أَرَدْتَ لأَفْــرَاخ بـذِي مَـرَخ   حُمْرِ الحَوَاصِـل لا مـاءٌ ولا شَجَرُ
أَلْقَيْتَ كاسِبَهُم فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ   فاغْفِرْ عليكَ سَلاَمُ اللهِ يا عُمَرُ

فرق له عمر وخلي سبيله، وأخذ عليه ألا يهجو أحداً من المسلمين.

القصيدة

والله مـا معشر لامـوا امـرأً جنباً   مـن آل لأي بـن شمّاس بأكياس
مـا كـان ذنـب بغيض لا أبـا لكم   في بائس جـاء يحدو آخـر الناس
لـقـد مـريـتـكـم لـو أن درّتـكـم   يوماً يجيء بها مسحي وإبساسي
فما ملكت.. بـأن كانت نفوسكم   كـفـارك كـرهـت ثـوبـي وإلباسي
حتى إذا ما بدا لي غيب أنفسكم   ولم يـكـن لجـراحـي فـيكم آسي
أزمـعـت يـأسـاً مبيناً مـن نوالكم   ولـن تـرى طـارداً للحـرّ كالياس
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً   ذا فاقة عاش في مستوعر شاس
جـاراً لـقـوم أطـالـوا هـون منزله   وغــادروه مـقـيـمـاً بـين أرمـاس
مـلّـوا قــراه وهــرّتـه كـلابـهـم   وجـرحـوه بـأنـيـاب وأضـراس
دع المـكـارم لا تـرحـل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
مـن يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس
مـاكـان ذنبي أن فلـذت معاولكم   مـن آل لأي صفاة أصلها راسي
قـد ناضلوك فسلّوا مـن كنانتهم   مجـداً تـلـيـداً ونـبـلاً غـير أنكاس

- 65 -

إذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يَوماً فَلا تَقُل
خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ

قائله **أبو العتاهية** (سبق ترجمته)

من قصيدة

إذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يَوماً فَلا تَقُل ... خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ
وَلا تَحسَبَنَّ اللَهَ يُغفِلُ ما مَضى ... وَلا أَنَّ ما يَخفى عَلَيهِ يَغيبُ
لَهَونا لَعَمرُ اللَهِ حَتّى تَتابَعَت ... ذُنوبٌ عَلى آثارِهِنَّ ذُنوبُ
فَيا لَيتَ أَنَّ اللَهَ يَغفِرُ ما مَضى ... وَيَأذَنُ فِي تَوباتِنا فَنَتوبُ
إذا ما مَضى القَرنُ الّذي كُنتَ فيهِم ... وَخُلِّفتَ فِي قَرنٍ فَأَنتَ غَريبُ
وَإِنَّ امرَأً قَد سارَ خَمسينَ حِجَّةً ... إلى مَنهَلٍ مِن وِردِهِ لَقَريبُ
نَسيبُكَ مَن ناجاكَ بِالوِدِّ قَلبُهُ ... وَلَيسَ لِمَن تَحتَ التُرابِ نَسيبُ
فَأَحسِن جَزاءً ما اجتَهَدتَ فَإِنَّما ... بِقَرضِكَ تُجزى وَالقُروضُ ضُروبُ

- 66 -

تَهونُ عَلَينا في المَعالي نُفوسُنا
وَمَن خَطَبَ الحَسناءَ لَم يُغلِها المَهرُ

قائله **أبو فراس** (سبق ترجمته)

من قصيدة

فَإِن عِشتُ فَالطَعنُ الَّذي يَعرِفونَهُ وَتِلكَ القَنا وَالبيضُ وَالضُمَّرُ الشُقرُ
وَإِن مُتُّ فَالإِنسانُ لابُدَّ مَيِّتٌ وَإِن طالَتِ الأَيّامُ وَانفَسَحَ العُمرُ
وَلَو سَدَّ غَيري ماسَدَدتُ اكتَفوا بِهِ وَما كانَ يَغلو التِبرُ لَو نَفَقَ الصُفرُ
ونَحنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ عِندَنا لَنا الصَدرُ دونَ العالَمينَ أَوِ القَبرُ
تَهونُ عَلَينا في المَعالي نُفوسُنا وَمَن خَطَبَ الحَسناءَ لَم يُغلِها المَهرُ
أَعَزُّ بَني الدُنيا وَأَعلى ذَوي العُلا وَأَكرَمُ مَن فَوقَ التُرابِ وَلا فَخرُ

- 67 -

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى
بخيلاً له في العالمين خليل

قائله إسحاق بن إبراهيم الموصلي

إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد بن النديم. كان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء اللذان تفرد بهما. وكان من العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس، وروى عنه مصعب بن عبد الله الزبيري والزبير ابن بكار وغيرهما. وكان له يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام.

قال محمد بن عطية العطوي الشاعر: كنت في مجلس القاضي يحيى بن أكثم، فوافى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه، فأحسن وقاس واحتج، وتكلم في الشعر واللغة، ففاق من حضر، ثم أقبل على القاضي يحيى فقال له : أعز الله القاضي! أفي شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن؟ قال : لا، قال : فما بالي أقوم بسائر هذه العلوم قيام أهلها وانسب إلى فن واحد قد اقتصر الناس عليه؟ يعني الغناء. قال العطوي : فالتفت إلي القاضي يحيى وقال لي : الجواب في هذا عليك، وكان العطوي من أهل الجدل، فقال القاضي يحيى : نعم، أعز الله القاضي!

الجواب علي. ثم أقبل على إسحاق فقال : يا أبا محمد، انت كالفراء والخفش في النحو؟

فقال : لا، فقال : فأنت في اللغة ومعرفة الشعر مالأصمعي وأبي عبيدة؟ قال : لا، قال : فأنت في علم الكلام كأبي الهذيل العلاف والنظام ابلخي؟

قال: لا، قال : فأنت في الفقه كالقاضي؟

واشار إلى القاضي يحيى، قال : لا، قال: فأنت في قول الشعر كأبي العتاهية وأبي نواس؟

قال : لا، قال فمن ههنا نسبت إلى مانسبت إليه لأنه لا نظير لك فيه، وأنت في غيره دون رؤساء أهله، فضحك وقام وانصرف. فقال القاضي يحيى العطوي : لقد وفيت الحجة حقها، وفيها ظلم قليل لإسحاق، وغنه ممن يقل في الزمان نظيره. وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه، وكان المأمون يقول : لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس واشتهر بالغناء لوليته القضاء، فإنه أولى وأعف وأصدق وأكثر ديناً وامانة من هؤلاء القضاة، ولكنه اشتهر بالغناء وغلب على جميع علومه، مع أنه أصغرها عنده، ولم يكن له فيه نظير. وله نظم جيد ديوان شعر، فمن شعره ما كتبه إلى هارون الرشيد :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلاً له في العالمين خليل

وكان كثير الكتب، حتى قال أبو العباس ثعلب : رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب، وكلها بسماعه. وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل إسحاق ثم منزل ابن الأعرابي.

وكان المعتصم يقول : ماغناني إسحاق بن ابراهيم قط إلا خيل لي أنه قد زيد في ملكي. وأخباره كثيرة، وكان قد عمي في أواخر عمره قبل موته بسنتين. ومولده في سنة خمسين ومائة، وهي السنة التي ولد فيها امام الشافعي، رضي الله عنه،

وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الذرب، وقيل:

في شوال سنة ست وثلاثين، والأول أشهر، وقيل : توفي يوم الخميس بعد الظهر لخمس خلون من ذي الحجة سنة ست وثلاثين رحمه الله تعالى.

القصيدة

سوامي سوام المكثرين تجملاً ... ومالي كما قد تعلمين قليل

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصري ... فذلك شيءٌ ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلاً له في العالمين خليل

ومن خير حالات الفتى لو علمته ... إذا نال خيراً أن يكون ينيل

عطائي عطاء المكثرين تكرماً ... ومالي ـ كما قد تعلمين ـ قليل

وإني رأيت البخل يزري بأهله ... ويحقر يوماً أن يقال بخيل

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ورَأي أمير المؤمنين جميل

- 68 -

والله قسّم بين الناس رزقَهُمُ

لم يخلقِ الله مخلوقاً يضيّعه

قائله ابن زريق البغدادي

أبو الحسن علي (أبو عبد الله) بن زريق الكاتب البغدادي.

انتقل إلى الأندلس وقيل إنه توفي فيها. قصد أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرب إليه بنسبه، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلوه ويختبره، فأعطاه شيئاً نزراً، فقال البغدادي: إنا لله وإنا إليه راجعون! سلكت البراري والبحار والمهامه والقفار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر؟ فانكسرت إليه نفسه واعتل فمات. وشغل عنه الأندلسي أياماً، ثم سأل عنه فخرجوا يطلبونه . فانتهوا إلى الخان الذي كان فيه وسألوا الخانية عنه، فقالت: إنه كان في هذا البيت، ومذ أمس لم أره، فصعدوا فدفعوا الباب، فإذا بالرجل ميتاً، وعند رأسه رقعة فيها مكتوب :

لا تَعْذُليهِ، فإنّ العَذلَ يولِعُهُ   قد قلتِ حقّاً، ولكن ليس يسمعُهُ.
جاوَزْتِ في نُصْحِهِ حدّاً أضرّ بهِ   من حيثُ قَدّرْتِ أن النصْحَ ينفعه.

إلى أن يقول

اعتضتُ من وجه خِلّي، بعد فِرْقَتِهِ،   كأساً تَجَرّعَ مِنها ما أُجَرّعُه

فلما وقف أبو عبد الرحمن على هذه الأبيات بكى حتى اخضلت لحيته، وقال: وددت أن هذا الرجل حي وأشاطره نصف ملكي. وكان في رقعة الرجل: منزلي ببغداد في الموضع المعروف بكذا، والقوم يعرفون بكذا، فحمل إليهم خمسة آلاف دينار وسفتجة، وحصلت في يد القوم وعرفهم موت الرجل.

القصيدة

لا تعذليه فإنّ العذل يوجعُهُ قد قلت حقّاً ولكنْ ليس يسمعُهُ
جاوزتِ في لومه حدّاً أضرّ به من حيثُ قدّرتِ أن اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلاً من عنفه فهو مُضنى القلب موجعُهُ
قد كان مضطلعاً بالبين يحمله فضُلّعت بخطوب البيت أضلعُه
يكفيه من لوعة التفنيد أنّ له من النّوى كلّ يوم ما يروّعُهُ
ما آبَ من سفرٍ إلاّ وأزعجَهُ رأيٌ إلى سفرٍ بالرغم يتبعُهُ
كأنّما هو في حِلٍّ ومُرتحَلٍ موكّلٌ بفضاء الأرض يذرعه
إذا الزمان أراه بالرحيل غنىً ولو إلى السندّ أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع إلاّ أنْ تجشّمه للرزق كدًا وكم ممّن يودعه
وما مجاهدةُ الإنسان واصلةٌ رزقاً ولا دعةُ الإنسان تقطعه
والله قسّم بين الناس رزقَهُمُ لم يخلقِ الله مخلوقاً يضيّعه
لَكنّهُم كُلّفوا حرصاً فلَستَ ترى مُستَرزِقاً وَسِوى الغاياتِ تُقنُعُهُ
وَالحِرصُ في الرِزاقِ وَالأَرزاقِ قَد قُسِمَت بَغيٌ أَلّا إِنّ بَغيَ المَرءِ يَصرَعُهُ
والدهرُ يعطي الفتى ما ليس يطلُبُهُ حقّاً ويطمعُهُ من حيث يمنعه
أستودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودّعته وبودّي لو يودّعني طيبُ الحياة وأنيّ لا أودعه
كم قد تشفّع بي أنْ لا أفارقه وللضرورات حالٌ لا تشفّعه
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحىً وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعه
لا أكذبُ الله ثوبُ العذر منخرقٌ عنيّ برقته لكنْ أرقّعه
إنيّ أوسّع عذري في جنايته بالبين عنه وقلبي لا يوسّعه

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعُهُ
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا شكر عليه فإنّ الله ينزعه
اعتضت من وجه خلّي بعد فرقته كأساً تجرع منها ما أجرعه
كم قائلٍ لي ذنبُ البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه
إلاّ أقمت مكان الرشد أتبعه لو أنني يوم بان الرشد أجمعه
أن لا أقطّع أياماً وأنفذها بحسرة منه في قلبي تقطّعه
بمن إذا هجع النّوام بتُّ به بلوعة منه ليلي لست أهجعه
لا يطمئن بجنبي مضجعٌ وكذا لا يطمئن له مذْ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعني به ولا أظنُّ بيَ الأيام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد عسراء تمنعني حظّي وتمنعه
وكنت من ريب دهري جازعاً فرقا فلم أوقّ الذي قد كنت أجزعه
بالله يا منزل الأنس الذي درست آثاره وعفت مذ بنت أربُعُه
هل الزمان معيدٌ فيك لذّتنا أم الليالي التي أمضته ترجعه
في ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيثٌ على مغناك يمرعه
من عِنده ليَ عهدٌ لا يضيع كما عندي له عهدُ ودّ لا أضيّعه
ومن يصدّع قلبي ذكره وإذا جرى على قلبه ذكري يصدّعه
لأصبرن لدهرٍ لا يمتّعُني به ولا بيَ في حالٍ يمتّعه
علماً بأن اصطباري معقبٌ فرجاً فأضيق الأمر إن فكّرتُ أوسعه
عسى الليالي التي أضنت بفرقتنا جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه
وإن تنل أحداً منّا منيته فما الذي بقضاء الله يصنعه

- 69 -

كل المصائب قد تمر على الفتى

فتهون غير شماتة الحساد

قائله **عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يكنى أبا جعفر**، وأبو عيينة هو ابن المهلب بن أبي صفرة. عاش في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري.

القصيدة

من مبلغ عني الأمير رسالةً	محصورةً عندي عن الإنشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى	فتهون غير شماتة الحساد
وأظن لي منها لديك خبيئةً	ستكون عند الزاد آخر زاد
مالي أرى أمري لديك كأنه	من ثقله طود من الأطوادا
وأراك ترجيه وتمضي غيره	في ساعة الإصدار والإيراد
الله يعلم ما أتيتك زائراً	من ضيق ذات يد وضيق بلاد
لكن أتيتك زائراً لك راجياً	بك رتبة الآباء والأجداد
قد كان لي بالمصر يومٌ جامعٌ	لك مصلحٌ فيه لكل فساد
ودعوت منصوراً فأعلن بيعةً	في جمع أهل المصر والأجناد
في الأرض منفسحٌ ورزق واسع	لي عنك في غوري وفي إنجادي

- 70 -

أقبل على النفس واستعمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

قائله أبو الفتح البستي

أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي الشاعر المشهور؛ ولد في بست (قرب سجستان) وإليها ينسب، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين.

وخدم ابنه يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر فمات غريباً في بلدة (أوزجند) ببخارى. وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس البديع التأسيس، فمن ألفاظه البديعة قوله : من أصلح فاسده، أرغم حاسده.

من أطاع غضبه، أضاع أدبه. عادات السادات، سادات العادات. من سعادة جدك، وقوفك عند حدك.

الرشوة رشاء الحاجات. أجهل الناس من كان للإخوان مذلا، وعلى السلطان مدلا. الفهم شعاع العقل. المنية تضحك من الأمنية. حد العفاف، الرضا بالكفاف. ما لخرق الرقيع ترقيع. ومن نادر شعره قوله :

إن هز أقلامه يوماً ليعملها   أنساك كل كمي هز عامله

وإن أقر على رق أنامله   أقر بالرق كتاب الأنام له

وله :

وقـد يلبس المـرء حـر الثياب ... ومـن دونـهـا حـالـة مضنيه

كـمـن يـكـتـسـي خـده حـمـرةً ... وعـلـتـهـا ورم في الـريـه

وله :

إذا تحدثت في قـوم لتؤنسهم ... بمـا تحـدث مـن مـاض ومـن آت

فـلا تـعـد لحـديث إن طبعهم ... مـوكـل بمـعـاداة المـعـادات

القصيدة :

زيـادة المـرء في دنيـاه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

وكـل وجـدان حـظ لا ثـبـات له ... فـإن معناه في التحقيق فقدان

يا عامراً لخـراب الدهر مجتهداً ... تالله هل لخراب الدهر عمران؟

ويا حريصاً على الأموال تجمعها ... أنسيت أن سـرور المـال أحـزان

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح فيما فيه خسران

أقبل على النفس واستعمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

دع الفـؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران

وأوع سـمـعـك أمـثـالاً افصلها ... كـمـا يـفـصـل يـاقـوت ومـرجـان

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

وإن أسـاء مسيء فليكن لـك في ... عـروض زلـتـه صـفـح وغـفـران

وكن على الدهر معواناً لذي أمل ... يـرجـو نـداك فـإن الحـر معوان

واشدد يديك بحبل الله معتصماً ... فـإنـه الـركـن إن خـانـتـك أركـان

مـن يتقي الله يحمد في عواقبه ... ويكفه شر من عـزوا ومـن هانوا

مـن اسـتـعـان بـغـير الله في طلب ... فـإن نـاصـره عـجـز وخـذلان

من كان للخير مناعاً فليس له ... على الحقيقة إخوان وأخدان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... إليه والمال للإنسان فتان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جذلان
من مد طرفاً لفرط الجهل نحو هوى ... أغضى على الحق يوماً وهو حزنان
من عاشر الناس لاقى منهم نصباً ... لأن أخلاقهم بغي وعدوان
من كان للعقل سلطان عليه غداً ... وما على نفسه للحرص سلطان
ومن يفتش على الإخوان يقلهم ... فجل إخوان هذا العصر خوان
ولا يغرنك حظ جره خرق ... فالخرق هدم ورفق المرء بنيان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمة ... والحر بالعدل والإحسان يزدان
صن حر وجهك لا تهتك غلالته ... فكل حر لحر الوجه صوان
وإن لقيت عدواً فالقه أبداً ... والوجه بالبشر والإشراق غضان
من استشار صروف الدهر قام له ... على حقيقة طبع الدهر برهان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامة ولحصد الزرع إبان
من استنام إلى الأشرار قام وفي ... قميصه منهم صل وثعبان
كن ريق البشر إن المرء همته ... صحيفة وعليها البشر عنوان
ورافق الرفق في كل الأمور فلم ... يذمم يندم رفيق ولم يذممه إنسان
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة ... فلن يدوم على الإنسان إمكان
دع التكاسل في الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
لا ظل للمرء أحرى من تقى ونهى ... وإن أظلته أوراق وأغصان
الناس إخوان من والته دولته ... وهم عليه إذا عادته أعوان
سحبان من غير مال باقل حصر ... وباقل في ثراء المال سحبان

لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم غرائز لست تحصيها وأكنان
ما كان ماء كصدآء لوارده نعم ولا كل نبت فهو سعدان
وللأمور مواقيت مقدرة وكل أمر له حد وميزان
فلا تكن عجلاً في الأمر تطلبه فليس يحمد قبل النضج بحران
حسب الفتى عقله خلا يعاشره إذا تحاماه إخوان وخلان
هما رضيعا لبان حكمة وتقى وساكنا وطن مال وطغيان
إذا بنا نباخ بكريم موطن فله وراءه في بسيط الأرض أوطان
يا ظالماً فرحاً بالعز ساعده إن كنت في سنة فالدهر يقظان
يا أيها العالم المرضي سيرته أبشر فأنت بغير الماء ريان
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج فأنت ما بينها لاشك ظمآن
لا تحسبن سروراً دائماً أبداً من سره زمن ساءته أزمان
إذا جفاك خليل كنت تألفه فاطلب سواه فكل الناس إخوان
وإن نبت بك أوطان نشأت بها فارحل فكل بلاد الله أوطان
خذها سوائر أمثال مهذبة فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها إن لم يصغها قريع الشعر حسان

- 71 -

وَلَيسَ يَصِحُّ في الأفهامِ شَيءٌ

إذا احتاجَ النَهارُ إلى دَليلِ

قائله المتنبي (سبق ترجمته) من قصيدة

أَتَيتُ بِمَنطِقِ العَرَبِ الأَصيلِ   وَكانَ بِقَدرِ ما عايَنتُ قيلي
فَعارَضَهُ كَلامٌ كانَ مِنهُ   بِمَنزِلَةِ النِساءِ مِنَ البُعولِ
وَهَذا الدُرُّ مَأمونُ التَشَظّي   وَأَنتَ السَيفُ مَأمونُ الفُلولِ
وَلَيسَ يَصِحُّ في الأَفهامِ شَيءٌ   إِذا احتاجَ النَهارُ إِلى دَليلِ

- 72 -

لَيسَ الحِجابُ بِمُقصٍ عَنكَ لي أَمَلاً
إِنَّ السَماءَ تُرَجّى حينَ تَحتَجِبُ

قائله **أبو تمام** (سبق ترجمته)

ويروي أن عبد الله بن طاهر حجبه فكتب إليه :

صَبْراً عَلَى المَطْلِ مَالَم يَتْلُهُ الكَذِبُ   ولِلْخُطُوبِ إذا سَامَحْتَها عُقَبُ
عَلَى المقاديرِ لَوْمٌ إنْ رُميتَ بهَا   مِنْ قَادرٍ وَعَلي السّعيُ وَالطّلَبُ
يَـأيُّـهَـا المـلـكُ النّـائي بـرُؤيَـتـهِ   وَجـــوُدُهُ لُمَـرَاعـي جــودِه كَـثَـبُ
لَيْسَ الحجَابُ بِمُقْصٍ عنْكَ لي أَمَلاً   إن السّماءَ تُرَجّى حِينَ تَحْتَجِب

ويـروى أنـه كتب بها إلى أبي دلـف، وقيل إلى ابن أبي دؤاد، وقيل في إسحاق.

القصيدة :

صَبراً عَلى المَطلِ ما لَم يَتلُهُ الكَذِبُ   فَلِلخُطوبِ إِذا سامَحتَها عُقَبُ
عَلى المَقاديرِ لَومٌ إِن رُميتُ بِهِ   مِن عادِلٍ وَعَلَيّ السَعيُ وَالطَلَبُ
يا أَيُّها المَلِكُ النائي بِرُؤيَتِهِ   وَجـودُهُ لِمُرَجّي جـودِهِ كَثَبُ
لَيسَ الحِجابُ بِمُقصٍ عَنكَ لي أَمَلاً   إِنَّ السَماءَ تُرَجّى حينَ تَحتَجِبُ
ما دونَ بابِكَ لي بابٌ أَلوذُ بِهِ   وَلا وَراءَكَ لي مَثوىً وَمُطَّلَبُ
يا خَيرَ مَن سَمِعَت أُذنٌ بِهِ وَرَأَت   عَينٌ وَمَن وَرَدَت أَبوابَهُ العَرَبُ
أَمّا السُكوتُ فَمَطوِيٌّ عَلى عِدَةٍ   وَفي كَلامِكَ غُرُّ المالِ يُنتَهَبُ

- 73 -

وَإِذا امـرُؤٌ أَسـدى إِلَـيـكَ صَنيعَةً
مِـن جـاهِـهِ فَـكَـأَنَّـهـا مِـن مـالِـهِ

قائله **أبو تمام**

من قصيدة :

إِنَّ الأَمـيرَ بَـلاكَ فِي أَحـوالِـهِ   فَـرَآكَ أَهـزَعَـهُ غَـداةَ نِضالِهِ
آسَـيـتَـهُ فِي المَكـرُمـاتِ وَلَم تَـزَل   رُكـنـاً لِمَـن هُـوَ مُمسِـكٌ بِحِبالِهِ
فَمَتى النُهوضُ بِحَقِّ شُكرِكَ إِن جَنَت   بِـالـغَـيـبِ كَـفُّـكَ لي ثِـمـارَ فِعالِهِ
فَلَقيتُ بَـينَ يَـدَيـكَ حُـلوَ عَطائِهِ   وَلَـقـيـتَ بَـينَ يَـدَيَّ مُـرَّ سُـؤالِـهِ
وَإِذا امـرُؤٌ أَسـدى إِلَـيـكَ صَنيعَةً   مِـن جـاهِـهِ فَـكَـأَنَّـهـا مِـن مـالِـهِ

- 74 -

إذا امتَحَنَ الدُنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَت
لَـهُ عَـن عَـدوٍّ في ثِيابِ صَديقِ

قاله أبو نواس

الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء.

شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها، وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها. كان جده مولى للجراح بن عبدالله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه، وفي تاريخ ابن عساكر أن آباه من أهل دمشق، وفي تاريخ بغداد أنه من طئ من بني سعد العشيرة.

هو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخراجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شهره خمرياته. من قصيدة :

ألا كلُّ حي هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق
فقل لغريب الدار إنك راحلُ ... إلى منزل نأى المحل سحيق
وما تعدم الدنيا الدنية أهلها ... شواظ حريق أو دخان حريق
تجرع فيها هالكاً فقد هالك ... وتشجى فريقاً منهم بفريق
فلا تحسب الدنيا إذا ما سكنتها ... قراراً فما دنياك غير طريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له ... عن عدو في ثياب صديق
عليك بدار لا يزال ظلالها ... ولا يتأذى أهلها بمضيق
فما يبلغ الراضي رضاه ببلغة ... ولا ينفع الصادي صداه بريق

- 75 -

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
بحزم نصيح أو نصاحة حازم

قائله **بشار بن برد** (سبق ترجمته)

دخل بشار على إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، فأنشده قصيدة، يهجو فيها المنصور، ويشير برأي يستعمله في أمره. فلما قتل إبراهيم، خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها في أبي مسلم.

أولها :

أبا جعفر ما كلُّ عيشٍ بدائم ... وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمِ
على الملك الجبارِ يقتحمُ الردى ... ويصرعُهُ في المأزقِ المتلاحمِ
كأنك لم تسمع بقتل متوّجٍ ... عظيم ولم تعلم بهلك الأعاجم
تقسم كسرَى رهطهُ بسيوفهم ... وأمسى أبو العباسِ أحلامَ نائم
وقد ترد الأيام عزاً وربما ... وردن كلوماً باديات الشكائم
ومروانُ قد دارت على نفسه الردى ... لاجرامه لا بل قليل الجرائم
وأصبحت تجري سادراً في طريقهم ... ولا تتقي أشباه تلك الفقائم
تجردتَ للاسلامِ تعفو رسومه ... وتُعري مطايا لليوث الضراغم
فما زلتَ حتى استنصر الدينُ أهلَه ... عليك فعاذوا بالسيوفِ الصوارمِ
لحى الله قوماً رأسوك عليهم ... وما زلَت مرؤوساً خبيثَ المطاعمِ
أقول لبسام عليه جلالةٌ ... غَدَا أريحياً عاشقاً للمكارمِ
من الفاطميين الدعاةِ إلى الهدى ... جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطمَ

سـراجٌ لـعينِ المستضيء وتـارةً   يـكـونُ ظـلامـاً لـلعـدوِّ المـزاحـم
إذا بلغَ الـرأي المشـورةَ فاستعن   بـرأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورَى عليك غضاضةً   فـإن الخـوافي قـوةٌ لـلقـوادم
ومـا خيرُ كفٍّ أمسك الغُلُّ اختها   ومـا خـيرُ سيفٍ لم يـؤيّـد بقائم
وخـلِّ الهوينـا للضعيف ولا تكن   نـؤومـاً فـإنّ الحـزمَ ليس بنائم
وحـارب إذا لم تُـعـطَ إلا ظُلامةً   شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالم
فـأذن على الشورى المقرب نفسه   ولا تُشهدِ الشورى أمـرأً غير كاتم
فـإنك لا تستطردُ الـهـمّ بالمنى   ولا تبـلـغُ الـعـليـا بغير المكـارم
ومـا قـارعَ الأقــوامَ مـثـلُ مشّيع   أريـبٍ ولا جلى العمى مثلُ عالمِ

- 76 -

زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبعاً
أَبْشِرْ بِطُولِ سَلامَةٍ يا مَرْبَعُ

قائله **جرير** (سبق ترجمته) من قصيدة

بانَ الخليطُ برامتينِ فودعوا ... أوَ كلما رفعوا لبينٍ تجزعُ
ردوا الجمالَ بذي طلوحٍ بعدما ... هاجَ المصيفُ وقدْ تولى المربعُ
إنّ الشواحجَ بالضحى هيجنني ... في دارِ زينبَ والحمامُ السجعُ
نعبَ الغرابُ فقلتُ بيّنٌ عاجلٌ ... وجرى بهِ الصردُ الغداةَ الأَلمعُ
إنّ الجميعَ تفرقتْ أهواؤهمْ ... إنّ النوى بهوى الأحبةِ تفجعُ
كيفَ العزاءُ ولمْ أجدْ مذْ بنتمُ ... قلباً يقرُّ ولا شراباً ينقعُ
ولقدْ صدقتكِ في الهوى وكذبتني ... وخلبتني بمواعدٍ لا تنفعُ
قدْ خفتُ عندكمُ الوشاةَ ولمْ يكنْ ... لينالَ عندي سركِ المستودعُ
كانتْ إذا أخذتْ لعيدٍ زينةً ... هشّ الفؤادُ وليسَ فيها مطمعُ
تركتْ حوائمَ صادياتٍ هيماً ... منعَ الشفاءُ وطابَ هذا المشرعُ
أيامَ زينبُ لا خفيفٌ حلمها ... همشى الحديثِ ولا روادٌ سلفعُ

إلى أن قال

كيفَ العَزاءُ، ولَمْ أجدْ مُذْ بِنْتُمُ ... قَلْباً يَقِرُّ ولا شَراباً يَنْقَعُ
ولقد صَدَقْتُكِ في الهَوَى، وكَذَبْتِني ... وخَلَبْتِني بمَواعِد لا تَنْفَعُ
بانَ الشّبابَ حَميدَةٌ أيّامُهُ ... لو أنّ ذلكَ يُشْتَرَى أو يَرْجِعُ
رَجَفَ العِظامُ من البِلَى، وتَقاذَفَتْ ... سِنّي، وفي لمُصْلِحٍ مُسْتَمَعُ

أَعْـدَدْتُ للشُّعراءِ كَأْسـاً مُـرَّةً عِنْدي يُخالِطُها السِّمامُ المُنْقَعُ
هَـلاَّ سَـأَلْـتِ بَنِـي تَمِـيم أيُّـنـا يَحْمِي الذِّمـارَ، ويُسْتَجارُ فيَمْنَعُ
مَنْ كان يَسْتَلِبُ الجَبَابِرَ تاجَهُمْ ويَضُـرُّ إنْ رفِـعَ الحَـدِيـثُ ويَنْفَعُ
زَعَمَ الفَـرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبعاً أَبْشِـرْ بطُـولِ سَـلامَـةٍ يـا مَـرْبَـعُ

- 77 -

مَــنْ يَـهُــنْ يَـسْــهُـلِ الــهَــوانُ عَـلَـيـهِ
مـــا لِجُــــــرحٍ بِمَـــيِّـــــتٍ إيــــلامُ

قائله **المتنبي** (سبق ترجمته)

يمدح علي بن أحمد الخراساني المريّ

من قصيدة

لا افـتِـخـارٌ إلّا لِمَـن لا يُـضـامُ ... مُـدرِكٍ أَو مُحـارِبٍ لا يَـنـامُ
لَيسَ عَـزماً ما مَرَّضَ المَرءُ فيهِ ... لَيسَ هَمّاً ما عاقَ عَنهُ الظَلامُ
وَاحـتِـمـالُ الأَذى وَرُؤيَـةُ جانيـ ... ـهِ غِـذاءٌ تَـضـوى بِـهِ الأَجسـامُ
ذَلَّ مَـن يَـغـبِطُ الـذَلـيلَ بِعَيشٍ ... رُبَّ عَيشٍ أَخَـفُّ مِـنـهُ الحِمامُ
كُـلُّ حِـلـمٍ أَتـى بِـغَـيرِ اقـتِـدارٍ ... حُـجَّـةٌ لاجِـئٌ إِلَـيـهـا الـلِـئـامُ
مَـن يَـهُـن يَـسـهُـلِ الـهَـوانُ عَلَيهِ ... مـا لِجُـرحٍ بِمَـيِّـتٍ إِيـلامُ
ضـاقَ ذَرعـاً بِـأَن أَضـيقَ بِـهِ ذَر ... عاً زَمـاني وَاستَكرَمَتني الكِرامُ
واقِفاً تَحتَ أَخمَصَي قَدرِ نَفسي ... واقِـفـاً تَحـتَ أَخـمَـصَـيِّ الأَنـامُ
أَقَـــراراً أَلَـــذُّ فَـــوقَ شَـــرارٍ ... وَمَـرامـاً أَبـغـي وَظُـلـمي يُـرامُ
دونَ أَن يَـشـرَقَ الحِـجـازُ وَنَجـدٌ ... وَالـعِـراقـانِ بِـالـقَـنـا وَالـشَـآمُ
شَـرَقَ الجَـوِّ بِـالـغُـبـارِ إِذا سا ... رَ عَـلِـيُّ ابـنُ أَحـمَـدَ القَمقامُ
الأَديـبُ المُـهَـذَّبُ الأَصـيَدُ الضَر ... بُ الـذَكِيُّ الجَعدُ السَرِيُّ الهُمامُ
وَالَّـذي رَيـبُ دَهـرِهِ مِـن أُسـارا ... هُ وَمِـن حاسِـدي يَـدَيـهِ الغَمامُ
يَـتَـداوى مِـن كَـثرَةِ المـالِ بِـالإِق ... لالِ جـوداً كَـأَنَّ مـالاً سَـقـامُ

حَسَنٌ في عُيونِ أَعدائِهِ أَق   بَحُ مِن ضَيفِهِ رَأَتهُ السَوامُ
لَو حَمى سَيِّداً مِنَ المَوتِ حامٍ   لَحَماكَ الإِجلالُ وَالإِعظامُ
وَعَوارٍ لَوامِعٌ دينُها الحِل   لُ وَلَكِنَّ زِيَّها الإِحرامُ
كُتِبَت في صَحائِفِ المَجدِ بِسمٌ   ثُمَّ قَيسٌ وَبَعدَ قَيسِ السَلامُ
إِنَّما مُرَّةُ اِبنُ عَوفِ اِبنِ سَعدٍ   جَمَراتٌ لا تَشتَهيها النِعامُ
لَيلُها صُبحُها مِنَ النارِ وَالإِص   باحُ لَيلٌ مِنَ الدُخانِ تَمامُ

- 78 -

لا يصلح النّاس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

قائله الأفوه الأودي

الأفوه لقب، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن الصعب بن سعد العشيرة. وكان يقال لأبيه عمر بن مالك فارس الشوهاء؛ وفي ذلك يقول الأفوه :

أبي فارس الشوهاء عمرو بن مالكٍ — غداة الوغى إذ مال بالجد عاثر

كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم : كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدرون عن رأيه. والعرب تعده من حكمائها. وتعد داليته :

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم — وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا

أبياته التي أخذ منها كثير بيتاً : من حكمة العرب وآدابها. فأما البيت الذي أخذه كثير من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنفاً فإنه من قصيدة يقول فيها :

نقاتل أقواماً فنسبي نساءهم — ولم ير ذو عزٍ لنسوتنا حجلا
نقود ونأبى أن نقاد ولا نرى — لقومٍ علينا في مكارمةٍ فضلا
وإنا بطاء المشي عند نسائنا — كما قيدت بالصيف نجدية بزلا
نظل غيارى عند كل ستيرةٍ — نقلب جيداً واضحاً وشوًى عبلا
وإنا لنعطي المال دون دمائنا — ونأبى غما نستام دون دمٍ عقلا

سبب هذه الأبيات :

قال أبو عمرو الشيباني : قال الأفوه الأودي هذه الأبيات يفخر بها على قوم من بني عامر، كانت بينه وبينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم ديات من قتل فضلاً على قتلى قومه، فقبلوا وصالحوه. بنو أود وبنو عامر:

وقال أبو عمرو : أغارت بنو أود وقد جمعها الأفوه على بني عامر، فمرض الأفوه مرضاً شديداً، فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضارع ، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب.

فلما التقوا عرف بعضهم بعضاً، فقال لهم بنو عامر : ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم. فقالت بنو أود وقد أصابوا منهم رجلين : لا والله حتى نأخذ بطائلتنا. فقام أخو المقتول، وهو رجل من بني كعب بن أود فقال: يا بني أود، والله لتأخذن بطائلتي أو لأنتحين على سيفي. فاقتتلت أود وبنو عامر. فظفرت أود وأصابت مغنماً كثيراً.

القصيدة :

لنا معاشر لن يبنوا لقومهم ... وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

لا يرعوون ولن يرعوا لمرشدهم ... والغيُّ منهم معا والجهل ميعاد

كانوا كمثل لقيم في عشيرتهم ... إذ أهلكت بالّذي قدّموا عاد

أو بعده كقدار حين طاوعه ... على الغواية أقوام فقد بادوا

والبيت لا يبتني إلاّ له عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإن تجمّع أقوام ذوو حسب ... تصطاد أمرهم، فالرُّشد مصطاد

لا يصلح النّاس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

إذا تولّى سراة القوم أمرهم ... نما على ذاك أمر القوم وازدادوا

تهدي الأمور بأهل الرّأي ما صلحت فـإن تـولّت فـبـالأشـرار تنقاد
أمارة الغيّ أن تلقي الجميع لدى ال إبـرام لـلأمـر لـلأذنـاب ينقاد
كيف الرّشاد إذا ما كنت في نفر لهم عن الرُّشد أغـلال وأقياد
أعطوا غواتهم جهلا مقاءتهم فكلهم في حبال الغيّ منقاد
أخف الرّحيل إلى قوم وإن بعدوا فيهم صلاح لمرتاد وإرشاد
فسوف أجعل بعد الأرض دونكم وإن دنت رحم منكم وميلاد
إنّ النّجاة إذا ما كنت ذا بصر مراجع الغيّ أبعاد فأبعاد
والخير تزداد منه ما بقيت به والشرُّ يكفيك منه قلّ ما زاد

- 79 -

وإذا المنيّةُ أنشبتْ أظفارَها
ألفيتُ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

قائله **أبو ذؤيب الهذلي**

خويلد بن خالد بن محرِّث الهذليّ، أبو ذؤيب. قال صاحب الأغاني : كان من الشعراء المخضرمين، وأنه حسن إسلامه لما أسلم. وسئل حسان بن ثابت، من أشعر الناس حياً؟

قال : أشعر الناس حياً هذيل، وأشهر هذيل غير مدافعٍ أبو ذؤيب. وأخبر محمد بن معاذٍ المعمري، أن في التوراة مكتوباً : أبو ذؤيب مؤلف زوراً. وكان اسم الشاعر بالسُّريانية مؤلف زوراً. وقال قصيدته العينيّة في بنين له خمسة أصيبوا في عامٍ واحدٍ بالطاعون.

ولما مات جعفر بن المنصور الأكبر، مشى المنصور في جنازته من المدينة إلى مقابر قريشٍ، ومشى الناس معه أجمعون حتى دفنه، ثم انصرف عن قبره وقال: يا ربيع، انظر في أهلي من ينشدني أمن المنون وريبها تتوجّع والدهر ليس بمعتبٍ من يجزع حتى أسلّي عن مصيبتي. فخرج إلى بني هاشم وهم أجمعهم حضور فسألهم عنها فلم يكن فيهم أحد يحفظها. فعاد فأخبره فقال: والله، مصيبتي بأهلي أن لا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة، لقلّة رغبتهم في الأدب أعظم وأشدّ عليّ من مصيبتي بابني. ثم قال : أنظر هل في القوّاد أو العوامّ من يعرفها، فإني أحب أن أسمعها من إنسانٍ ينشدها. فخرج، فعرض الناس فلم يجد أحداً يحفظها إلا شيخاً مؤدِّباً، فأوصله إلى المنصور فاستنشده إياها، فلما قال : والدهر ليس بمعتب من يجزع. قال : صدق والله، أنشدني هذا البيت مائة مرةٍ لتردِّد هذا المصراع عليّ، فأنشده،

ثم مرّ فيها، فلما انتهى إلى قوله : من الكامل والدهر لا يبقى على حدثانه جون السّراة له جدائد أربع قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول، فأمره بالانصراف وأمر له بمائة درهم، وأول هذه القصيدة :

أمن المنون وريبها تتوجّع ... والدهر ليس بمعتبٍ من يجزع

وفيها يقول :

وتجلُّدي للشّامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ... ألفيت كلّ تميمةٍ لا تنفع
والنفس راغبةٌ إذا رغّبتها ... وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع

وقال ابن المرزباني : كان أبو ذؤيب فصيحاً كثير الغريب، متمكناً في الشعر. وعاش في الجاهلية دهراً، ودرك الإسلام وأسلم، وعامّة ما قال من الشعر في الإسلام، وهلك بأفريقية زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه في حدود الثلاثين، ويقال أنه هلك بطريق مصر. وتولّى عبد الله بن الزبير دفنه، وقيل أنه مات بأرض الروم في خلافة عمر. يقال أنّ أهل الإسلام أبعدوا في بلاد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعلم للمسلمين. ومن شعر أبي ذؤيب : من الطويل

وعيّرها الواشون أني أحبُّها ... وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها
فإن أعتذر عنها فإني مكذِّبٌ ... وإن تعتذر يردد عليك اعتذارها

القصيدة :

أمِن المَنون ورَيبِها تتوجّعُ ... والدّهرُ ليس بمُعتبٍ مَن يجزَعُ
ولقد أرَى أنّ البُكاءَ سلامةٌ ... ولَسَوفَ يولَعُ بالبُكا مَن يفْجَعُ
قالتْ أُميمةُ ما لِجسمك شاحباً ... منذُ ابتُذِلْتَ ومثلُ مالِكَ ينفَعُ
أمْ ما لِجسمك لا يُلائمُ مضجعاً ... إلاّ أقضّ عليك ذاكَ المضجَعُ

فأجبتُها أنْ ما لجسميَ أنّهُ ... أودَى بَنيّ من البلادِ فودّعوا

أودَى بنيّ وأعقبوني حسرةً ... عند الرُّقاد وعَبرةً ما تُقلعُ

فالعينُ بعدهمُ كأنّ حِداقَها ... سُملتْ بشوكٍ فهْيَ عُورٌ تدمَعُ

سَبَقوا هوايَ وأعْنَقوا لِهواهُمُ ... ففقدتهمُ ولكلِّ جنبٍ مصرَعُ

فلبثتُ بعدهمُ بعيشٍ ناصبٍ ... وإخالُ أنّي لاحقٌ مُستتبَعُ

ولقد حَرَصتُ بأن أُدافعَ عنهمُ ... فإذا المنيّةُ أقبلتْ لا تُدفَعُ

وإذا المنيّةُ أنشبتْ أظفارَها ... ألفيتُ كلَّ تميمةٍ لا تنفَعُ

وتجلُّدي للشّامتينَ أُريهمُ ... أنّي لرَيب الدّهر لا أتضعضَعُ

حتّى كأنّي للحوادثِ مَروةٌ ... بصفا المُشَقّر كلّ يوم تُقرَعُ

والنّفسُ راغبةٌ إذا رغّبْتَها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنَعُ

والدّهرُ لا يبقَى على حَدَثانه ... جَونُ السّراة له جدائدُ أربَعُ

بقَرارِ قِيعانٍ سقاها صَيّفٌ ... واهٍ فأثْجَمَ بُرهةً لا يُقلِعُ

والدّهرُ لا يبقَى على حَدَثانه ... شَبَبٌ أفَزّتهُ الكلابُ مُفزّعُ

حَميتْ عليه الدِّرعُ حتّى وجهُهُ ... من حرّها يومَ الكريهةِ أسفَعُ

بَينا تَعنُّقِهِ الكُماةَ وخُدعةٍ ... منه أُتيحَ له جَريءٌ سَلْفَعُ

فتنادَيا وتواقفتْ خَيلاهُما ... وكِلاهما بطلُ اللّقاءِ مخدَّعُ

متحاميَين المجدَ كلٌّ واثقٌ ... ببلائهِ واليومَ يومٌ أشنَعُ

وعليهما مَسرودَتانِ قضاهما ... داوُدُ أو صَنَعُ السّوابغِ تُبَّعُ

وكلاهما في كفّهِ يَزَنيّةٌ ... فيها سنانٌ كالمَنارة يلمَعُ

وكلاهما متوشّحٌ ذا رونقٍ ... عَضْباً إذا مسّ الضّريبة يقطَعُ

فتخالَسا نفسَيْهما بنوافذٍ ... كنوافذِ الخرق الّتي لا تُرقَعُ

وكلاهما قد عاشَ عيشةَ ماجدٍ ... وجنَى العلاءَ لَوَ انّ شيئاً ينفَعُ

- 80 -

تَـغَـرّب عَـنِ الأَوطـانِ في طَـلَـبِ العُـلا
وَسـافِـر فَـفـي الأَسـفـارِ خَـمـسُ فَـوائِـدِ

قائله **الشافعي** (سبق ترجمته) من قصيدة

تَغَرّب عَنِ الأَوطانِ في طَلَبِ العُلا ... وَسافِر فَفي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِدِ
تَـفَـرُّجُ هَـمّ وَاِكتِسـابُ مَعيشَةٍ ... وَعِلـمٌ وَآدابٌ وَصُـحبَـةُ ماجِدِ
وَإِن قيلَ في الأَسفارِ ذُلٌّ وَمِحنَةٌ ... وَقَطعُ الفَيافي وَاِكتِسابُ الشَدائِدِ
فَمَوتُ الفَتى خَيرٌ لَهُ مِن حَياتِهِ ... بِـدارِ هَـوانٍ بَـينَ واشٍ وَحاسِدِ

- 81 -

وَالشَمسُ لَو وَقَفَت في الفُلكِ دائِمَةً

لَمَلَّها الناسُ مِن عُجمٍ وَمِن عَرَبِ

قائله **الشافعي** (سبق ترجمته) من قصيدة

ما في المَقامِ لِذي عَقلٍ وَذي أَدَبِ   مِن راحَةٍ فَدَعِ الأَوطانَ وَاِغتَرِبِ

سافِر تَجِد عِوَضاً عَمَّن تُفارِقُهُ   وَاِنصَب فَإِنَّ لَذيذَ العَيشِ في النَصَبِ

إِنّي رَأَيتُ وُقوفَ الماءِ يُفسِدُهُ   إِن ساحَ طابَ وَإِن لَم يَجرِ لَم يَطِبِ

وَالأُسدُ لَولا فِراقُ الأَرضِ ما اِفتَرَسَت   وَالسَهمُ لَولا فِراقُ القَوسِ لَم يُصِبِ

وَالشَمسُ لَو وَقَفَت في الفُلكِ دائِمَةً   لَمَلَّها الناسُ مِن عُجمٍ وَمِن عَرَبِ

وَالتِبرُ كَالتُربِ مُلقىً في أَماكِنِهِ   وَالعودُ في أَرضِهِ نَوعٌ مِنَ الحَطَبِ

فَإِن تَغَرَّبَ هَذا عَزَّ مَطلَبُهُ   وَإِن تَغَرَّبَ ذاكَ عَزَّ كَالذَهَبِ

- 82 -

إن الكريم ليخفي عنك عسرته

حتى تراه غنيا وهو مجهود

قائله **بشار بن برد** (سبق ترجمته)

استمنح بشار بن برد العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه، فقال يهجوه :

ظل اليسار على العباس ممدود   وقلبه أبداً في البخل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عسرته   حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل   زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم   تقدر على سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجى للنوال فما   ترجى الثمار إذا لم يورق العود
بث النوال ولاتمنعك قلته   فكل ماسد فقراً فهو محمود

- 83 -

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بد

قائله **المتنبي** (سبق ترجمته) من قصيدة في مدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي

أَقَــلُّ فَـعـالي بَـلـهَ أَكـــثَرَهُ مَجـدُ ... وَذا الجِدُّ فيهِ نِلتُ أَم لَم أَنَل جَدُّ
سـأطلُبُ حقِّي بالقَنَا ومشايخ ... كأنَّهم مِن طولِ ما اُلْتُثِموا مُرْدُ
ثقالٍ إذا لاقَوْا خِفافٍ إذا دُعُوا ... كثيرٍ إذا شَـدُّوا قليلٍ إذا عُـدُّوا
وطعنٍ كأنّ الطّعنَ لا طعنَ عندَهُ ... وضربٍ كأنّ النّارَ من حرِّهِ بَرْدُ
إذا شئتُ حفّت بي على كلّ سابحٍ ... رجالٌ كأنّ الموتَ في فمِها شهدُ
أَذُمُّ إِلى هَـذا الـزَمانِ أُهَيلَهُ ... فَأَعلَمُهُم فَدمٌ وَأَحزَمُهُم وَغدُ
وَأَكرَمُهُم كَلبٌ وَأَبصَرُهُم عَمٍ ... وَأَسهَدُهُم فَهدٌ وَأَشجَعُهُم قِردُ
ومِنْ نكَدِ الدُّنيا على الحرِّ أن يَرَى ... عـدوّاً لَـهُ ما مِـن صداقتِهِ بدُّ
بقلبي وإنْ لم أروَ منها مَلالةٌ ... وبي عنْ غَوانيها وإنْ وَصلتْ صدُّ
خَليلايَ دونَ الناسِ حُزنٌ وَعَبرَةٌ ... عَلى فَقدِ مَن أَحبَبتُ ما لَهُما فَقدُ
تَلَجُّ دُموعي بِالجُفونِ كَأَنَّما ... جُفوني لِعَيني كُلِّ باكِيَةٍ خَدُّ
وَإِنّي لَتُغنيني مِنَ الماءِ نُغبَةٌ ... وَأَصبِرُ عَنهُ مِثلَ ما تَصبِرُ الرُبدُ
وَأَمضي كَما يَمضي السِنانُ لِطِيَّتي ... وَأَطوي كَما تَطوي المُجَلَّحَةُ العُقدُ
وَأُكبِرُ نَفسي عَن جَزاءٍ بِغيبَةٍ ... وَكُلُّ اغتِيابٍ جُهدُ مَن مالُهُ جُهدُ
وَأَرحَمُ أَقواماً مِنَ العِيِّ وَالغَبا ... وَأَعذِرُ في بُغضي لِأَنَّهُمُ ضِدُّ

وَيَمنَعُني مِمَّن سِوى ابنِ مُحَمَّدٍ — أَيادٍ لَهُ عِندي تَضيقُ بِها عِندُ
تَوالى بِلا وَعدٍ وَلَكِنَّ قَبلَها — شَمائِلُهُ مِن غَيرِ وَعدٍ بِها وَعدُ
سَرى السَيفُ مِمّا تَطبَعُ الهِندُ صاحِبي — إِلى السَيفِ مِمّا يَطبَعُ اللَهُ لا الهِندُ
فَلَمّا رَآني مُقبِلاً هَزَّ نَفسَهُ — إِلَيَّ حُسامٌ كُلُّ صَفحٍ لَهُ حَدُّ
فَلَم أَرَ قَبلي مَن مَشى البَحرُ نَحوَهُ — وَلا رَجُلاً قامَت تُعانِقُهُ الأُسدُ
كَأَنَّ القِسِيَّ العاصِياتِ تُطيعُهُ — هَوىً أَو بِها في غَيرِ أُنمُلِهِ زُهدُ
يَكادُ يُصيبُ الشَيءَ مِن قَبلِ رَميِهِ — وَيُمكِنُهُ في سَهمِهِ المُرسَلِ الرَدُّ
وَيُنفِذُهُ في العَقدِ وَهوَ مُضَيَّقٌ — مِنَ الشَعرَةِ السَوداءِ وَاللَيلُ مُسوَدُّ
بِنَفسي الَّذي لا يُزدَهى بِخَديعَةٍ — وَإِن كَثُرَت فيها الذَرائِعُ وَالقَصدُ
وَمَن بُعدُهُ فَقرٌ وَمَن قُربُهُ غِنىً — وَمَن عِرضُهُ حُرٌّ وَمَن مالُهُ عَبدُ
وَيَصطَنِعُ المَعروفَ مُبتَدِئاً بِهِ — وَيَمنَعُهُ مِن كُلِّ مَن ذَمُّهُ حَمدُ
وَيَحتَقِرُ الحُسّادَ عَن ذِكرِهِ لَهُم — كَأَنَّهُمُ في الخَلقِ ما خُلِقوا بَعدُ
وَتَأمَنُهُ الأَعداءُ مِن غَيرِ ذِلَّةٍ — وَلَكِن عَلى قَدرِ الَّذي يُذنِبُ الحِقدُ
فَإِن يَكُ سَيّارُ بنُ مُكرَمٍ انقَضى — فَإِنَّكَ ماءُ الوَردِ إِن ذَهَبَ الوَردُ

إلى أن يقول:

وَما عِشتُ ما ماتوا وَلا أَبَواهُمُ — تَميمُ بنُ مُرٍّ وَابنُ طابِخَةٍ أُدُّ
فَبَعضُ الَّذي يَبدو الَّذي أَنا ذاكِرٌ — وَبَعضُ الَّذي يَخفى عَلَيَّ الَّذي يَبدو
أَلومُ بِهِ مَن لامَني في وِدادِهِ — وَحُقَّ لِخَيرِ الخَلقِ مِن خَيرِهِ الوُدُّ
كَذا فَتَنَحَّوا عَن عَلِيٍّ وَطُرقِهِ — بَني اللُؤمِ حَتّى يَعبُرَ المَلِكُ الجَعدُ
فَما في سَجاياكُم مُنازَعَةُ العُلى — وَلا في طِباعِ التُربَةِ المِسكُ وَالنَدُّ

- 84 -

ضِـدانِ لمـا اسـتـجـمـعـا حَسُـنـا
وَالـضِـدُّ يُـظـهِـرُ حُـسـنَـهُ الـضِـدُّ

قائله **العكوك**

أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن، المعروف بالعكوك الشاعر المشهور؛ أحد فحول الشعراء المبرزين قال الجاحظ في حقه : كان أحسن خلق الله إنشاداً، ما رأيت مثله بدوياً ولا حضرياً وكان من الموالي وولد أعمى، وكان أسود أبرص، ومن مشهور شعره قوله :

بأبي من زارني مكتتماً　　خائفاً من كل شيء جزعا
زائـرٌ نم عليه حسنه　　كيف يخفي الليل بدراً طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت　　ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال في زورته　　ثم ما سلم حتى ودعا

ومن قوله في الحسن بن سهل :

أعطيتني يا ولي الحق مبتدئاً عطيةً كافأت شعري ولم ترني
ما شمت برقك إلا نلت ريقه　　كأنما كنت بالجدوى تبادرني

وله في أبي دلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي غر المدائح، فمن قصائده الفائقة في أبي دلف القصيدة التي أولها :

ذاد ورد الغي عن صدره　　فارعوى واللهو من وطره

يقول في مدحها :

إنما الدنيا أبو دلف　　بين مغزاه ومحتضره

ويحكى أن العكوك مدح حميد بن عبد الحميد الطوسي بعد مدحه لأبي

دلف بهذه القصيدة فقال له حميد : ما عسى أن تقول فينا وما أبقيت لنا بعد قولك في أبي دلف : إنما الدنيا أبو دلف... وأنشد البيتين، فقال : أصلح الله الأمير، قد قلت فيك ما هو أحسن من هذا، قال : وما هو؟ فأنشد :

إنمـــا الــدنــيــا حــمــيــد وأيــــاديـــــه الجــســـام

فــــــــإذا ولى حــمــيــد فــعــلــى الــدنــيــا الــســلام

قال: فتبسم ولم يحر جواباً، فأجمع من حضر المجلس من أهل المعرفة والعلم بالشعر أن هذا احسن مما قاله في أبي دلف، فاعطاه وأحسن جائزته. وحكي أنه مدح المأمون بقصيدة أجاد فيها وتوسل بحميد الطوسي في إيصالها إليه، فقال له المأمون : خيره بين أن نجمع بين قوله هذا وبين قوله فيك وفي أبى دلف، فإن وجدنا قوله فينا خيراً منه أجزناه عشرة آلاف، والا ضربناه مائة سوط، فخيره حميد فاختار الإعفاء.

وقال ابن المعتز في «طبقات الشعراء» : ولما بلغ المأمون خبر هذه القصيدة غضب غضباً شديداً وقال : اطلبوه حيثما كان وائتوني به، فطلبوه فلم يقدروا عليه لأنه كان مقيماً بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة الفراتية، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق أن يؤخذ حيث كان، فهرب من الجزيرة حتى توسط الشامات، فظفروا به فأخذوه وحملوه مقيداً إلى المأمون، فلما صار بين يديه قال له : يا بن اللخناء، أنت القائل في قصيدتك للقاسم بن عيسى، وهو أبو دلف :

كــــل مـــن في الأرضـــــــ مـــن عـــرب

وأنشد البيتين، جعلتنا ممن يستعير المكارم منه والإفتخار به، قال : يا أمير المؤمنين : أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لأن الله اختصكم لنفسه من عباده وآتاكم الكتاب والحكم وآتاكم ملكاً عظيماً، وانما ذهب في قولي إلى أقران وأشكال القاسم بن عيسى من هذا الناس، فقال : والله ما أبقيت

أحداً، ولقد أدخلتنا في الكل، وما استحل دمك بكلمتك هذه، ولكني استحله بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه مالكاً قادراً وهو :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها   وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد   إلا قضيت بأرزاق وآجال

ذاك الله عز وجل يفعله، أخرجوا لسانه من قفاه، فأخرجوا لسانه من قفاه فمات، وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد. ومولده سنة ستين ومائة، وقيل إنه أصابه الجدري وهو ابن سبع سنين فذهب بصره منه، وهذا خلاف ما قيل في الأول.

ولما مات حميد في يوم عيد الفطر سنة عشر ومائتين رثاه بقصيده من جملتها :

فأدبنا ما أدب الناس قبلنا   ولكنه لم يبق للصبر موضع

ورثاه أبو العتاهية بقوله :

أبا غانم أما ذراك فواسعٌ   وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره   إذا كان فيه جسمه يتهدم

والعكوك : بفتح العين المهملة والكاف وتشديد الواو وبعدها كاف ثانية، وهو السمين القصير مع صلابة.

القصيدة :

هَل بِالطُّلولِ لِسائِلٍ رَدُّ   أَم هَل لَها بِتَكَلُّمٍ عَهدُ
لَهَفى عَلى دَعدٍ وَما خُلِقَت   إِلّا لِطولِ بَلِيَّتي دَعدُ
بَيضاءُ قَد لَبِسَ الأَديمُ بَها   ءَ الحُسنِ فَهُوَ لِجِلدِها جِلدُ
وَيَزينُ فَودَيها إِذا حَسَرَت   ضافي الغَدائِرِ فاحِمٌ جَعدُ

فَالوَجهُ مِثلُ الصُّبحِ مُنبَلِجٌ   وَالشَعرُ مِثلُ اللَيلِ مُسوَدُّ

وَالشَعرُ مِثلُ اللَيلِ مُسوَدُّ   ضِدّانِ لِما استَجمِعا حَسُنا

ضِدّانِ لِما استَجمِعا حَسُنا   وَالضِدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ

وَالضِدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ   وَجَبينُها صَلتٌ وَحاجِبُها

وَجَبينُها صَلتٌ وَحاجِبُها   شَختُ المَخَطِّ أَزَجُّ مُمتَدُّ

شَختُ المَخَطِّ أَزَجُّ مُمتَدُّ   وَكَأَنَّها وَسنى إِذا نَظَرَت

وَكَأَنَّها وَسنى إِذا نَظَرَت   أَو مُدنَفٌ لَمّا يُفِق بَعدُ

أَو مُدنَفٌ لَمّا يُفِق بَعدُ   بِفُتورِ عَينٍ ما بِها رَمَدٌ

بِفُتورِ عَينٍ ما بِها رَمَدٌ   وَبِها تُداوى الأَعيُنُ الرُمدُ

وَبِها تُداوى الأَعيُنُ الرُمدُ   وَتُريكَ عِرنينا يُزَيِّنُهُ

وَتُريكَ عِرنينا يُزَيِّنُهُ   شَمَمٌ وَخَدّاً لَونُهُ الوَردُ

شَمَمٌ وَخَدّاً لَونُهُ الوَردُ   وَتُجيلُ مِسواكَ الأَراكِ عَلى

وَتُجيلُ مِسواكَ الأَراكِ عَلى   رَتلٍ كَأَنَّ رُضابَهُ الشَهدُ

رَتلٍ كَأَنَّ رُضابَهُ الشَهدُ   وَامتَدَّ مِن أَعضادِها قَصَبٌ

وَامتَدَّ مِن أَعضادِها قَصَبٌ   فَعمٌ تَلَتهُ مَرافِقٌ دُردُ

فَعمٌ تَلَتهُ مَرافِقٌ دُردُ   وَالمِعصَمانِ فَما يُرى لَهُما

وَالمِعصَمانِ فَما يُرى لَهُما   مِن فَعمَةٍ وَبَضاضَةٍ زَندُ

مِن فَعمَةٍ وَبَضاضَةٍ زَندُ   وَلَها بَنانٌ لَو أَرَدتَ لَهُ

وَلَها بَنانٌ لَو أَرَدتَ لَهُ   عَقداً بِكَفِّكَ أَمكَنَ العَقدُ

إلى أن يقول

أَجمِل إِذا حاوَلتَ في طَلَبٍ   فَالجِدُّ يُغني عَنكَ لا الجَدُّ

لِيَكُن لَدَيكَ لِسائِلٍ فَرَجٌ   إن لم يَكُن فَليَحسُن الرَدُّ
وَطَريدِ لَيلٍ ساقَهُ سَغَبٌ   وَهناً إلَيّ وَقادَهُ بَردُ
أَوسَعتُ جُهدَ بَشاشَةٍ وَقُرىً   وَعَلى الكَريمِ لِضَيفِهِ الجُهدُ
فَتَصَرّمَ المَشتى وَمَنزِلُهُ   رَحبٌ لَدَيّ وَعَيشُهُ رَغدُ
ثُمّ اغتَدى وَرِداؤُهُ نِعَمٌ   أَسدَيتُها وَرِدائِيَ الحَمدُ
يا لَيتَ شِعري بَعدَ ذَلِكُمُ   وَمَصيرُ كُلِّ مُؤَمّلٍ لَحدُ
أَصَريعَ كَلمٍ أَم صَريعُ ضَنىً   أودى فَلَيسَ مِنَ الرَدى بُدُّ

Twitter: @ketab_n

- 85 -

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ
فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ

قائله **أبو تمام حبيب بن أوس الطائي** (سبق ترجمته)

ويقال إن المعتصم بلغه أن رومياً لطم أسيرة في زبطرة فصاحت: وامعتصماه، فأحفظه ذلك وأغضبه، فخرج من فوره نافراً عليه دراعة من الصوف بيضاء قد تعمم بعمة الغزاة، فعسكر غربي دجلة، ونودي في الأمصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين، فسالت العساكر والمطوعة من سائر بلاد الإسلام، فمن مكثر يقول: سار في خمسمائة ألف، ومقلل يقول: سار في مائتي ألف، ولقي الأفشين أحد قواده ملك الروم فهزمه وقتل أكثر بطارقته ووجوه أصحابه، وفتح المعتصم حصوناً، ونزل على عمورية ففتحها الله على يديه، وخرج إليه لاوي البطريق منها وأسلمها إليه، وكان المنجمون حكموا لما خرج المعتصم إلى الروم بأنه لا يرجع من وجهه، فلما فتح ما فتح وخرب عمورية في شهر رمضان سنة 223 وانصرف سالماً، قال أبو تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وقيل إنه كرر إنشاد هذه القصيدة ثلاثة أيام فقال له المعتصم : لم تجلو علينا عجوزك؟ قال : حتى أستوفي مهرها يا أمير المؤمنين، فأمر له بمائة وسبعين ألف درهم عن كل بيت منها

القصيدة :

السَّيْفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ　　في حدِّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ
بيضُ الصَّفائحِ لا سودُ الصَّحائفِ في　　متونهنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيبِ
والعلمُ في شُهُبِ الأرماحِ لامعةً　　بينَ الخميسينِ لا في السَّبعةِ الشُّهبِ
فتحُ الفتوحِ تعالَى أن يُحيطَ بهِ　　نظمٌ منَ الشِّعرِ أوْ نثرٌ من الخُطَبِ
تدبيرُ معتصمٍ باللهِ منتقمٍ　　للهِ مرتقبٍ في اللهِ مرتغبِ
ومُطعَمِ النَّصرِ لم تَكْهَمْ أسنَّتُهُ　　يوماً ولا حُجبتْ عن روحِ مُحتجبِ
لمْ يرمِ قوماً ولم ينهدْ إلى بلدٍ　　إلاَّ تَقدَّمهُ جيشٌ من الرُّعُبِ
لو لمْ يقُدْ جحفلاً يومَ الوَغى لَغدا　　من نفسِهِ وحدَهَا في جحفلٍ لَجِبِ
رَمى بكَ اللهُ بُرجَيْها فهدَّمَهَا　　ولو رمَى بكَ غيرُ اللهِ لم يصِبِ
من بعدِ ما أشَّبُوها واثقينَ بها　　واللهُ مفتاحُ بابِ المعقِلِ الأشِبِ
عَداكَ حرُّ الثُّغورِ المستضامَةِ عنْ　　بردِ الثُّغورِ وعنُها سلسالِها الحصِبِ
أجبتَهُ معلَماً بالسَّيْفِ مُنصلتاً　　ولو دُعيتَ بغيرِ السَّيْفِ لم تُجِبِ
حتَّى تركتَ عمودَ الشِّركِ منعفراً　　ولم تعرِّجْ على الأوتادِ والطُّنُبِ
لمَّا رأى الحربَ رأيَ العينِ تُوفلِسٌ　　والحربُ مشتقَّةُ المعنَى منَ الحربِ
غَدَا يصرِّفُ بالأموالِ جِرْيتَهَا　　فعزَّهُ البحرُ ذو التَّيَّارِ والحدبِ
هيهاتَ زُعزعت الأرضُ الوَقورُ بهِ　　عن غزوِ مُحتسبٍ لا غزوِ مكتسِبِ
لم ينفقِ الذَّهبِ المُرْبي بكثرتِهِ　　على الحَصَى وبهِ فقرٌ إلى الذَّهبِ

إلى أن يقول :

مُـوَكَّـلاً بِيَـفـاعِ الأَرضِـ يُشرِفُهُ ... من خِفَّةِ الخَوفِ لا من خِفَّةِ الطَرَبِ

إن يَعدُ من حَرِّها عَدوَ الظَليمِ فَقَد ... أَوسَعتَ جاحِمَها من كَثرَةِ الحَطَبِ

تِسعونَ أَلفاً كَآسادِ الشَرى نَضِجَت ... جُلودُهُم قَبلَ نُضجِ التينِ وَالعِنَبِ

يا رُبَّ حَوباءَ حينَ اجتُثَّ دابِرُهُم ... طابَت وَلَو ضُمِّخَت بِالمِسكِ لَم تَطِبِ

وَمُغضَبٍ رَجَعَت بيضُ السُيوفِ بِهِ ... حَيَّ الرِضا مِن رَداهُم مَيِّتَ الغَضَبِ

وَالحَـربُ قـائِمَـةٌ في مَـأزِقٍ لَجِـجٍ ... تَجثو القِيامُ بِهِ صُغراً عَلى الرُكَبِ

كَم نيلَ تَحتَ سَناها مِن سَنا قَمَرٍ ... وَتَحتَ عارِضِها مِن عارِضٍ شَنِبِ

كَم كانَ في قَطعِ أَسبابِ الرِقابِ بِها ... إِلى المُـخَـدَّرَةِ الـعَـذراءِ مِـن سَبَبِ

كَم أَحرَزَت قُضُبُ الهِندِيِّ مُصلَتَةً ... تَهـتَزُّ مِـن قُضُـبٍ تَهـتَزُّ في كُثُبِ

بيضٌ إِذا انتُضِيَت مِن حُجبِها رَجَعَت ... أَحَقَّ بِالبيضِ أَتراباً مِنَ الحُجُبِ

خَليفَةَ اللَهِ جازى اللَهُ سَعيَكَ عَن ... جُرثومَةِ الدينِ وَالإِسلامِ وَالحَسَبِ

بَصُرتَ بِالراحَةِ الكُبرى فَلَم تَرَها ... تُـنـالُ إِلّا عَـلى جِسـرٍ مِـنَ التَعَبِ

إِن كانَ بَينَ صُروفِ الدَهرِ مِن رَحِمٍ ... مَوصولَةٍ أَو ذِمـامٍ غَـيرِ مُنقَضِبِ

فَبَينَ أَيّامِـكَ اللاتي نُصِرتَ بِها ... وَبَـيـنَ أَيّـامِ بَـدرٍ أَقـرَبُ النَسَبِ

أَبقَت بَني الأَصفَرِ المِمراضِ كَاسمِهِمُ ... صُفرَ الوُجوهِ وَجَلَّت أَوجُهَ العَرَبِ

- 86 -

عَلَيكَ سَلامُ اللهِ وَقفاً فَإنَّني
رَأيتُ الكَريمَ الحُرَّ لَيسَ لَهُ عُمرُ

قائله **أبو تَمّام حَبِيب بن أُوس الطّائي** (سبق ترجمته)

من قصيدة يرثي بها محمد حميد الطوسي

كذا فَلْيَجِلّ الخَطْبُ ولْيَفْدَحِ الأمْرُ ... فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ
وما كانَ إلاّ مالَ مَن قَلّ مالُهُ ... وذُخراً لِمَنْ أمْسَى وَلَيْسَ له ذُخْرُ
تُوُفّيَتْ الآمالُ بَعْدَ محمد ... وأَصْبَحَ في شُغْلٍ عن السّفَرِ السّفْرُ
وما كانَ يَدْري المُجْتدي جُودِ كَفّهِ ... إذا ما اسْتَهَلّتْ أنّه خُلِقَ العُسْرُ
ألا في سَبيلِ اللهِ مَن عُطّلَتْ له ... فِجاجُ سَبيلِ اللهِ وانْثَغَرَ الثّغْرُ
فتىً سَلَبَتْهُ الخيْلُ وهُوَ حِمىً لَها ... وَبَزّتْهُ نارُ الحَرْبِ وهُوَ لها جَمْرُ
فتىً كلّما فاضَتْ عُيُونُ قَبيلَةٍ ... دَماً ضَحِكَتْ عنه الأَحاديثُ والذّكْرُ
فتىً ماتَ بَيْنَ الطّعْنِ والضّرْبِ ميتَةً ... تقومُ مَقامَ النّصْرِ إذْ فاتَهُ النّصْرُ
وما ماتَ حتّى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ ... منَ الضّرْبِ واعْتَلّتْ عليه القَنا السُّمْرُ
وقَدْ كانَ فَوْتُ المَوْتِ سَهْلاً فَرَدّهُ ... إليه الحِفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونَفْسٌ تَخافُ العارَ حتّى كأنّهُ ... هو الكُفْرُ يَومَ الرّوْعِ أو دُونَه الكُفْرُ
فأثْبَتَ في مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَهُ ... وقالَ لَها من تَحْتِ أَخْمَصِكِ الحَشْرُ
تَرَدّى ثِيابَ المَوْتِ حُمْراً فما أتَى ... لَها اللّيلُ إلا وهْيَ من سُنْدُسٍ خُضْرُ
كأنّ بَني نَبْهانَ يومَ وَفاتِهِ ... نُجومُ سماءٍ خَرّ من بَيْنِها البَدْرُ
سَقَى الغَيْثُ غَيْثاً وارَتِ الأرضُ شَخْصَهُ ... وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه سَحابٌ ولا قَطْرُ

وكَيْفَ احْتِمالي للسّحابِ صَنِيعَةً ... بإسْقائِها قَبْراً وفي لَحْدِهِ البَحْر
مَضَى طاهِرَ الأثْوابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ ... مِن الأرْضِ إلاّ واشْتَهَتْ أنّها قَبْرُ
ثَوَى في الثّرَى مَن كانَ يَحْيا به الثّرَى ... ويَغْمُرُ صَرْفُ الدّهْرِ نائِلُهُ الغَمْرُ
أمِنْ بَعْدِ طَيِّ الحادِثاتِ محمداً ... يكُونُ لأثْوابِ النّدَى أبَداً نَشْرُ
لَئِنْ غَدَرَتْ في الرّوْعِ أيّامُهُ بهِ ... فَما زالَتْ الأيّامُ شِيمَتُها الغَدْرُ
عليكَ سلامُ اللهِ وَقْفاً فإنّني ... رَأيْتُ الكَرِيمَ الحُرّ لَيْسَ له عُمْرُ

- 87 -

إذا الخِــلُّ لم يـهـجـرك إلاّ مـلالـةً
فـلـيـسَ لـهُ إلاّ الـفـراقَ عِـتـابُ

قائله **أبو فراس الحمداني** (سبق ترجمته)

من قصيدة إلى سيف الدولة

أَمــا لِجَـمـيـلٍ عِـنـدَكُـنّ ثَـوابُ ... وَلا لِمُـسـيءٍ عِـنـدَكُـنّ مَـتـابُ
لقدْ ضلّ مَن تَحوي هواهُ خَريدَة ... وقدْ ذلّ مَن تَقضي عليه كَعابُ
ولـكـنّـنـي والحـمـدُ للهِ حـازمٌ ... أعــزُّ إذا ذلّــتْ لـهـنّ رِقـابُ
ولا تملكُ الحسناءُ قلبي كلّهُ ... وإنْ شملتْها رقّـةٌ وشبابُ
وأجري ولا أُعطي الهَوَى فضلَ مِقوَدي ... وأهـفُـو ولا يَخْفى عليّ صوابُ
إذا الخِلُّ لم يهجركَ إلاّ ملالةً ... فليسَ لهُ إلاّ الفراقَ عِتابُ
إذا لم أجدْ من خلّةٍ ما أُريدُهُ ... فعندي لأُخرى عزمةٌ وركابُ
وَلَيسَ فِراقٌ ما استَطَعتُ فَإِن يَكُن ... فِـراقٌ عَلى حالٍ فَلَيسَ إِيابُ
صبورٌ ولوْ لم تبقَ منّي بقيّةٌ ... قـؤولٌ ولو أنّ السُّيوفَ جوابُ
وقورٌ وأحداثُ الزّمَانِ تَنُوشُني ... وللموتِ حوْلي جيئةٌ وذَهابُ
وألحَظُ أحوالَ الزّمَانِ بمقلة ... بها الصّدقُ والكِذَابُ كِذَابُ
بِمَن يَثِقُ الإنسانُ فيما يَنوبُهُ ... وَمِن أَينَ لِلحُرّ الكَريمِ صِحابُ
وَقَد صارَ هَذا الناسُ إِلّا أَقَلَّهُم ... ذِئاباً عَلى أَجسادِهِنّ ثِيابُ
تَغابَيتُ عَن قَومي فَظَنّوا غَباوَتي ... بِمَفرِقِ أَغبانا حَصىً وَتُرابُ
وَلَو عَرَفوني حَقّ مَعرِفَتي بِهِم ... إِذاً عَلِموا أَنّي شَهِدتُ وَغابوا

وما كلُّ فعّالٍ يُجازى بفعلِهِ ... ولا كلُّ قوّالٍ لديّ يجابُ
وربّ كلامٍ مرّ فوقَ مسامعي ... كما طنّ في لُوحِ الهجيرِ ذُبابُ
إلى اللهِ أشكو أنّنا بمَنازلٍ ... تَحَكّمُ في آسادِهنّ كِلابُ
تَمُرُّ اللّيالي لَيسَ لِلنَفعِ مَوضِعٌ ... لَديّ وَلا لِلمُعتَفينَ جَنابُ
وَلا شُدّ لي سَرجٌ عَلى ظَهرِ سابِحٍ ... وَلا ضُرِبَت لي بِالعَراءِ قِبابُ
وَلا بَرَقَت لي في اللِقاءِ قَواطِعٌ ... وَلا لَمَعَت لي في الحُروبِ حِرابُ
ستذكُرُ أيّامي نُمَيرٌ وعامرٌ ... وكعبٌ على علّاتها وكلابُ
أنا الجارُ لا زادي بطيءٌ عليهُمُ ... ولا دونَ مالي للحوادثِ بابُ
وَلا أَطلُبُ العَوراءَ مِنهُم أُصيبُها ... وَلا عَورَتي لِلطالِبينَ تُصابُ
وَأَسطو وَحُبّي ثابِتٌ في صُدورِهِم ... وَأَحلَمُ عَن جُهّالِهِم وَأُهابُ
بَني عَمِّنا ما يَصنَعُ السَيفُ في الوَغى ... إِذا فُلّ مِنهُ مَضرِبٌ وَذُبابُ
بَني عَمِّنا لا تُنكِروا الحَقّ إِنّنا ... شِدادٌ عَلى غَيرِ الهَوانِ صِلابُ

إلى أن يقول :

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع ... وفي كل يوم لقية وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملك قيصر ... وللبحر حولي زخرة وعباب؟
أمن بعد بذل النفس فيما تريده ... أثاب بمر العتب حين أثاب
فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

- 88 -

وَلِلحِلْمِ أَوْقَاتٌ وَلِلجَهْلِ مِثْلُهَا
وَلَكِنَّ أَوْقَاتِي إِلَى الحِلْمِ أَقْرَبُ

قائله **الشريف الرضي**

الشريف الرضي أبو الحسن محمدبن طاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر؛ ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال في ترجمته : ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أنشأ الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع محتدة الشريف ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر، على كثرة شعرائهم المفلقين، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أخبر به شاهد عدل من شعره العالي القدح الممتنع عن القدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة رصانة ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها.

وكان أبوه يتولى قديما نقابة نقباء الطالبين، ويحكم فيهم أجمعين، والنظر في المظالم والحج بالناس، ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده الرضي المذكور في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وأبوه حي.

ومن غرر شعره ماكتبه إلى الإمام القادر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدر من جملة قصيدته :

عطفا أمير المؤمنين فإننا — في دوحة العلياء لانتفرق
مابيننا يوم الفخار تفاوت — أبدا، كلنا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك، فإنني — أنا عاطل منها وأنت مطوق

ومن جيد شعره قوله أيضا :

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل — أبدا يمانع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل — ضجرا : دواء الفارك التطليق

وله من جملة أبيات :

يا صاحبي قفا لي واقضيا وطرا — وحدثاني عن نجد بأخبار
هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت خميلة الطلح ذات البان والغار
أم هل أبيت ودار دون كاظمة — وداري، وسمار ذاك الحي سماري
تضوع أرواح نجد من ثيابهم — عند القدوم لقرب العهد بالدار

وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات من قصيدة :

لِغَيرِ العُلى مِنّي القِلى وَالتَجَنُّبُ — وَلَولا العُلى ما كُنتُ في الحُبِّ أَرغَبُ
إِذا اللَهُ لَم يَعذُركَ فيما تَرومُهُ — فَما الناسُ إِلّا عاذِلٌ أَو مُؤَنِّبُ
مَلَكتُ بِحِلمي فُرصَةً ما استَرَقَّها — مِنَ الدَهرِ مَفتولُ الذِراعَينِ أَغلَبُ
فَإِن تَكُ سِنّي ما تَطاوَلَ باعُها — فَلي مِن وَراءِ المَجدِ قَلبٌ مُدَرَّبُ
فَحَسبِيَ أَنّي في الأَعادي مُبَغَّضٌ — وَأَنّي إِلى غُرِّ المَعالي مُحَبَّبُ
وَلِلحِلمِ أَوقاتٌ وَلِلجَهلِ مِثلُها — وَلَكِنَّ أَوقاتي إِلى الحِلمِ أَقرَبُ
يَصولُ عَلَيَّ الجاهِلونَ وَأَعتَلي — وَيُعجِمُ فِيَّ القائِلونَ وَأُعرِبُ
يَرَونَ احتِمالي غُصَّةً وَيَزيدُهُم — لَواعِجَ ضِغنٍ أَنَّني لَستُ أَغضَبُ
وَأُعرِضُ عَن كَأسِ النَديمِ كَأَنَّها — وَميضُ غَمامٍ غائِرُ المُزنِ خُلَّبُ

وَقورٌ فَلا الأَلحانُ تَأسِرُ عَزمَتي ... وَلا تَمكُرُ الصَهباءُ بي حينَ أَشرَبُ
وَلا أَعرِفُ الفَحشاءَ إِلّا بِوَصفِها ... وَلا أَنطِقُ العَوراءَ وَالقَلبُ مُغضَبُ
تَحَلَّمُ عَن كَرِّ القَوارِضِ شيمَتي ... كَأَنَّ مُعيدَ المَدحِ بِالذَمِّ مُطنِبِ
لِساني حَصاةٌ يَقرَعُ الجَهلَ بِالحِجى ... إِذا نالَ مِنّي العاضِهُ المُتَوَثِّبِ
وَلَستُ بِراضٍ أَن تَمَسَّ عَزائِمي ... فُضالاتِ ما يُعطي الزَمانُ وَيَسلُبُ
غَرائِبُ آدابٍ حَباني بِحِفظِها ... زَماني وَصَرفُ الدَهرِ نِعمَ المُؤَدِّبِ
تُرَيِّشُنا الأَيّامُ ثُمَّ تَهيضُنا ... أَلا نِعمَ ذا البادي وَبِئسَ المُعَقِّبُ
نَهَيتُكَ عَن طَبعِ اللِئامِ فَإِنَّني ... أَرى البُخلَ يَأتي وَالمَكارِمَ تُطلَبُ
تَعَلَّم فَإِنَّ الجودَ في الناسِ فِطنَةٌ ... تَناقَلَها الأَحرارُ وَالطَبعُ أَغلَبُ
تُضافِرُني فيكَ الصَوارِمُ وَالقَنا ... وَيَصحَبُني مِنكَ العُذَيقُ المُرَجَّبُ
نَصَحتُ وَبَعضُ النُصحِ في الناسِ هُجنَةٌ ... وَبَعضُ التَناجي بِالعِتابِ تَعَتُّبُ
فَإِن أَنتَ لَم تُعطِ النَصيحَةَ حَقَّها ... فَرُبَّ جَموحٍ كَلَّ عَنهُ المُؤَنِّبُ
سَقى اللَهُ أَرضاً جاوَرَ القَطرُ رَوضَها ... إِذِ المُزنُ تَسقي وَالأَباطِحُ تَشرَبُ
ذَكَرتُ بِها عَصرَ الشَبابِ فَحَسرَةٌ ... أَفَدتُ وَقَد فاتَ الَّذي كُنتُ أَطلُبُ
سَكَنتُكِ وَالأَيّامُ بيضٌ كَأَنَّها ... مِنَ الطيبِ في أَثوابِنا تَتَقَلَّبُ

إلى أن يقول :

وَما المَدحُ إِلّا في النَبِيِّ وَآلِهِ ... يُرامُ وَبَعضُ القَولِ ما يُتَجَنَّبُ
وَأَولى بِمَدحي مَن أُعِزُّ بِفَخرِهِ ... وَلا يَشكُرُ النَعماءَ إِلّا المُهَذَّبُ
أَرى الشِعرَ فيهِم باقِياً وَكَأَنَّما ... تُحَلِّقُ بِالأَشعارِ عَنقاءُ مُغرِبُ
وَقالوا عَجيبٌ عُجبُ مِثلي بِنَفسِهِ ... وَأَينَ عَلى الأَيّامِ مِثلُ أَبي أَبُ
لَعَمرُكَ ما أُعجِبتُ إِلّا بِمَدحِهِم ... وَيُحسَبُ أَنّي بِالقَصائِدِ مُعجَبُ
أُعِدُّ لِفَخري في المَقامِ مُحَمَّداً ... وَأَدعو عَلِيّاً لِلعُلى حينَ أَركَبُ

- 89 -

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها

إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

قائله **أبو أذينة** شاعر جاهلي. وهو ابن عم الأسود بن النعمان، شهد حربه مع غسان وانتصاره عليهم وأسر عدد من ملوكهم.

وكان أخو أبو أذينة قد قتل في هذه الحرب، وعزم النعمان أن يعفو عنهم ولكن أبا أذينة قال شعراً يغري النعمان بهم، فلمّا سمع النعمان شعره رجع عن عزمه وقتلهم.

من قصيدة :

مـا كُـلُّ يـوم يَنـالُ المَـرْءُ مـا طَلَبا ... ولا يُسَـوِّغُـهُ المِـقْـدارُ مـا وَهَـبـا
وأَحْزَمُ النّاسِ مَنْ إنْ نالَ فُرْصَتَهُ ... لَمْ يَجْعَلِ السَّبَبَ المَوْصُولَ مُقْتَضَبا
وأَنْصَفُ النّاسِ في كُلِّ المَواطِنِ مَنْ ... سَقَى المُعادِينَ بالكَأْسِ الذي شَرِبا
ولَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ راحَ يَضْرِبُهُمْ ... بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مِنْ قَبْلِهِ ضُرِبا
والعَفْوُ إلاّ عن الأكْفاءِ مَكْرُمَةٌ ... مَن قالَ غَيْرَ الذي قد قُلْتُهُ كَذَبا
قَتَلْتَ عَمْراً، وتَسْتَبْقِي يَزيدَ لقَدْ ... رَأَيْتَ رَأْياً يَجُرُّ الوَيْلَ والحَرَبا
لا تَقْطَعَنْ ذَنَبَ الأَفْعَى وتُرْسِلَها ... إنْ كنتَ شَهْماً فأَلْحِقْ رَأْسَها الذَّنَبا
هُمْ جَرَّدُوا السَّيْفَ فاجْعَلْهُمْ له جَزَراً ... وأَضْرَمُوا النّارَ فاجْعَلْهُمْ لها حَطَبا
واذْكُرْ لَمَنْجاهُمُ مَثْوَى أَبِي كَرِبٍ ... وحَبْسَ آلِ عَدِيٍّ عِنْدَهُمْ حِقَبا
أَمْسَتْ تُضَرِّبُ بالبَلْقاءِ هامَتُهُ ... ونحنُ نَسْتَعْمِلُ اللَّذّاتِ والطَرَبا
إنْ تَعْفُ عنهمْ، يقولُ النّاسُ كُلُّهُمُ ... لَمْ تَعْفُ حِلماً، ولكنْ عَفْوُهُ رَهَبا

أَنَمْ حُـقُـوداً لنا فيهمْ مُماطَلَةٌ   وما تَنـامُ إذا لَمْ تُنْبِهِ الغَضَبا
وكانَ أَحْسَنَ مِن ذا العَفْوِ لو هَرَبُوا   لكنَّهُمْ أَنِفُوا مِن مِثْلِكَ الهَرَبا
لا عَفْوَ عن مِثْلِهِمْ في مِثْلِ ما طَلَبُوا   فإنْ يَكُنْ ذاكَ، كانَ الهُلْكَ والعَطَبا
إنْ حاوَلُوا المُلْكَ، قالَ النَّاسُ: حَقُّهُمُ   ولَيْسَ طالِبُ حَقٍّ مِثْلَ مَنْ غَصَبا
هُمُ أَهِلَّةُ غَسَّانٍ، ومَجْدُهُمُ   عالٍ، فإنْ حاوَلُوا مُلْكاً فلا عَجَبا
وعَرَّضُوا بِفِداءٍ واصِفِينَ لنا   خَيْلاً وإبْلاً تَرُوقُ العُجْمَ والعَرَبا
أَيَحْلِبُونَ دَماً مِنّا ونَحْلُبُهُمْ   رِسْلاً، لقد شَرَفُونا في الوَرَى حَلَبا
علامَ نَقْبَلُ إبْلاً منهمُ، وهُمُ   لا فِضَّةً قَبِلُوا مِنّا ولا ذَهَبا
اسق الكلاب غد من فتية دمها   عند البرية تستسقى به الكلبا
لَمْ يَتْرُكُوا سَبَباً للصُّلْحِ جُهْدَهُم   فلا تَكُنْ أَنتَ أيضاً تارِكاً سَبَبا
لو لَمْ تَسِرْ جازَ أَنْ تَعْفُو مُحاجَزَةً   واللَّيْثُ لا يُحْسِنُ البُقْيا إذا وَثَبا

- 90 -

علو في الحياة وفي الممات

بحق أنت إحدى المعجزات

قائله أبو الحسن الأنباري

محمد بن عمر بن يعقوب، أبو الحسن بن الأنباري. شاعر مقل، من الكتاب، كان أحد العدول ببغداد. ومان صوفياً واعظاً. اشتهر بقصيدته في رثاء الوزير (ابن بقية) التي أولها :

علو في الحياة وفي الممات الوزير ابن بقية محمد بن محمد بن بقية بالباء الموحدة والقاف على وزن هدية الوزير أبو الطاهر نصير الدولة وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة ابن بويه كان من جلة الوزراء وأكابر الرؤساء وأعيان الكرماء يقال أن راتبه في الشمع كان في كل شهر ألف منا، وكان من أهل أوانا من عمل بغداد، وفي أول أمره توصل إلى أن صار صاحب مطبخ معز الدولة، ثم تنقل في غير ذلك من الخدم ولما مات معز الدولة حسنت حاله عند ولده عز الدولة ورعى له خدمته لأبيه فاستوزره في ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فقال الناس : من الغضارة إلى الوزارة، وستر عيوب كرمه خلع في عشرين يوماً عشرين ألف خلعة، وقال أبو اسحاق الصابيء : رأيته في ليلة يشرب.

كلما لبس خلقعة خلعها على أحد الحاضرين فزادت على مئة فقالت له مغنية: في هذه الخلع زنابير ما تدعك تلبسها فضحك وأمر لها بحقة حلى، ثم أنه قبض عليه لسبب يطور ذكره حاصله أنه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة فالتقيا على الأهواز وكسر عز الدولة وفي ذلك يقول أبو عنان الطبيب بالبصرة :

أقام على الأهواز خمسين ليلة   يدبر أمر الملك حتى تدمرا
فدبر أمراً كان أوله عمى   وأوسطه بلوى وآخره خرى

ولما قبض عليه بمدينة واسط سمل عيني ولزم بيته إلى أن مات عز الدولة، ولما ملك عضد الدولة بغداد طلبه لما كان يبلغه عنه من الأمور القبيحة منها أنه كان يسميه أبا بكر الغددي تشبيهاً له برجل أشقر أنمش يبيع الغدد للسنانير والظاهر أن اعداءه كانوا يفعلون به ذلك ويفتعلونه فلما حضر ألقاه تحت أرجل الفيلة فلما قتلته صلبه بحضرة البيمارستان العضدي ببغداد وذلك يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة وكان عمره قد نيف على الخمسين، ورثاه أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بقصدية لم أر في مصلوب أحسن منها وأولها.

علو في الحياة وفي الممات   بحق أنت إحدى المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا   وفود نداك أيام الصلات
كأنك قايم فيهم خطيباً   وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء   كمدكها إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن   يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا   عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيت ترعى   بحفاظ وحراس ثقات

وكتبها اشاعر المذكور ورمى بها نسخاً في شوارع بغداد فتداولها الأدباء إلى أن وصل خبرها إلى عضد الدولة وأنشدت بين يديه فتمنى أن يكون هو المصلوب دونه وقال علي بهذا الرجل فطلب سنة كاملة واتصل الخبر بالصاحب ابن عباد فكتب له إلى عضد الدولة بالأمان فحضر إليه فقال له

الصاحب أنشدنيها فلما بلغ

ولم أر قبل جذعك قط جذعاً   تمكن من عناق المكرمات

قام إليه وقبل فاه وأنفذه إلى عضد الدولة فقال له ما حملك على رثاء عدوي قال حقوق وجبت وإياد سلفت فجاش الحزن في قلبي فرثيت وكان بين يديه شموع تزهر فقال هل يحضرك شيء في الشموع فأنشد

كان الشموع وقد أظهرت   من النار في كل رأس سنانا

أصابع أعدايك الخايفين   تضرع تطلب منك الأمانا

فخلع عليه واعطاه فرساً وبدرة ولم يزل ابن بقية مصلوباً إلى أن توفى عضد الدولة فأنزل ودفن، فقال ابن الأنباري المذكور يرثيه أيضاً :

لم يلحقوا بك عاراً إذ صلبت بلى   باؤا بأثمك ثم استرجعوا ندما

وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا   وأنهم نصبوا من سودد علما

فاسترجعوك وواروا منك طود على   بدفنه دفنو الأفضال والكرما

لئن بليت فما يبلي نداك ولا   ينسى وكم هالك ينسى إذا عد ما

تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما   ما زال مالك بين الناس مقتسما

القصيدة :

علو في الحياة وفي المماتِ   لحق تلك إحدى المعجزات

كان الناس حولك حين قاموا   وفود نداك أيام الصلات

كأنك قايم فيهم خطيباً   وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم احتفاء   كمدكها إليهم بالهبات

ولما ضاق بطن الأرض عن أن   يضم علاك من بعد الممات

أصاروا الجو قبرك واستنابوا   عن الأكفان ثوب السافيات

لعظمك في النفوس تبيت ترعى بحفاظ وحراس ثقات
وتشعل عندك النيران ليلاً كذلك كنت أيام الحياة
ركب مطية من قبل زيد علاها في السنين الماضيات
ولم أر قبل جذعك قط جذعاً تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوايب فاستثارت فأنت قتيل ثار النايبات
وكنت تجير من صرف الليالي فعاد مطالباً لك بالترات
وصير دهرك الإحسان فيه إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعداً فلما مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك في فؤادي يخفف بالدموع الجاريات
ولو أني قدرت على قيام بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النايحات
وما لك تربة فأقول نسقي لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى برحمات عواد رايحات

- 91 -

وَمـا نَيـلُ المَطالِبِ بِالتَمَنّي
وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا

قائله **أحمد شوقي** (سبق ترجمته)

من قصيدة :

سَلو قَلبي غَداةَ سَلا وَثابا ... لَعَلَّ عَلى الجَمالِ لَهُ عِتابا
وَيُسأَلُ في الحَوادِثِ ذو صَوابٍ ... فَهَل تَرَكَ الجَمالُ لَهُ صَوابا
وَكُنتُ إِذا سَأَلتُ القَلبَ يَوماً ... تَوَلّى الدَمعُ عَن قَلبي الجَوابا
وَلي بَينَ الضُلوعِ دَمٌ وَلَحمٌ ... هُما الواهي الَّذي ثَكِلَ الشَبابا
تَسَرَّبَ في الدُموعِ فَقُلتُ وَلّى ... وَصَفَّقَ في الضُلوعِ فَقُلتُ ثابا
وَلَو خُلِقَت قُلوبٌ مِن حَديدٍ ... لَما حَمَلَت كَما حَمَلَ العَذابا
وَأَحبابٍ سُقيتُ بِهِم سُلافاً ... وَكانَ الوَصلُ مِن قِصَرٍ حَبابا
وَنادَمنا الشَبابَ عَلى بِساطٍ ... مِنَ اللَذاتِ مُختَلِفٍ شَرابا

إلى أن يقول :

وَعَلَّمَنا بِناءَ المَجدِ حَتّى ... أَخَذنا إِمرَةَ الأَرضِ اِغتِصابا
وَما نَيلُ المَطالِبِ بِالتَمَنّي ... وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا
وَما اِستَعصى عَلى قَومٍ مَنالٌ ... إِذا الإِقدامُ كانَ لَهُم رِكابا
تَجَلّى مَولِدُ الهادي وَعَمَّت ... بَشائِرُهُ البَوادي وَالقِصابا
وَأَسدَت لِلبَرِيَّةِ بِنتُ وَهبٍ ... يَداً بَيضاءَ طَوَّقَتِ الرِقابا
لَقَد وَضَعَتهُ وَهّاجاً مُنيراً ... كَما تَلِدُ السَماواتُ الشِهابا

فَقامَ عَلى سَماءِ البَيتِ نوراً يُضيءُ جِبالَ مَكّةَ وَالنِقابا
وَضاعَت يَثرِبُ الفَيحاءُ مِسكاً وَفاحَ القاعُ أَرجاءً وَطابا
أَبا الزَهراءِ قَد جاوَزتُ قَدري بِمَدحِكَ بَيدَ أَنّ لِيَ اِنتِسابا
فَما عَرَفَ البَلاغَةَ ذو بَيانٍ إِذا لَم يَتَّخِذكَ لَهُ كِتابا
مَدَحتُ المالِكينَ فَزِدتُ قَدراً فَحينَ مَدَحتُكَ اِقتَدتُ السَحابا
سَأَلتُ اللَهَ في أَبناءِ ديني فَإِن تَكُنِ الوَسيلَةَ لي أَجابا
وَما لِلمُسلِمينَ سِواكَ حِصنٌ إِذا ما الضَرُّ مَسَّهُمُ وَنابا
كَأَنَّ النَحسَ حينَ جَرى عَلَيهِم أَطارَ بِكُلِّ مَملَكَةٍ غُرابا
وَلَو حَفَظوا سَبيلَكَ كانَ نوراً وَكانَ مِنَ النُحوسِ لَهُم حِجابا
بَنَيتَ لَهُم مِنَ الأَخلاقِ رُكناً فَخانوا الرُكنَ فَانهَدَمَ اِضطِرابا
وَكانَ جَنابُهُم فيها مَهيباً وَلَلأَخلاقِ أَجدَرُ أَن تُهابا
فَلَولاها لَساوى اللَيثُ ذِئباً وَساوى الصارِمُ الماضي قِرابا
فَإِن قُرِنَت مَكارِمُها بِعِلمٍ تَذَلَّلَتِ العُلا بِهِما صِعابا
وَفي هَذا الزَمانِ مَسيحُ عِلمٍ يَرُدُّ عَلى بَني الأُمَمِ الشَبابا

- 92 -

ومَــن لا يــحـبُّ صُـعـودَ الجبـالِ
يَعِـشْ أبَـدَ الـدّهـرِ بَـيْنَ الحُفَـرْ

أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي.

شاعر تونسي في شعره نفحات أندلسية، ولد في قرية الشابية من ضواحي توزر عاصمة الواحات التونسية في الجنوب. قرأ العربية بالمعهد الزيتوني بتونس وتخرج من مدرسة الحقوق التونسية وعلت شهرته. ومات شاباً بمرض الصدر ودفن في روضة الشابي بقريته. له (ديوان شعر) و(كتاب الخيال الشعري عند العرب) و(آثار الشلبي) و(مذكرات).

من قصيدة :

إذا الشّعْبُ يوماً أرادَ الحياةَ   فلا بُدّ أنْ يَسْتَجيبَ القدرْ
ولا بُدّ لـلّيْلِ أنْ ينجلي   ولا بُدّ للقيدِ أن يَنْكَسِرْ
ومَن لم يعانقْهُ شَوْقُ الحياةِ   تَبَخّرَ في جَوّها واندَثَرْ
فويلٌ لمَنْ لم تَشُقْهُ الحياةُ   من صَفْعَةِ العَدَمِ المنتصرْ
كذلك قالتْ ليَ الكائناتُ   وحدّثني روحُها المُستَتِرْ
ودَمْدَمَتِ الرّيحُ بَيْنَ الفجاجِ   وفوقَ الجبالِ وتحتَ الشّجرْ
إذا ما طَمحْتُ إلى غايةٍ   رَكِبتُ المنى ونَسيتُ الحَذرْ
ولم أتجنّبْ وُعورَ الشّعابِ   ولا كُبّةَ اللّهَبِ المُستَعِرْ
ومن لا يحبُّ صُعودَ الجبالِ   يَعِشْ أبَدَ الدّهرِ بَيْنَ الحُفَرْ

إلى أن يقول :

وشفّ الدُّجى عن جمالٍ عميقٍ ... يُشِبُّ الخيالَ ويُذكي الفِكَرْ
ومُدّ على الكونِ سحرٌ غريبٌ ... يُصرّفُهُ ساحرٌ مقتدِرْ
وضاءَتْ شموعُ النُّجُومِ الوِضَاءِ ... وضاعَ البَخُورُ بَخُورُ الزّهَرْ
ورَفْرَفَ روحٌ غريبُ الجمال ... بأَجنحةٍ من ضياءِ القَمَرْ
وَرَنّ نشيدُ الحَيَاةِ المقدّس ... في هيكلٍ حالمٍ قدْ سُحِرْ
وأُعْلِنَ في الكونِ أنّ الطّموحَ ... لهيبُ الحَيَاةِ ورُوحُ الظّفَرْ
إذا طَمَحَتْ للحَياةِ النُّفوسُ ... فلا بُدّ أنْ يستجيبَ القَدَرْ

- 93 -

لا تــقــلْ قــد ذهــبَــتْ أربــابُــهُ

كــلُّ مَــنْ ســارَ عــلى الــدربِ وصــلْ

قائله ابن الوردي

عمر بن مظفر ابن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، الشيخ الإمام الفقيه النحوي الأديب الشاعر الناثر زين الدين أبو حفص بن الوردي المعري الشافعي. أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه. تفنن في علومه، وأجاد في منثوره ومنظومه. شعره أسحر من عيون الغيد، وأبهى من الوجنات ذات التوريد. قام بفن التورية فجاءت معه قاعدة، وخطها في الطروس وهي فوق النجوم صاعدة، يطرب اللبيب لسماعها ولا طرب الصوفي للشبابه، ويعجب الأديب لانطباعها ولا عجب الغواني بما التحف شبابه، ويرغب الأريب لارتجاعها ولا رغبة الروض الذي صوح في صوب السحابة. ويدأب النجيب في اقتطاعها ولا دأب المحب في التمسك بأذيال محبوبه السحابة :

لفظ كـأن مـعـاني السكر تسكنه فـمـن تـحـفـظ بـيـتـاً مـنـه لم يفق

كأنه الروض يبدي منظراً عجباً وإن غدا وهو مبذول على الطرق

وفقهه للطالب روضـه، وللأصحاب الفتاوى قد شرع حوضه. نظم الحاوي وزاده مسائل، وجعله بعد وحشة الأذهـان منه خمائل، وعربيته تلافيها ما أنس غريبها بتلافيها وقربها إلى التعقل بعد تجانفها وتجافيها، وسهل عويصها فلو سمعته الأعرابية ما قالت : «يا أبت أدرك فاهاً غلبني فوها لا طاقة لي بفيها»، إلا أنه مع هذه القدرة وهذا التمكن من فن الأدب، وكونه إذا تصدى للنظم تنسل إليه المعاني من كل حدب، لا يسلم من

الإغارة على من سواه، واغتصاب ما سبقته إليه غيره وما حواه، ولا يعف عما هو لمن تقدمه أو عاصر أو استسلم له أو حاصره. وبهذه الخلة نقص، ولولاها صفق له الزمان ورقص.

ولم يزل في حلب يتولى القضاء في تلك النواحي، وتبكي الغمائم لفراقه وتبتسم لقدومه ثغور الأقاحي، إلى أن ترك الولايات ورفضها، وعاد على أحكامها ونقضها، وأرصد نفسه للإفادة، وتلفع برداء الزهادة، واختص بسيادة العلم وهي السيادة. وتخرج به جماعة وتنبهوا، وحاكوا طريقه وتشبهوا، إلى أن افترس الوردي ورد المنية، وأصبح في حفرة القبر من وراء الثنية.

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب.

القصيدة :

اعـتـزلْ ذكـرَ الأغـاني والـغـزلْ ... وقـلِ الفصـلَ وجـانـبْ مَـنْ هـزلْ
ودعِ الـذكـرى لأيـامِ الـصِّـبـا ... فـلأيـامِ الـصِّـبـا نجـمٌ أفـلْ
إنّ أحـلـى عـيـشـةٍ قضيتُها ... ذهـبـتْ لـذاتُـهـا والإثـمُ حـلْ
واتـركِ الـغـادةَ لا تحـفـلْ بها ... تُمْـسِ في عـزٍّ وتُـرْفَـعْ وتُجَـلْ
والـهَ عـنْ آلـةِ لـهـوٍ أطـربَـتْ ... وعـنِ الأمـردِ مـرتجِّ الكفلْ
إن تبدّى تنكسفْ شمسُ الضّحى ... وإذا مـا مـاسَ يـزري بـالأسـلْ
زادَ إنْ قسـنـاهُ بـالـبـدرِ سنا ... وعـدلـنـاهُ بـغـصـنٍ فـاعـتـدلْ
وافتكرْ في منتهى حسنِ الذي ... أنـتَ تـهـواهُ تجـدْ أمـراً جلَلْ
واتّـقِ اللهَ فـتـقـوى اللهِ ما ... جـاورَتْ قـلـبَ امـرئٍ إلاّ وصلْ
لـيـسَ مَـنْ يـقـطـعُ طـرقـاً بطلاً ... إنمـا مَـنْ يـتّـقِ اللهَ بـطـلْ

واهجرِ الخمرةَ إنْ كنتَ فتىً ... كيفَ يسعى في جنونٍ مَنْ عقلْ
صدِّقِ الشرعَ ولا تركنْ إلى ... رجلٍ يرصدُ بالليلِ زحلْ
حارتِ الأفكارُ في قدرةِ مَنْ ... قدْ هدانا سبلَاً عزَّ وجلْ
كتبَ الموتَ على الخلقِ فكمْ ... فلَّ مِنْ جَمْعٍ وأفنى منْ دُوَلْ
أينَ نمرودُ وكنعانُ ومَنْ ... ملكَ الأمرَ وولّى وعزَلْ
أينَ عادٌ أينَ فرعونُ ومَنْ ... رفعَ الأهرامَ مَنْ يسمعْ يخلْ
أينَ مَنْ سادوا وشادوا وبنوا ... هلكَ الكلُّ ولمْ تغنِ القللْ
أينَ أربابُ الحجا أهلُ النُّهى ... أينَ أهلُ العلمِ والقومُ الأُوَلْ
سيعيدُ اللهُ كلّاً منهمُ ... وسيجزي فاعلاً ما قدْ فعلْ
أيْ بنيَّ اسمعْ وصايا جَمعتْ ... حكماً خُصَّتْ بها خيرُ المللْ
اطلبِ العلمَ ولا تكسلْ فما ... أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكسلْ
واحتفلْ للفقهِ في الدينِ ولا ... تشتغلْ عنهُ بمالٍ أوْ خَوَلْ
واهجرِ النومَ وحصِّلْهُ فَمَنْ ... يعرفِ المطلوبَ يحقرْ ما بذلْ
لا تقلْ قدْ ذهبَتْ أربابُهُ ... كلُّ مَنْ سارَ على الدربِ وصلْ

- 94 -

لا عيب بالقوم من طولٍ ولا عظمٍ
جسم البغال وأحلام العصافير

قائله حسان بن ثابت :

هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام، وأمه الفريعة من الخزرج، وهو جاهلي إسلامي متقدم الإسلام، إلا أنه لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً، لأنه كان جباناً، وكانت له ناصيةٌ يسدلها بين عينيه، وكان يضرب بلسانه روثة أنفه، من طوله، ويقول: ما يسرني به مقول أحد من العرب، والله لو وضعته على شعرٍ لحلقه، أو على صخر لفلقه، وعاش في الجاهلية ستين سنةً وفي الإسلام ستين سنةً، ومات في خلافة معاوية، وعمي في آخر عمره.

قال الأصمعي : الشعر نكدٌ بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسان بن ثابتٍ فحلٌ من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره، وقال مرة أخرى : شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام، لحال النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان حسان يفد على ملوك غسان بالشام، وكان يمدحهم، ومن جيد شعره قوله فيهم :

أَوْلادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ   قَبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضَلِ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ   بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
يُغْشَوْنَ حَتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ   لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ

وابن مارية هو الحرث الأعرج بن أبي شمرٍ الغساني، وكان أثيراً عندهم، ولذلك يقول :

قَـدْ أَرَانــي هُـنَـاكَ حَـق مَـكِـيـنٍ   عِـنْـدَ ذِي الـتَّـاج مَـقْـعَـدِي ومَـكَـاني

ولما سار جبلة بن الأيهم إلى بلاد الروم ورد على ملك الروم رسول معاوية، فسأله جبلة عن حسانٍ، فقال له : شيخٌ كبيرٌ قد عمي، فدفع إليه ألف دينار، وقال : ادفعها إلى حسانٍ، قال : فلما قدمت المدينة ودخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيه حسان بن ثابتٍ، فقلت له: صديقك جبلة يقرأ عليك السلام، قال: فهات ما معك، فقلت : يا أبا الوليد كيف علمت؟ قال : ما جاءتني منه رسالةٌ قط إلا ومعها شيءٌ هذا في بعض الروايات.

قال : وحدثني ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي عن أهل المدينة قال : بعث الغساني إلى حسانٍ بخمس مائة دينارٍ وكسًى، وقال للرسول : إن وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره واشتر بهذه الدنانير إبلاً فانحرها على قبره، فجاء فوجده فأخبره، فقال : لوددت أنك وجدتني ميتاً!

قال بعض أهل المدينة : ما ذكرت بيت حسانٍ إلا عدت في الفتوة، وهو قوله:

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمانِ في فَلَقِ الصُّـ   ـبْـحِ وصَـوْتَ المُـغَـرِّدِ الـغَـرِدِ

وولد لحسانٍ عبد الرحمن، من أخت مارية أم إبرهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تسمى سيرين، وكان عبد الرحمن ابن حسان شاعراً، وكان له ابنٌ يقال له سعيدٌ بن عبد الرحمن.

وكانت لحسانٍ بنتٌ شاعرةٌ، وأرق حسان ذات ليلةٍ فعن له الشعر فقال :

مَتَارِيكُ أَذْنابِ الأُمُورِ إذا اعْتَرَتْ   أَخَذْنا الفُرُوعَ واجْتَثَثْنَا أُصُولَهَا

ثم أجبل فلم يجد شيئاً، فقالت له بنته : كأنك قد أجبلت يا أبه؟!

قال : أجل، قالت : فهل لك أن أجيز عنك؟ قال : وهل عندك ذلك؟

قالت : نعم، قال : فافعلي، فقالت :

مَقَاوِيلُ بالمعروفِ خُرْسٌ عَنِ الخَنَا   كِرامٌ يُعَاطُونَ العَشِيرَةَ سُولَهَا

فحمي الشيخ فقال :

وقافِيَةٍ مِثْلِ السِّنَانِ رُزِئْتُها   تَنَاوَلْتُ من جُوِّ السماءِ نُزُولَهَا

فقالت :

يرَاها الّذي لا يُنْطَقُ الشِعْرُ عِنْدَهُ   ويَعْجِزُ عن أَمثالِها أَنْ يَقُولَهَا

فقال حسان : لا أقول بيت شعرٍ وأنت حية، قالت: أو أومنك؟ قال : وتفعلين؟ قالت : نعم، لا أقول بيت شعرٍ ما دمت حياً. وانقرض ولد حسانٍ فلم يبق له عقبٌ، وقال حسان أو ابنه عبد الرحمن : قلت شعراً لم أقله مثله، وهو :

وإِنّ امْرَءًا أَمْسَى وأَصْبَحَ سالماً   مِنَ النّاسِ إِلاّ ما جَنَى لَسَعِيدُ

والناس يقولون :

فشَرُّكما لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ   وهو عجز بيتٍ لحسان،

قال :

أَتَهْجُوهُ ولَسْتَ له بِنِدٍّ   فشَرُّكما لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

وقال حسان يهجو بني عبد المدان

دعوا التخاجؤ وامشوا مشيةً سجحاً   إنّ الرجالَ ذوو عصبٍ وتذكيرِ

لا بأس بالقومِ من طولٍ ومن قصرٍ   جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ

ثم مدحهم فقال :

وقـد كـنـا نـقـولُ إذا رأيـنـا ... لـذي جـسـمٍ يـعـدُّ وذي لسانِ
كـأنـك أيـهـا المـعـطَى لسـانـاً ... وجـسـمـاً مـن بنـي عـبـدِ المـدانِ

القصيدة :

حار بن كعبٍ ألا أحلام تزجركم ... عنّا وأنتم من الجوف الجماخير
لا عيب بالقوم من طولٍ ولا عظمٍ ... جسم البغال وأحلام العصافير
كـأنّـهـم قـصـبٌ جـوفٌ مكاسره ... مـثـقّـب فـيـه أرواح الأعـاصـيـر
أَلا طِـعـانٌ أَلا فُـرسـانٌ عـادِيَـةٍ ... إِلّا تُجَـشُّـؤُكُم حَـولَ التَنانيرِ
دعوا التّخاجؤ وامشوا مشيةً سجحا ... إنّ الـرجـال أولـو عصبٍ وتذكير
لا ينفع الطّول من نوك القلوب ولا ... يـهـدي الإلـه سبيل المعشر البور
إنّي سأنصر عرضي من سراتكم ... إنّ الحـمـاس نـسـيٌّ غـيـر مذكور
ألـفـى أبـاه وألـفـى جـدّه حبسا ... بمعزلٍ عن معالي المجد والخير

- 95 -

أمــا تــرى الـبـحـر تـعـلـو فـوقـه جـيـفٌ
وتـسـتـقـر بـأقـصـى قـعـره الـدررُ؟

قائله شمس المعالي أبو الحسن قابوس

شمس المعالي صاحب جرجان قابوس بن وشمكير بن زياد الديلمي شمس المعالي، صاحب جرجان وطبرستان، وكان أبوه وشمكير وعمه مرداويج من ملوك الري وأصبهان وتلك النواحي، لأن أول من ملك من الديلم ليلى بن النعمان، فاستولى على نيسابور في أيام نصر بن أحمد الساماني، وقام بعده أسافر بن شيرويه.

وكان مرداويج بن زيار أحد قواده، فخرج عليه فحاربه فظفر به مرداويج فقتله وملك مكانه، وعمل لنفسه سريراً من ذهب فجلس عليه، واشترى عبيداً كثيرة من الأتراك وجعل يقول : أنا سليمان وهؤلاء الشياطين.

وكان فيه ظلم وجبروت، فدخل عليه غلمانه الأتراك فقتلوه في الحمام وولوا عليهم أخاه، وشمكير، فاستولى على جرجان وطبرستان، ودامت الحرب بينه وبين ركن الدولة ابي علي ابن بويه نيفاً وعشرين سنة.

وكب في آخر أيامه فرساً له فعارضه خنزير فشب به الفرس وهو غافل فسقط على دماغه فهلك.

وكتب ابن العميد عن ركن الدولة كتاباً قال فيه :

الحمد لله الذي أغنانا بالوحوش عن الجيوش. وقام بعده ابنه ابو منصور بهستون وشمكير مقامه، وتوفي سنة سبع وستين وثلاثمائة.

وكان عضد الدولة بن بويه زوج ابنة بهستون فنفذ معز الدولة إلى

المطيع وسأله أن ينفذ إليه العهد على جرجان وطبرستان والخلع، ففعل ذلك، ولقبه ظهير الدولة ووصله ما نفذ إليه في جمادى الأولى سنة ستين وثلاثمائة، فزين بلاده للرسول، ونزل عن سريره عند وصول الخلع إليه، ونثر عليه النثار العظيم، ونفذ للمطيع في جواب اللقب ستين ألف دينار عيناً وغير ذلك من الثياب والخيل.

ولما توفي خلف أخاه قابوس بن وشمكير ونفذ إليه الطائع الخلع والعهد على طبرستان وجرجان، ولقبه شمس المعالي.

وكان قابوس فاضلاً أديباً مترسلاً شاعراً ظريفاً، له رسائل بأيدي الناس يتداولونها. وكان بينه وبين الصاحب بن عباد مكاتبات. وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة. وكان فيه عسف وشدة، فسئمه عسكره وتغيروا عليه، وحسنوا لابنه منوجهر حتى قبض عليه وقالوا له: إن لم تقبض أنت عليه وإلا قتلناه، وإذا قتلناه فلا نأمنك على نفوسنا، فتحتاج إلى أن نلحقك به، فوثب عليه وقبضه وسجنه في القلعة، ومنعه من ما يتدثر به في شدة البرد فجعل يصيح أعطوني ولو جل دابة، حتى هلك. وكان حكم على نفسه في النجوم أن منيته على يد ولده، فأبعد ابنه دارا لما كان يراه من عقوقه، وقرب ابنه منوجهر لما رأى من طاعته، وكانت منيته على يد منوجهر.

ثم إن منوجهر قتل قتلته، وكانوا ستة تواطؤوا عليه، فقتل خمسة وهرب السادس إلى خراسان فقبضه محمود بن سبكتكين، وحمله إليه وقال: إنما فعلت هذا لئلا يتجرأ أحد على قتل الملوك فقتل الآخر.

ثم مات منوجهر سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فقام ابنه أنوشروان بن منوجهر مقامه.

وتوفي أنوشروان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، ثم ولي ابنه حسان بن أنوشروان. ومن شعر قابوس :

خطرت ذكرك تستثير صبابتي — فأحسن منها في الفؤاد دبيبا
لا عضو لي إلا وفيه صبابةٌ — فكأن أغصاني خلقن قلوبا

ومنه :

بالله لا تنهضي يا دولة السفل — وقصري فضل ما أرخيت من طول
أسرفت فاقتصدي جاوزت فانصري — عن التهور ثم امشي على مهل
مخدمون ولم تخدم أوائلهم — مخولون وكانوا أرذل الخول

وكان قد تمت عليه نكبة أخرجته من مقر عزه وموطن ملكه، فشتتته عن الأوطان وألحقته بخراسان، فأقام بها برهة من الزمان إلى أن أسفر صبحه، وفاز بعد الخيبة قدحه، وتحرج الزمان من جوره عليه فرد ملكه إليه، فقال في تلك الحال :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا — هل عاند الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تطفو فوقه جيفٌ — ويستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا — فطالما كان من أشياعنا الظفر
ففي السماء نجومٌ غير ذي عددٍ — وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وكتب إلى عضد الدولة وقد أهدى له سبعة أقلام:

قد بعثنا إليك سبعة أقلا — مٍ لها في البهاء حظ عظيم
مرهفاتٍ كأن ألسن الحيا — ت قد جاز حدها التقويم
وتفاءلت أن ستحوي الأقاليـ — ـم بها كل واحدٍ إقليم

وقال هو في خموله :

لئن زال أملاكي وفاتت ذخائري — وأصبح جمعي في ضمان التفرق
فقد بقيت لي همةٌ ما وراءها — منالٌ لراجٍ أو بلوغ لمرتقى

ولي نفسٌ حر تأنف الضيم مركباً وتكره ورد المنهل المتدفق
فإن تلفت نفسي فلله درها وإن بلغت ما أرتجيه فأخلق
ومن لم يردني والمسالك جمةٌ فأي طريقٍ شاء فليتطرق

ولما طالت مدة قابوس ولم ير عند السامانية ناصراً، قصد أطراف بلاده فتجمعت إليه الجيوش وعاد إلى بلاده، وقاتل المستولي عليها حتى عاد إلى سرير ملكه بعد ثمان عشرة سنة.

وقال الصاحب بن عباد يهجوه :

قد قبس القابسات قابوس ونجمه في السماء منحوس
وكيف يرجى الفلاح من رجلٍ يكون في آخر اسمه بوس

فأجابه قابوس عن ذلك :

من رام أن يهجو أبا قاسمٍ فقد هجا كل بني آدم
لأنه صور من مضغةٍ تجمعت من نطف العالم

وكان موته في قلعة جناشك، وحمل تابوته إلى جرجان، ودفن في مشهد كان قد بناه لنفسه، وأنفق عليه الأموال العظيمة، وبالغ في تحسينه وتحصينه. وكان خط قابوس غاية في الحسن، وكان إذا رآه قال : هذا خط قابوس، أو جناح طاووس.

القصيدة :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا: هل حارب الدهر إلاّ من له خطرٌ؟
أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ وتستقر بأقصى قعره الدررُ؟
فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا ونالنا من تمادي بؤسه ضررُ
ففي السماء نجوم مالها عددٌ وليس يكسف إلاّ الشمس والقمرُ

- 96 -

نَعِيبُ زمانَنا والعيبُ فينا
وما لزماننا عيبٌ سوانا

قائله **الشافعيّ** (سبق ترجمته)

من قصيدة :

نَعِيبُ زمانَنا والعيبُ فينا — وما لزماننا عيبٌ سوانا
وقد نهجُو الزمانَ بغير جُرْم — ولو نطق الزمانُ بنا هجانا
فدُنْيانا التصنُّعُ والترائيّ — ونحن به نُخادع من يرانا
وليس الذئبُ يأكل لحمَ ذئبٍ — ويأكلُ بعضُنا بعضاً عِيانا

- 97 -

أَمــوالُـنــا لِــذَوي المــيراثِ نَجـمَـعُـهـا

وَدورُنــــــا لِخَــــرابِ الــدَهــرِ نَبـنـيـهـا

قائله **علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي بن أبي طالب**

علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن. أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي وصهره.

ولد بمكة وربي في حجر النبي ولم يفارقه وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد وقد ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة (35هـ).

فقام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان فتريث ولم يتعجل في الأمر فغضبت عائشة ومعها جمع كبير في مقدمتهم طلحة والزبير فقاتلت علياً في وقعة الجمل سنة (36هـ) وظفر علي فيها بعد أن بلغ عدد القتلى من الفريقين نحو (10,000).

ثم كانت وقعة صفين سنة (37هـ) وسببها أن علياً عزل معاوية بن أبي سفيان عن ولاية الشام يوم تسلم الخلافة فعصاه معاوية فاقتتلا مائة وعشرة أيام قتل فيها من الفريقين نحو (70,000).

ثم كانت وقعة النهروان بين علي ومن سخط عليه حين رضي بتحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص بينه وبين معاوية (38هـ) فتمكن الإمام علي منهم وقتلوا جميعاً وكان عددهم نحو (1800).

وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم غيلة واختلف في مكان قبره فقيل بالنجف وقيل بالكوفة وقيل في بلاد طيء.

القصيدة :

النَفسُ تَبكي عَلى الدُنيا وَقَد عَلِمَت   إِنَّ السَلامَةَ فيها تَركُ ما فيها
لا دارَ لِلمَرءِ بَعدَ المَوتِ يَسكُنُها   إِلّا الَّتي كانَ قَبلَ المَوتِ بانيها
فَإِن بَناها بِخَيرٍ طابَ مَسكَنُها   وَإِن بَناها بَشَرٍّ خابَ بانيها
أَينَ المُلوكُ الَّتي كانَت مُسَلطَنَةً   حَتّى سَقاها بِكَأسِ المَوتِ ساقيها
أَموالُنا لِذَوي الميراثِ نَجمَعُها   وَدورُنا لِخَرابِ الدَهرِ نَبنيها
كَم مِن مَدائِنَ فِي الآفاقِ قَد بُنِيَت   أَمسَت خَراباً وَدانَ المَوتُ دانيها
لِكُلِّ نَفسٍ وَإِن كانَت عَلى وَجَلٍ   مِنَ المَنِيَّةِ آمالٌ تُقَوّيها
فَالمَرءُ يَبسُطُها وَالدَهرُ يَقبُضُها   وَالنَفسُ تَنشُرُها وَالمَوتُ يَطويها

- 98 -

أجـــارتـــنـــا إن الخـــطـــوب تـــنـــوب
وانـي مـقـيـم مـــا أقـــام عـسـيـب

قائله امرؤ القيس

هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد، من الطبقة الأولى. وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد.

قال لبيد بن ربيعة : أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس. وملك حجرٌ على بني أسد، فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً، فامتنعوا منه، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى، فسموا عبيد العصا وأسر منهم طائفةً، فيهم عبيد بن الأبرص، فقام بين يدي الملك فقال :

يا عينِ ما فابكي بَني ... أَسَدٍ هُمُ أَهلُ النَّدامَه
أَهلَ القِبابِ الحُمْرِ وال ... نَّعَمِ المُؤَبَّلِ والمُدامَةْ
مَهلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ مَهْلاً ... إنَّ فيما قُلْتَ آمَةْ
في كُلِّ وادٍ بَيْنَ يَثْ ... رِبَ والقُصُورِ إلى اليمَامَةْ
تَطْرِيبُ عانٍ أَوْ صِيَا ... حُ مُحَرَّقٍ وزُقَاءُ هامَةْ
أَنْتَ المَلِيكُ عليهِمُ ... وهُمُ العَبِيدُ إلى القِيَامَةْ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردهم إلى بلادهم، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة، تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي، فقال : يا عباد قالوا : لبيك ربنا! فقال : والغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يقلق رأسه الصخب، هذا دمعه يثعب وهو غداً أول من يسلب، قالوا : من هو ربنا؟ قال: لولا تجيش نفسٌ جايشه أنباتكم أنه حجر ضاحيه.

فركبت بنو أسد كل صعبٍ وذلول، فما أشرق لهم الضحى حتى انتهوا إلى حجر، فوجدوه نائماً فذبحوه وشدوا على هجائنه فاستاقوها.

وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع، وكان له عاشقا، فطلبها زماناً فلم يصل إليها، وكان يطلب منها غرةً، حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان فقال :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيب ومَنْزِلِ

فلما بلغ ذلك حجراً أباه دعا مولًى له يقال له ربيعة، فقال له: اقتل امرأ القيس وأتني بعينيه، فذبح جؤذراً فأتاه بعينيه، فندم حجر على ذلك، فقال: أبيت اللعن! إني لم أقتله، قال :

فأتني به، فانطلق فإذا هو قد قال شعراً في رأس جبلٍ، وهو قوله :

فلا تَتْرُكَنّي يا رَبيعَ لِهذِهِ ... وكُنْتُ أَراني قَبْلَها بِكَ واثِقاً

فرده إلى أبيه، فنهاه عن قول الشعر، ثم إنه قال :

أَلاَ انْعَمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالي

فبلغ ذلك أباه فطرده، فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون، فقال :

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونْ ... دَمُّونُ إِنّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ

وإنَّنَا لأَهْلِنَا مُحِبُّونْ

ثم قال : ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمرٌ، وغداً أمرٌ، ثم قال :

خَلِيلَيَّ ما في اليوم مَصْحًى لشارِبٍ ... ولا في غَدٍ إِذْ كان ما كان مَشْرَبُ

ثم آلى لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه، فلما كان الليل لاح له برقٌ فقال :

أَرِقْـتُ لِـبَرْقٍ بِلَيْلٍ أَهَلّ … يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الجَبَلْ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ … أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ

ثم استجاش بكر بن وائل، فسار إليهم وقد لجؤوا إلى كنانة، فأوقع بهم، ونجت بنو كاهل من بني أسد، فقال :

يا لَهْفَ نَفْسِي إِذْ خَطِئْنَ كاهِلاَ … القاتِلِينَ المَلِكَ الحُلاَحِلا
تَاللَّهِ لا يَذهَبُ شَيْخِي باطِلا

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم، فتأبى عليه ذلك الشعراء قال عبيد :

يا ذا المُخَوِّفُنَا بِقَتْـ … ـلِ أَبِيهِ إِذْلاَلاً وحَيْنَا
أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْـ … ـتَ سَرَاتَنَا كَذِباً ومَيْنَا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر، حتى خرج إلى قيصر، فدخل معه الحمام، فإذا قيصر أقلف، فقال :

إنّي حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ كاذِبَةٍ … أَنَّكَ أَقْلَفُ إلاّ ما جَنَى القَمَرُ
إِذَا طَعَنْتَ به مالَتْ عِمَامَتُهُ … كَمَا تَجَمَّعَ تَحْتَ الفَلْكَةِ الوَبَرُ

ونظرت إليه ابنة قيصر فعشقته، فكان يأتيها وتأتيه وطبن الطماح ابن قيسٍ الأسدي لهما، وكان حجرٌ قتل أباه، فوشى به إلى الملك، فخرج امرؤ القيس متسرعاً، فبعث قيصر في طلبه رسولاً، فأدركه دون أنقرة بيوم، ومعه حلةٌ مسمومة، فلبسها في يوم صائفٍ، فتناثر لحمه وتفطر جسده، وكان يحمله جابر بن حنيٍّ التغلبي، فذلك قوله :

فَـإِمّـا تَـرَيْنِـي في رِحَـالَـةِ جابِرٍ على حَـرَجٍ كالقَرّ تَخْفِقُ أَكْفَاني
فَـيَـارُبَّ مَـكْـرُوبٍ كَـرَرْتُ وَرَاءَهُ وعـانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عنه ففدّاني
إِذَا المَـرْءُ لم يَخْـزُنْ عليه لِسَانَهُ فلَيْسَ على شَـيْءٍ سِـوَاهُ بِخَـزّانِ

وقال حين حضرته الوفاة :

وطَـعْـنَـةٍ مُـسْـتَحَـنْفِـرَهْ وجَـفْـنَـةٍ مُـثْعَنْجِـرَهْ تَبْقَـى غَـداً بـأَنـقِـرَهْ

قال ابن الكلبي : هذا آخر شيء تكلم به، ثم مات.

قال أبو عبد الله الجمحي: كان امرؤ القيس ممن يتعهر في شعره، وذلك قوله :

فـمِـثْـلِـكَ حُـبْـلَـى قَـدْ طَـرَقْـتُ ومُـرْضِـعٍ

وقال :

سَـمَـوْتُ إِلَـيْـهَـا بَـعْـدَ مـا نـامَ أَهْـلُـهَـا

وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته عليها الشعراء، من استيقافه صحبه في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ. ويستجاد من تشبيهه قوله :

كـأَنّ قُلُوبَ الطّيْرِ رَطْباً ويابِساً لَدَى وَكْرِهَا العُنّابُ والحَشَفُ البالي

وقوله :

كـأَنّ عُيُونَ الوَحْشِ حَـوْلَ قِبَابِنَا وأَرْحُلِنَـا الجَـزْعُ الّـذي لم يُثَقّبِ

وقوله :

كـأَني غَـدَاةَ البَـيـنِ لَمّـا تَحَـمّـلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيّ ناقِفُ حَنْظَلِ

وقد أجاد في صفة الفرس :

مِـكَـرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقْـبِـلٍ مُـدْبِـرٍ مَعاً　　كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

لَـهُ أَيْـطَـلاَ ظَـبْـيٍ وسـاقَـا نَعَامَةٍ　　وإرْخَـاءُ سِـرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

توجه امرؤ القيس إلى قيصر ليستنصره على بني أسد قاتلي أبيه، فلما أوغل في بلاد الروم وصاحبه وهو الذي قال فيه :

بكى صاحبي لما رأى الحرب دونه وهو عمرو بن قميئة، فلما وصل إلى قيصر قرب مجلسه وأدناه وكان جميل الوجه، وكانت لقيصر بنت جميلة فرأته فراسلته وفيها يقول : فقالت سباك الله إنك فاضحي

فكساه قيصر حلة مسمومة فلما لبسها سقط بدنه حتى كان يحمل في محفة، ثم نزل إلى جنب جبل وإلى ناحية منه قبر فسأل عنه فقيل هو قبر ابنة لقيصر ملك الروم، قال : فما جاء بها إلى هاهنا؟ فقيل له : إنها ترهبت في دير لها فماتت بحيث يرى الملك ذلك، فقال :

أجـارتـنـا إن الخـطـوب تنوب　　وإني مـقـيـم مـا أقـام عسيب

أجـارتـنـا إنـا غـريـبـان هاهنا　　وكـل غـريـب لـلـغـريـب نسيب

فـإن تصـلـيـنـا فـالمودة بيننا　　وإن تهجرينا فالغريب غريب

أجـارتـنـا مـا فـات لـيـس بـآيـب　　ومـا هـو آت في الـزمـان قريب

ولـيـس غـريـبـاً مـن تـنـاءت ديـاره　　ولـكـن مـن زار الـتـراب غريب

فلما أيقن بالموت قال كم طعنة مثعنجرة وخطبة مسحنفرة وجفنة مدعثرة، قد غودرت بأنقرة

- 99 -

وَإن أَلْـقَـاكَ فَـهـمُـكَ فِي مَـهَـاوٍ
فَـلَـيـتَـكَ ثُـمَّ لَـيـتَـكَ مـا فَـهِـمـتـا

قائله أبو اسحاق الأبيري

إبراهيم بن مسعود بن سعد التُجيبي الإلبيري أبو إسحاق

شاعر أندلسي، أصله من أهل حصن العقاب، اشتهر بغرناطة وأنكر على ملكها استوزاره ابن نَغْزِلّة اليهودي فنفي إلى إلبيرة وقال في ذلك شعراً فثارت صنهاجة على اليهودي وقتلوه.

شعره كله في الحكم والمواعظ، أشهر شعره قصيدته في تحريض صنهاجة على ابن نغزلة اليهودي ومطلعها (ألا قل لصنهاجة أجمعين).

القصيدة :

تـفـت فـؤادك الأيـام فتا ... وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتـدعـوك المـنـون دعـاء صدق ... ألا يـا صـاح أنـت أريـد أنـتـا
أراك تحب عرسـا ذات غدر ... أبـت طـلاقـهـا الأكـيـاس بتا
تـنـام الـدهـر ويحك في غطيط ... بـهـا حـتـى إذا مـت انتبهتا
فـكـم ذا أنـت مخـدوع وحتى ... مـتـى لا تـرعـوي عـنـهـا وحتى
أبـا بـكـر دعـوتـك لـو أجبتا ... إلى مـا فـيـه حظك إن عقلتا
إلى عـلـم تـكـون بـه إمـامـا ... مـطـاعـا إن نـهـيـت وإن أمـرتـا
وتجـلـو مـا بعينك مـن عشاها ... وتـهـديـك الـسـبـيـل إذا ضللتا
وتحـمـل مـنـه في نـاديـك تـاجـا ... ويكسوك الجمال إذا اغتربتا
يـنـالـك نـفـعـه مـا دمـت حيا ... ويـبـقـى ذخـره لـك إن ذهبتا

هو الغضب المهند ليس ينبو   تصيب به مقاتل من ضربتا
وكنز لا تخاف عليه لصا   خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
يزيد بكثرة الإنفاق منه   وينقص أن به كفا شددتا
فلو قد ذقت من حلواه طعما   لآثرت العلم التعلم واجتهدتا
ولم يشغلك عنه هوى مطاع   ولا دنيا بزخرفها فتنتا
ولا ألهاك عنه أنيق روض   ولا خدر بربربه كلفتا
فقوت الروح أرواح المعاني   فإن أعطاكه الله اخذتا
وإن أوتيت فيه طويل باع   وقال الناس إنك قد شبقتا
فلا تأمن سؤال الله عنه   بتوبيخ علمت فهل عملتا
فرأس العلم تقوى الله حقا   وليس بأن يقال لقد رأستا
وضافي ثوبك الإحسان لا أن   ترى ثوب الإساءة قد لبستا
إذا ما لم يفدك العلم خيرا   فخير منه أن لو قد جهلتا
وإن ألقاك فهمك في مهاو   فليتك ثم ليتك ما فهمتا
ستجنى من ثمار العجز جهلا   وتصغر في العيون إذا كبرنا
وتفقد إن جهلت وأنت باق   وتواجد إن علمت وقد فقدت

إلى أن يقول :

جَمَعتُ لَكَ النّصائحَ فَامتَثِلها   حَياتَكَ فَهيَ أَفضَلُ ما امتُثِلتا
وَطَوّلتُ العِتابَ وَزِدتُ فيهِ   لأَنّكَ في البَطالَةِ قَد أَطَلتا
فَلا تَأخُذ بِتَقصيري وَسَهوي   وَخُذ بِوَصِيَّتي لَكَ إن رَشَدتا
وَقَد أَردَفتُها سِتّاً حِساناً   وَكانَت قَبلَ ذا مِئَةً وَسِتّا

- 100 -

بيضٌ صَنائِعُنا سودٌ وَقائِعُنا
خُضرٌ مَرابِعُنا حُمرٌ مَواضينا

قائله **صفي الدين الحلي** (سبق ترجمته)

القصيدة :

سَلي الرِماحَ العَوالي عَن مَعالينا ... وَاستَشهِدي البيضَ هَل خابَ الرَجا فينا
وَسائِلي العُربَ وَالأَتراكَ ما فَعَلَت ... في أَرضِ قَبرِ عُبَيدِ اللَهِ أَيدينا
لَمّا سَعَينا فَما رَقَّت عَزائِمُنا ... عَمّا نَرومُ وَلا خابَت مَساعينا
يا يَومَ وَقعَةِ زَوراءِ العِراقِ وَقَد ... دِنّا الأَعادي كَما كانوا يَدينونا
بِضُمَّرٍ ما رَبَطناها مُسَوَّمَةً ... إِلّا لِنَغزو بِها مَن باتَ يَغزونا
وَفِتيَةٍ إِن نَقُل أَصغَوا مَسامِعَهُم ... لِقَولِنا أَو دَعَوناهُم أَجابونا
قَومٌ إِذا استُخصِموا كانوا فَراعِنَةً ... يَوماً وَإِن حُكِّموا كانوا مَوازينا
تَدَرَّعوا العَقلَ جِلباباً فَإِن حَمِيَت ... نارُ الوَغى خِلتَهُم فيها مَجانينا
إِذا ادَّعَوا جاءَتِ الدُنيا مُصَدِّقَةً ... وَإِن دَعَوا قالَتِ الأَيّامُ آمينا
إِنَّ الزَرازيرَ لَمّا قامَ قائِمُها ... تَوَهَّمَت أَنَّها صارَت شَواهينا
ظَنَّت تَأَنّي البُزاةِ الشُهبِ عَن جَزَعٍ ... وَما دَرَت أَنَّهُ قَد كانَ تَهوينا
بَيادِقٌ ظَفِرَت أَيدي الرِخاخِ بِها ... وَلَو تَرَكناهُمُ صادوا فَرازينا
ذَلّوا بِأَسيافِنا طولَ الزَمانِ فَمُذ ... تَحَكَّموا أَظهَروا أَحقادَهُم فينا
لَم يُغنِهِم مالُنا عَن نَهبِ أَنفُسِنا ... كَأَنَّهُم في أَمانٍ مِن تَقاضينا
أَخلوا المَساجِدَ مِن أَشياخِنا وَبَغَوا ... حَتّى حَمَلنا فَأَخلَينا الدَواوينا

ثُمّ انثَنَينا وَقَد ظَلّت صَوارِمُنا تَميسُ عُجباً وَيَهتَزُّ القَنا لينا
وَلِلدِماءِ عَلى أثوابِنا عَلَقٌ بِنَشرِهِ عَن عَبيرِ المِسكِ يُغنينا
فَيا لَها دَعوَةٌ في الأَرضِ سائِرَةٌ قَد أَصبَحَت في فَمِ الأَيّامِ تَلقينا
إِنّا لَقَومٌ أَبَت أَخلاقُنا شَرَفاً أَن نَبتَدي بِالأَذى مَن لَيسَ يُؤذينا
بيضٌ صَنائِعُنا سودٌ وَقائِعُنا خُضرٌ مَرابِعُنا حُمرٌ مَواضينا

إلى أن يقول :

كَم مِن عَدُوٍّ لَنا أَمسى بِسَطوَتِهِ يُبدي الخُضوعَ لَنا خَتلاً وَتَسكينا
كَالصِلِّ يُظهِرُ ليناً عِندَ مَلمَسِهِ حَتّى يُصادِفَ في الأَعضاءِ تَمكينا
يَطوي لَنا الغَدرَ في نُصحٍ يُشيرُ بِهِ وَيَمزُجُ السُمَّ في شَهدٍ وَيَسقينا
لَكِن تَرَكناهُ إِذ بِتنا عَلى ثِقَةٍ إِنَّ الأَميرَ يُكافيهِ فَيَكفينا

- 101 -

أَنَّ الزَّمانَ الَّذي ما زالَ يُضحِكُنا
أُنساً بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا

قائلها ابن زيدون

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور؛ قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه : كان أبو الوليد غاية منثور ومنظوم، وخاتمة شعراء بني مخزوم. أخذ من حر الأيام حراً، وفاق الأنام طراً، وصرف السلطان نفعاً وضراً، ووسع البيان نظماً ونثراً. إلى اديب ليس للبحر تدفقه، ولا للبدر تألقه. وشعر ليس للسحر بيانه، ولا للنجوم الزهر اقترانه.

وحظ من النثر غريب المباني، شعري الألفاظ والمعاني. وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، وبرع أدبه، وجاد شعره، وعلا شأنه، وانطلق لسانه. ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتضد عباد صاحب إشبيلية في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، فجعله من خواصه: يجالسه في خلواته، ويركن إلى إشاراته. وكان معه في صورة وزير. وذكر له شيئاً كثيراً من الرسائل والنظم، فمن ذلك قوله :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع ... سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع
يا بائعاً حظه مني، ولو بذلت ... لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك أنك إن حملت قلبي ما ... لا تستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن ... وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

ومن شعره أيضاً :

ودع الصبر محب ودعك ... ذائع من سرع ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن ... زاد في تلك الخطا إذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا ... حفظ الله زماناً أطلعك
إن يطل بعدك ليلي فلكم ... بت أشكو قصر الليل معك

ومن بديع قلائده قصيدته النونية التي منها :

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لبعدك أيامنا فغدت ... سودا وكانت بكم بيضاً ليالينا
بالأمس كنا وما يخشى تفرقنا ... واليوم نحن وما يرجى تلاقينا

وهي طويلة، وكل أبياتها نخب.

وكانت وفاته في صدر رجب سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة إشبيلية، رحمه الله تعالى، ودفن بها. القصيدة التي قالها يتشوق ابنة المهدي ولادة وهي بقرطبة وهو بأشبيلية :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا ... ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ حصرنا غصون الأنس دانية ... قطوفها فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا
من مبلغ ملبسينا بانتزاحهم ... حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا

أن الزمان الذي ما زال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا!
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر: آمينا
فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا وانبت ما كان موصولاً بأيدينا
وقد نكون وما يخشى تفرقنا فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا
ما حقنا أن تقروا عين ذي حسد بنا ولا أن تسروا كاشحاً فينا
يا ليت شعري ولم نعتب أعاديكم هل نال حظاً من العتبى أعادينا
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم رأياً ولم نتقلد غيره دينا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه وقد يئسنا فما لليأس يغرينا؟
يا ساري البرق غاد القصر فاسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسأل هنالك هل عيني تذكرني إلفاً تذكره أمسى يعنينا؟
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حياً كان يحيينا
من لا يرى الدهر يقضينا مساعفة فيه وإن لم يكن عنا يقاضينا
وبيت ملك كأن الله أنشأه مسكاً وقد أنشأ الله الورى طينا
أو صاغه ورقاً محضاً وتوجه من ناصع التبر إبداعاً وتحسينا
إذا تأود آدته رفاهية تدمي العقول وأدمته البرى لينا
كأنما نبتت في صحن وجنته زهر الكواكب تعويذاً وتزيينا
ما ضر أن لم نكن أكفاءه شرفاً وفي المودة كان من تكافينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا إذ طال ما غير النأي المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ولا استفدنا خليلاً عنك يشغلنا ولا اتخذنا بديلاً منك يسلينا
يا روضة طال ما أجنت لواحظنا ورداً جناه الصبا غضاً ونسرينا

ويـا حـيـاة تمـلأنـا بـزهـرتـهـا   منـى ضـروبـاً ولـذات أفانينا
ويا نعيماً حضرنا من غضارته   في وشي نعمى سحبنا ذيلها حينا
لسنا نسميك إجـلالاً وتكرمة   فقدرك المعتلي عن ذلك يغنينا
إذ انفردت فما شوركت في صفة   فحسبك الوصف إيضاحاً وتبيينا
يا جنة الخلد أبدلنا بسلسلها   والكوثر العذب زقوماً وغسلينا
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا   والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا   حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت   عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سوراً   مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي   مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
أمـا هـواك فلم نعدل بمنهله   شرباً وإن كان يروينا فيظمينا
لم يخف أفق جمال أنت كوكبه   سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختياراً تجنبناك عن كثب   لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك إذا حثت مشعشعة   فيها الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤوس الراح تبدي من شمائلنا   سيما ارتياح ولا الأوتار تلهينا
دومي على العهد ما دمنا محافظة   فالحر من دان إنصافاً كما دينا
فما ابتغينا خليلاً منك يحبسنا   ولا استفدنا حبيباً عنك يغنينا
ولو صبا نحونا من علو مطلعه   بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
أولي وفاء وإن لم تبذلي صلة   فالذكر يقنعنا والطيف يكفينا
وفي الجواب قناع لو شفعت به   بيض الأيادي التي ما زلت تولينا
عليك مني سلام الله ما بقيت   صبابة منك تخفيها فتخفينا

- 102 -

هي الأيامُ كما شاهدتها دُوَلٌ
مَن سَرَّهُ زَمنٌ ساءَتهُ أزمانُ

قائلها **أبو البقاء الرندي صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي،** أبو البقاء. وتختلف كنيته بين أبي البقاء وأبي الطيب وهو مشهور في المشرق بأبي البقاء.

وهو أديب شاعر ناقد قضى معظم أيامه في مدينة رندة واتصل ببلاط بني نصر (ابن الأحمر) في غرناطة.

وكان يفد عليهم ويمدحهم وينال جوائزهم وكان يفيد من مجالس علمائها ومن الاختلاط بأدبائها كما كان ينشدهم من شعره أيضاً.

وقال عنه عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة كان خاتمة الأدباء في الأندلس بارع التصرف في منظوم الكلام ونثره فقيهاً حافظاً فرضياً له مقامات بديعة في أغراض شتى وكلامه نظماً ونثراً مدون.

القصيدة في رثاء الأندلس

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ — فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأيامُ كما شاهدتها دُوَلٌ — مَن سَرَّهُ زَمنٌ ساءَتهُ أزمانُ
وهذه الدار لا تُبقي على أحد — ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمزق الدهر حتمًا كل سابغة — إذا نبت مشرفيّاتٌ وخُرصانُ
وينتضي كلّ سيف للفناء ولوْ — كان ابنَ ذي يزَن والغمدَ غُمدان
أين الملوك ذَوو التيجان من — يمنٍ وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ؟
وأين ما شاده شدّادُ في إرمٍ — وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ؟

وأيـن مـا حـازه قـارون مـن ذهب ... وأيـن عـادٌ وشـدادٌ وقحطـانُ ؟
أتـى علـى الكُل أمـر لا مَـرد له ... حتى قَضَوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك ... كما حكى عن خيال الطّيفِ وسْنانُ
دارَ الزّمانُ على (دارا) وقاتِله ... وأمّ كسرى فما آواه إيوانُ
كأنما الصّعب لم يسْهُل له ... سببٌ يومًا ولا مَلكَ الدُنيا سُليمانُ
فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنوّعة ... وللزمان مسرّاتٌ وأحزانُ
وللحوادث سُلوان يسهلها ... وما لما حلّ بالإسلام سُلوانُ
دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاءَ ... له هوى له أُحدٌ وانهدّ ثهلانُ
أصابها العينُ في الإسلام فامتحنتْ ... حتى خَلت منه أقطارٌ وبُلدانُ
فاسأل (بلنسيةً) ما شأنُ (مُرسيةٌ) ... وأينَ (شاطبةٌ) أمْ أينَ (جَيّانُ)
وأين (قُرطبة) دارُ العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شانُ
وأين (حمص) وما تحويه من ... نزهٍ ونهرُها العَذبُ فياضٌ وملآنُ
قواعدٌ كنّ أركانَ البلاد فما ... عسى البقاءُ إذا لم تبقَ أركانُ
تبكي الحنيفيةَ البيضاءُ من ا ... ؛أسفٍ كما بكى لفراق الإلفِ هيمانُ
على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عُمرانُ
حيث المساجد قد صارت كنائسَ ... ما فيهنّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ ... حتى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ
يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ ... إن كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ
وماشيًا مرحًا يلهيه موطنهُ ... أبعد حمصٍ تَغرُّ المرءَ أوطانُ ؟
تلك المصيبةُ أنستْ ما تقدمها ... وما لها مع طولَ الدهرِ نسيانُ
يا راكبين عتاق الخيلِ ضامرةً ... كأنها في مجال السبقِ عقبانُ

وحاملين سيُوفَ الهندِ مرهفةً ... كأنها في ظلام النقع نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ فقد ... سرى بحديثِ القوم رُكبانُ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان؟
ماذا التقاُطع في الإسلام بينكمُ ... وأنتمْ يا عبادَ الله إخوانٌ؟
ألا نفوسٌ أبياتٌ لها هممٌ أما ... على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ
يا من لذلةِ قوم بعدَ عزّهمُ ... أحال حالهمْ جورٌ وطُغيانُ
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم ... واليومَ هم في بلاد الكفرِ عُبدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهمْ ... عليهمُ من ثيابِ الذلِ ألوانُ
ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعهمُ ... لهالكَ الأمرُ واستهوتكَ أحزانُ
يا ربّ أمّ وطفلٍ حيلَ بينهما ... كما تفرقَ أرواحٌ وأبدانُ
وطفلةٌ مثل حسنِ الشمسِ إذ ... طلعت كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ
يقودُها العلجُ للمكروه مكرهةً ... والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ
لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدٍ ... إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

- 103 -

عُيونُ المَهابَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ
جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري

قائله علي بن الجهم

أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرار بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن قطن بن مدلج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة ابن لؤي بن غالب القرشي السامي الشاعر المشهور؛ أحد الشعراء المجيدين، هكذا ساق الخطيب في «تاريخ بغداد» نسبه في ترجمة والده الجهم، وذكره أيضاً في ترجمة مفردة، فقال : له ديوان شعر مشهور، وكان جيد الشعر عالماً بفنونه، وله اختصاصٌ بجعفر المتوكل، وكان متديناً فاضلاً؛ انتهى كلامه.

وكان ـ مع انحرافه عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وإظهاره التسنن ـ مطبوعاً مقتدراً على الشعر عذب الألفاظ. وكان من ناقلة خراسان إلى العراق ثم نفاه المتوكل إلى خراسان في سنة اثنتين وثلاثين، وقيل تسع وثلاثين ومائتين، لأنه هجا المتوكل، وكتب إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أنه إذا ورد عليه صلبه يوماً، فوصل إلى شاذياخ نيسابور، فحبسه طاهر ثم أخرجه فصلبه مجرداً نهاراً كاملاً، فقال في ذلك :

لم ينصبوا بالشاذياخ صبيحة ال　　إثنين مسبوقاً ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم　　شرفاً وملء صدورهم تبجيلا

وهي أبيات كثيرة مشهورة، ثم رجع إلى العراق ثم خرج إلى الشام، وبعد ذلك ورد على المستعين كتاب من صاحب البريد بحلب أن علي بن الجهم خرج من حلب متوجهاً إلى العراق، فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من بين كلب، فقاتلهم قتالاً شديداً، ولحقه الناس وهو جريح بأخر رمق، فكان مما قال :

أزيـــــد في الـلـيـل لـيـل ... أم ســال بـالـصـبـح سيل
ذكــــرت أهــــل دجـيــل ... وأيــــــن مـــنـــي دجـيــل

وكان منزله ببغداد في شارع الدجيل، وكان ورود الكتاب في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين، وتوفي في وقته، ولما نزعت ثيابه بعد موته وجدت فيها رقعة وقد كتب فيها :

يا رحمتا للغريب في البلد الن ... ازح مــاذا بـنـفـسـه صـنـعـا
فــارق أحـبـابـه فـمـا انـتـفـعـوا ... بـالـعـيـش مـن بـعـده ولا انتفعا

وكانت بينه وبين أبي تمام مودة أكيدة، وإليه كتب أبو تمام الأبيات التي يودعه فيها التي أولها :

هي فرقة من صاحب لك ماجد ... فـغـداً إراقــة كـل دمـع جـامـد

وديوان شعره صغير، فمنه قوله وهو معنى مليح :

بــلاء لـيـس يـعـدلـه بـلاء ... عــداوة غـيـر ذي حـسـب وديـن
يـبـيـحـك مـنـه عـرضـاً لم يصنه ... ويـرتـع مـنـك في عـرض مصون

القصيدة يمدح بها المتوكل :

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن ... سلوت ولكن زدن جمراً على جمر
سلمن وأسلمن القلوب كأنما ... تشك بـأطـراف المثقفة السمر

خليلي ما أحلى الهوى وأمره ... وأعرفني بالحلو منه وبالمر

كفى بالهوى شغلاً وبالشيب زاجراً ... لو أن الهوى مما ينهنه بالزجر

بما بيننا من حرمة هل علمتما ... أرق من الشكوى وأقسى من الهجر

وأفضح من عين المحب لسره ... ولا سيما إن أطلقت عبرة تجري

وما أنس بالأشياء لا أنس قولها ... لجارتها ما أولع الحب بالحر

فقالت لها الأخرى فما لصديقنا ... معنى وهل في قتله لك من عذر؟

فقالت أذود الناس عنه وقلما ... يطيب الهوى إلا لمنهتك الستر

وأيقنتا أني سمعت فقالتا ... من الطارق المصغي إلينا وما تدري

فقلت فتى إن شئتما كتم الهوى ... وإلا فخلاع الأعنة والعذر

على أنه يشكو ظلوماً وبخلها ... عليه بتسليم البشاشة والبشر

فقالت هجيناً قلت قد كان بعض ما ... ذكرت لعل الشر يدفع بالشر

فقالت كأني بالقوافي سوائراً ... يردن بنا مصراً ويصدرن عن مصر

فقلت أسأت الظن بي لست شاعراً ... وإن كان أحياناً يجيش به صدري

صلي واسألي من شئت يخبرك أنني ... على كل حال نعم مستودع السر

وما أنا ممن سار بالشعر ذكره ... ولكن أشعاري يسير بها ذكري

وللشعر أتباع كثير ولم أكن ... له تابعاً في حال عسر ولا يسر

ولكن إحسان الخليفة جعفر ... دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر

فسار أمير الشمس في كل بلدة ... وهب هبوب الريح في البر والبحر

ولو جل عن شكر الصنيعة منعم ... لجل أمير المؤمنين عن الشكر

ومن قال إن البحر والقطر أشبها ... نداه فقد أثنى على البحر والقطر

- 104 -

الرّأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعانِ
هي أوّلٌ وهو المكانُ الثاني

قائله **المتنبي** (سبق ترجمته)

من قصيدة في سيف الدولة

الرّأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعانِ ... هي أوّلٌ وهو المكانُ الثاني
فإذا هما اجْتمعا لنفسٍ حرّةٍ ... بلغتْ منَ العلياءِ كلّ مكانِ
ولرُبّما طعنَ الفَتَى أقرانَهُ ... بالرّأيِ قبلَ تطاعُنِ الأقرانِ
لولا العقولُ لكانَ أدنى ضيغمٍ ... أدنى إلى شرفٍ من الإنسانِ
لولا سميُّ سيوفِهِ ومضاؤهُ ... لمّا سللْنَ لكُنّ كالأجفانِ
تخذوا المجالسَ في البيوتِ وعندهُ ... أنّ السُّروجَ مجالسُ الفتيانِ
قادَ الجيادَ إلى الطّعانِ ولم يقُدْ ... إلاّ إلى العاداتِ والأوطانِ
كلُّ ابنِ سابقةٍ يغيرُ بحُسنهِ ... في قلب صاحبِهِ على الأحزانِ
إنْ خلّيَتْ رُبطتْ بآدابِ الوَغَى ... فدُعاؤها يُغني عن الأرسانِ
في جحفلٍ سترِ العيونَ غُبارُهُ ... فكأنّما يُبْصرنَ بالآذانِ
يرمي بها البلدَ البعيدَ مُظفّرٌ ... كلُّ البعيدِ له قريبٌ دانِ
فكأنّ أرجُلها بتربةِ منبجٍ ... يطرحْنَ أيديَها بحصْنِ الرّانِ
بحرٌ تعوّدَ أن يُذمّ لأهلِهِ ... من دهرِهِ وطوارقِ الحدثانِ
فتركْتَهُ وإذا أذمّ من الورى ... راعاكَ واستثْنى بني حمْدانِ
المُخْفرينَ بكلِّ أبيضَ صارمٍ ... ذِمَمَ الدُّروعِ على ذوي التّيجانِ

مُتَصعلكينَ على كثافةِ مُلكهمْ   مُتواضعينَ على عظيم الشأنِ
يتقيّلونَ ظلال كلِّ مُطهّم   أجلِ الظّليم وربْقةِ السّرْحانِ
خضعتْ لِمُنْصلكَ المناصل عنوةً   وأذلّ دينُك سائرَ الأديانِ
رفعَتْ بك العربُ العِمادَ وصيّرتْ   قممَ المُلوك مواقدَ النّيرانِ
أنسابُ فخرهم إليكَ وإنّما   أنسابُ أصلهِمُ إلى عدنانِ

- 105 -

وَلَولا الهَوى ما ذَلَّ في الأَرضِ عاشِقٌ
وَلَكِن عَزيزُ العاشِقينَ ذَليلُ

قائله البحتري

أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن أب حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة، وهو طيء بن ادد بن زيدان بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، الطائي البحتري الشاعر المشهور، ولد بمنبج، وقيل بزردفنة وهي قرية من قراها، ونشأ وتخرج بها، ثم خرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله، وخلقاً كثيراً من الأكابر والرؤساء، وأقام ببغداد دهراً طويلاً ثم عاد إلى الشام، وله أشعار كثيرة ذكر فيها حلب وضواحيها، وكان يتغزل بها، وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد ومحمد بن خلف بن المرزبان والقاضي أبو عبد الله المحاملي ومحمد بن أحمد الحكيمي وأبو بكر الصولي وغيرهم.

قال صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجي : رأيت البحتري هاهنا عندنا قبل أن يخرج إلى العراق، يجتاز بنا الجامع من هذا الباب، وأومأ إلى جنبتي المسجد، يمدح أصحاب البصل والباذنجان، وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه، ثم كان منه ما كان، وعلوة التي شبب بها في كثير من أشعاره هي بنت زريقة الحلبية، وزريقة أمها.

وحكى أبو بكر الصولي في كتابه الذي وضعه في «أخبار أبي تمام الطائي» أن البحتري كان يقول : أول أمري في الشعر ونباهتي فيه أني صرت إلى أبي

تمام وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلا قصده وعرض عليه شعره، فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال لي : أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟

فشكوت خلة، فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحذق وشفع لي إليهم وقال لي : امتدحهم، فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته.

وقال أبو عبادة المذكور : أول ما رأيت أبا تمام، وما كنت رأيته قبلها، أني دخلت أبي سعيد محمد بن يوسف، فامتدحته بقصيدتي التي أولها :

أأفـــاق صـــب مـــن هـــوى فأفيقا   أم خـــان عهـــداً أم اطـــاع شفيقا

فأنشدته إياها، فلما أتممتها سر بها، وقال لي : أحسن الله إليك يا فتى، فقال له رجل في المجلس : هذا، أعزك الله، شعري علقه هذا الفتى، فسبقني به إليك، فتغير أبو سعيد وقال لي : يا فتى، قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به إلينا، ولا تحمل نفسك على هذا، فقلت: هذا شعري أعزك الله، فقال الرجل: سبحان الله يا فتى لا تقل هذا، ثم ابتدأ فأنشد من القصيدة أبياتاً، فقال لي أبو سعيد : نحن نبلغك ما تريد، ولا تحمل نفشك على هذا، فخرجت متحيراً لا أدري ما أقول، ونويت أن أسأل عن الرجل من هو، فما بعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال لي : جنيت عليك فاحتمل، أتدري من هذا؟ فقلت : لا، قال :

هذا ابن عمك، حبيب بن أوس الطائي لأبو تمام، فقم إليه، فقمت إليه فعانقته. ثم أقبل علي يقرظني ويصف شعري وقال : إنما مزحت معك، فلزمته بعد ذلك وكثر عجبي من سرعة حفظه.

وقيل للبحتري : أيما أشعر أنت أم أبو تمام؟ فقال : جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه.

وكان يقال لشعر البحتري : سلاسل الذهب، وهو في الطبقة العليا.

ويقال إنه قيل لأبي العلاء المعري : أي الثلاثة أشعر، أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟ فقال :

حكيمان والشاعر البحتري. ولعمري ما أنصفه ابن الرومي في قوله :

والفتى البحتري يسرق ما قا ... ل ابن أوس في المدح والتشبيب

كل بيت له يجود معنا ... ه فمعناه لابن أوس حبيب

وقال البحتري : أنشدت أبا تمام شيئاً من شعري، فأنشدني بيت أوس بن حجر :

إذا مقرم منا ذرا حد نابه ... تخمط فينا ناب آخر مقرم

وقال : نعيت إلي نفسي، فقلت: أعيذك بالله من هذا، فقال : إن عمري ليس يطول وقد نشأ لطيءٍ مثلك، أما علمت أن خالد بن صفوان المنقري رأى شبيب بن شبيبة، وهو من رهطه وهو يتكلم فقال: يا بني، نعى نفسي إلي إحسانك في كلامك، لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات من قبله، قال: فمات أبو تمام بعد سنة من هذا.

وقال البحتري : أنشدت أبا تمام شعراً لي في بعض بني حميد وصلت به إلى مال خطر، فقال لي : أحسنت، أنت أمير الشعر بعدي، فكان قوله هذا أحب إلى من جميع ما حويته.

وقال ميمون بن هارون : رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ، وحاله متماسكة، فسألته، فقال : كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء، فقال : لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحتري في المتوكل :

ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما   في وسعه لمشى إليك المنبر

فرجعت إلى داري وأتيته وقلت : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري فقال : هاته، فأنشدته :

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته   يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال ـ وقد أعطيته ولبسته ـ :   نعم، هذه أعطافه ومناكبه

فقال : ارجع إلى منزلك، وافعل ما آمرك به، فرجعت، فبعث إلي سبعة آلاف دينار، وقال : ادخر هذه للحوادث من بعدي، ولك علي الجراية والكفاية ما دمت حياً.

وكان البحتري قد اجتاز بالموصل، وقيل برأس عين، ومرض بها مرضاً شديداً، وكان الطبيب يختلف إليه ويداويه، فوصف له يوماً مزورة ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه، فقال للغلام: اصنع هذه المزورة، وكان رؤساء البلد عنده حاضراً، وقد جاء يعوده، فقال ذاك الرئيس : هذا الغلام ما يحسن طبخها، وعندي طباخ من صفته وصفته، وبالغ في حسن صنعته، فترك الغلام عملها اعتماداً على ذلك الرئيس وقعد البحتري ينتظرها، واشتغل الرئيس عنها ونسي أمرها، فلما أبطأت عنه وفات وقت وصولها إليه، كتب إلى الرئيس :

وجدت وعدك زوراً في مزورة   حلفت مجتهداً إحكام طاهيها

فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها   ولا علت كف ملق كفه فيها

فاحبس رسولك عني أن يجيء بها   فقد حبست رسولي عن تقاضيها

ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف، وجمعه أيضاً علي بن حمزة الأصبهاني، ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام. وللبحتري أيضاً كتاب «حماسة»

على مثال «حماسة أبي تمام» وله كتاب «معاني الشعر» : وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين، وتوفي سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين، والأول أصح والله أعلم. وقال ابن الجوزي في كتاب «أعمار الأعيان» : توفي البحتري وهو ابن ثمانين سنة، والله أعلم بالصواب، وكان موته بمنبج، وقيل بحلب، والأول أصح.

القصيدة :

بِكُلِّ سَبيلٍ لِلنِساءِ قَتيلُ ... وَلَيسَ إِلى قَتلِ النِساءِ سَبيلُ
وَفي كُلِّ دارٍ لِلمُهِبّينَ حاجَةٌ ... وَما هِيَ إِلّا عَبرَةٌ وَعَويلُ
وَإِنَّ بُكائِيَ بِالطُلولِ لَراحَةٌ ... فَهَل مُسعِداتي بِالبُكاءِ طُلولُ
كَأَن لَم يَكُن فيها لِعَينَيكِ مَنظَرٌ ... إِذِ الدارُ دارٌ وَالحُلولُ حُلولُ
وَإِذ حَسَناتُ الدَهرِ يَجمَعنَ بَينَنا ... عَلى الوَصلِ وَالحُرُّ الكَريمُ وَصولُ
فَأَحدَثَتِ الأَيّامُ بَيني وَبَينَها ... ذُحولاً وَما تَفنى لَهُنَّ ذُحولُ
وَلَولا الهَوى ما ذَلَّ فِي الأَرضِ عاشِقٌ ... وَلَكِن عَزيزُ العاشِقينَ ذَليلُ

الفهرس

الموضوع		رقم الصفحة

الموضوع — رقم الصفحة

الموضوع		رقم الصفحة

الموضوع		رقم الصفحة

«أبيات مشهورة وقصائد مغمورة»

« كثيرة هي الأبيات التي تتناقلها الألسن وتحفظها الأفئدة ويُستشهد بها في كثير من المواضع من الصغير قبل الكبير والعامي قبل المتعلم لما تحتويه هذه الأبيات من أمثال وحكم وروائع تصويرية ...

إن بعض هذه الأبيات اشتهرت دون معرفة قائليها ولا معرفة ببقية أبيات القصيدة بل قد يوجد في القصيدة أبيات أخرى لا تقل روعة وجمالاً ووصفاً وخيالا عن البيت المشهور ...

جاء هذا الكتاب ليوضح لنا أن هذه الأبيات التي تناقلتها الألسن وسارت بها الركبان هي من قصائد لا تقل عنها أهمية وجمال ولها مناسبات قيلت فيها تبين للقارئ مدى مناسبتها للاستشهاد بها؛ ولتوضيح هذا كله جمع المؤلف ما يزيد عن مائة بيت تكاد تكون هي الأشهر على الإطلاق وذكر تراجم قائليها بإيجاز وحدد المناسبة التي قيلت بها القصيدة والأبيات التي ذكرت فيها ... مستعينا ببعض أمهات الكتب كالشعر والشعراء لابن قتيبة، وطبقات الشعراء لابن المعتز، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، والمحاسن والأضداد للجاحظ، والوافي بالوفيات للصفدي، والأغاني للأصفهاني، ومجمع الأمثال للميداني، ووفيات الأعيان وأبناء هذا الزمان لابن خلكان.»

الناشر

ISBN 978-99906-40-91-9
9 789990 640915

مكتبة آفاق Aafaq Bookstore
Tel: +965-24610891 - Fax: +965-24610892
P.O.Box: 20585 Safat Postal code: 13066 Kuwait
info@aafaq.com.kw - www.aafaq.com.kw
Aafaq BOOKSTORE مكتبة آفاق